أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة المجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في تحريرها
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الخامس — السنة الرابعة والثلاثون — رجب سنة ١٣٨٢ هـ - ديسمبر ١٩٦٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى العالم الإسلامي
شعوبه وزعمائه

من صاحب الفضيلة
الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين .

أيها العرب ...

أيها المسلمون ...

اذكروا نعمة الله عليكم ، حين بعث فيكم « محمداً » صلى الله عليه وسلم فألف به بين القلوب المتنافرة ، ووحد به الصفوف المتقاطعة ، وجمع عليه كلمة العرب بعد أن كانوا شتى تتناوشهم رماح الفرقة والخطوب ، ثم أفضى بعد ذلك إلى ربه وهو يقول : (لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) .

اذكروا أيها العرب والمسلمون : أن قوتكم فى توحدكم ، وأن عزتكم فى تجمعكم ، واذكروا تربص الأعداء بكم ، وتداعى الأمم عليكم : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

اذكروا أيها العرب والمسلمون ما أمركم الله به من كتابه ، وآراكم من آياته ، وأعزكم به

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بعد ذلة ، فاستمسكوا به يرضى ربكم عنكم ، وأبلوا ربكم فى هذه المواطن أمراً تستوجبوا الذى وعدكم به من رحمته ومغفرته . فإن الاختلاف والتنازع والتثبط من أمر العجز والضعف ، وهو مما لا يحب الله ولا يعطى عليه الظفر والنصر .

اذكروا أيها العرب والمسلمون .

أن المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه ولا يخذله ، وأن المسلم على المسلم حرام كله : دمه ، وماله ، وعرضه. وأن المسلمين يد واحدة يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم .

اذكروا أيها العرب والمسلمون حرمة الدماء المراقة على أرض اليمن ، وخشونة القتال الدائر فى بقعة عزيزة من الوطن . فكفوا عن الشريد الطغاة . « قال تعالى : فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينها بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون» .

اذكروا أيها العرب والمسلمون أنكم بهذا التخاذل تعرضون أوطانكم للضيعة، وتقيمون عليكم الدليل والحجة ، وتظهرون للعالم أنكم غير جديرين بالسيادة والعزة .

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » .

أيها العرب ...

أيها المسلمون ...

لقد يئس الاستعمار أن يبقى فى بلادكم ، فأشعل نار العدواة والكراهية بينكم ، وبث بذور التفرقة والبغضاء بين صفوفكم ، فلا توالوا عدو الله وعدوكم . وتعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ...

ليكن بأسكم على أعدائكم ، إن الاستعمار يجد فى تفريق كلمتكم والقضاء على وحدتكم واتحادكم ، فلا تمكنوه من رقابكم ، واحذروا ما يقوم به الآن بين صفوفكم ، ولا تتخذوا بطانة من دونكم .

« قد بدت البغضاء من أفواههم . وما تخفى صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون » .

أيها العرب والمسلمون .

الله الله فى دينكم .

أيها العرب والمسلمون .

الله الله فى إخوتكم ووحدتكم . .

أيها العرب والمسلمون .

الله الله فى بلادكم وأوطانكم . .

أيها العرب والمسلمون .

(البقية على الصفحة التالية)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أسباب الفصاحة العربية

للأستاذ عباس محمود العقاد

من خصائص العرب أنهم معتزون بلغتهم بين لغات الأمم ولو كانت من الأمم التى يشهدون لها بالحكمة وجودة الصناعة ، كما شهدوا قديما للهند والصين .

وهذه خاصة عربية لا نظير لها بين الخواص القومية التى تميز بين الأقوام فى تقديرها لأنفسها .

فكل أمة من أمم التاريخ المعروف تفخر بالقومية التى تنتمى إليها ، ولكنه فخر يرجع فى أكثر أسبابه إلى العزة والمنعة أو إلى التمدن والتهذيب وما يقابلهما من صفات الهمجية والجلافة ، وهكذا كان فخر اليونان والرومان أبناء « المدنية والارتقاء » على « البرابرة » الذين تدل وطانتهم على جلافتهم وتخلفهم فى مراتب العمران .

أما العربى فقد يسلم للأمة بحضارتها وصناعتها أو يسلم لها بحكمتها وعلومها ، ولكنه يحتفظ لنفسه بمزية الإفصاح ويجعل « العجمة » صفة لكل من عداه ، وقد أصبح الإعراب عنده مرادفا للإبانة وحسن التفصيل والتوضيح ، من حيث تدل العجمة على نقيض ذلك فى صفات اللسان .

وقد حضرت مناقشات كثيرة عن أصول القبائل والعشائر فى السودان أثناء رحلتى

بقية نداء الإمام الأكبر

اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم . .

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » .

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » .

محمود شلتوت

شيخ الجامع الأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أسباب الفصاحة العربية

للأستاذ عباس محمود العقاد

من خصائص العرب أنهم معتزون بلغتهم بين لغات الأمم ولو كانت من الأمم التى يشهدون لها بالحكمة وجودة الصناعة ، كما شهدوا قديما للهند والصين .

وهذه خاصة عربية لا نظير لها بين الخواص القومية التى تميز بين الأقوام فى تقديرها لأنفسها .

فكل أمة من أمم التاريخ المعروف تفخر بالقومية التى تنتمى إليها ، ولكنه فخر يرجع فى أكثر أسبابه إلى العزة والمنعة أو إلى التمدن والتهذيب وما يقابلهما من صفات الهمجية والجلافة ، وهكذا كان فخر اليونان والرومان أبناء « المدنية والارتقاء » على « البرابرة » الذين تدل وطانتهم على جلافتهم وتخلفهم فى مراتب العمران .

أما العربى فقد يسلم للأمة بحضارتها وصناعتها أو يسلم لها بحكمتها وعلومها ، ولكنه يحتفظ لنفسه بمزية الإفصاح ويجعل « العجمة » صفة لكل من عداه ، وقد أصبح الإعراب عنده مرادفا للإبانة وحسن التفصيل والتوضيح ، من حيث تدل العجمة على نقيض ذلك فى صفات اللسان .

وقد حضرت مناقشات كثيرة عن أصول القبائل والعشائر فى السودان أثناء رحلتى

بقية نداء الإمام الأكبر

اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم . .

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » .

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » .

محمود شلتوت

شيخ الجامع الأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إليه ، فكانت العلامة الحاسمة على صحة انتساب العشيرة إلى الأصول العربية أنها تشعر « بفخر اللسان » ومزية الإبانة بالقول ، ولم تكن هذه العلامة تخطئ مرة فى كل عشر مرات ، إلا أن يرجع الأمر إلى اختلاط الأنساب مع وجود النسب العربى فى النهاية ، صريحا أو غير صريح .

ما سر هذه الخاصة النادرة التى لا نعرف لها نظيرا بين خواص الأمم بهذا التحديد فى مسألة اللغة دون سواها ، أو قبل سواها ؟

سرها فى الحقيقة أن اللغة العربية أفصح لغات العالم بغير مراء .

ولا خفاء بمعنى الفصاحة اللغوية بين الناس ، فإنما اللغة الفصيحة هى اللغة التى تم فيها جهاز النطق الإنسانى فلم تهمل أداة من أدواته ، وهى التى امتنع فيها اللبس بين حروف اللفظ ومخارج الصوت فلم يلتبس فيها حرفان فى مخرج واحد ولم يلتبس فيها مخرجان فى حرف واحد ، بل جاء كل حرف من حروفها فصيحا من مخرجه الذى يؤديه على ملتبس بسائر الحروف ، ولو كانت مقاربة له فى الأداء .

هذا هو معنى الفصاحة الذى قصدنا إليه غير مرة فيما نثبته من مزايا اللغة العربية المقررة ، ولا محل فيه للجدل ولا للاتهام بدعاوى المناظرة والمفاخرة بين الشعوب ، لأن مسألة المخارج الصوتية مسألة « بيولوجية » ودلائل التمام فيها أو النقص مسألة حسية تحكم فيها الآذان ولا حاجة بها إلى تحكيم العقول والأذواق .

فإذا كان سر الفخر العربى باللسان أن فصاحة اللسان العربى حقيقة لا مراء فيها ، فقد يحق للسائل أن يعود فيسأل : وما هو سر هذا الاختصاص بالفصاحة فى لغة الجزيرة العربية ؟ .

إن بعض الباحثين الأوربيين يعلل ظهور حروف الحلق فى اللغة العربية بعلة غريبة ولكنها تقال كما تقال جميع الأسباب المحتملة فى مقام التعليل .

فهم يقولون إن العرب قوم رعاة إبل وشاء ، وأنهم تعودوا أن يسمعوا من أصواتها ما يشبه الخاء والعين والقاف ، فأصبحت تسرى إلى ألسنتهم بعد أن وردت على أسماعهم وتعودوا النطق بالحروف التى أهملها غيرهم لأنه لا ينطق بها ولا يسمعها .

قالوا : وربما تيسر لهم النطق بها ولم يتيسر لغيرهم لأنهم أقاموا فى الجزيرة العربية فى جو معتدل لا يتعسر فيه فتح الأفواه بالنداء ، فاستخدموا الحلق فى أداء الحروف لأنهم لا يخشون أن تتفتح حلوقهم للهواء البارد أيام الشتاء ، كما يخشى المتكلمون ذلك ولا سيما الصائحون بالكلام من أمم الأقاليم الباردة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومهما يبلغ من شأن هذه العلل فى تفسير الخاصة العربية فليس فى وسع أحد أن يزعم لها أنها تفسيرات جامعة مانعة لتلك الخاصة ، فغاية ما يدعيه لها المدعون أنها تفسيرات محدودة فرعية لا يستغنى الباحث بعدها عن أسباب أخرى أعمق منها وأعم وأوفى .

فالرعاة ـ رعاة الإبل والشاء ـ قد أقاموا فى بلاد كثيرة غير البلاد العربية .

والأقاليم المعتدلة غير جزيرة العرب كثيرة فى أقطار العالم .

والبلاد الباردة لا يمتنع فيها فتح الحلوق طوال العام ، وتكفى فيها شهور الربيع والصيف والخريف لتعود النطق بالحروف الحلقية ثم اتباع هذه العادة فى سائر الشهور .

وحروف الحلق لا تنحصر فى الخاء والعين والقاف التى تسمع أحيانا فى أصوات الإبل والشاة.

واللغة العربية تتميز بحروف أخرى غير حروف الحلق لا توجد فى معظم اللغات ، ومنها حروف الضاد والظاء والغين .

فهناك إذن أسباب التمام لحروف العربية غير الاشتغال برعى الإبل والشاء وغير الإقامة فى الأقاليم المعتدلة .

وإذا صلحت هذه الأسباب لتفسير تمام الحروف فهى لا تصلح لتفسير المزية الأخرى من مزايا الفصاحة ، وهى تقسيم الحروف ومخارج النطق بحيث لا يلتبس النطق بين حرفين فى مخرج واحد ولا بين مخرجين فى حرف واحد ، وقد يكون ذلك أدل على الفصاحة من زيادة عدد الحروف فى الأبجدية العربية .

والذى نرجحه أن الفصاحة العربية قد تعزى إلى أسباب كثيرة غير تلك الأسباب المحدودة أو الفرعية .

وأول أسبابها ـ على ما نعتقد ـ أن تطور اللغة العربية قد تم بالمشاركة بين كثير من القبائل التى تتكلمها وتنطق بلهجاتها ، وقد تم بين العرب وهم منعزلون فى جزيرتهم عن الأمم الأجنبية .

وقد وجدت فى الجزيرة البريطانية لهجات متعددة وقبائل شتى على طول الزمن ، ولكنها كانت لهجات واردة على الجزيرة مع لغات الأمم المغيرة عليها ، فلم تكن لغة واحدة تتطور وتبقى مزية التطور فى نطاقها ، ولكنها كانت لهجات شتى من لغات شتى ، فلم تخلص مزايا التطور فيها على قاعدة واحدة .

ومن أهم الأسباب التى عملت فى استقرار مزايا التطور أن الكتابة تأخرت زمنا طويلا عن الخطابة بين قبائل جزيرة العرب من أقصاها إلى أقصاها ، ولو تقدمت الكتابة بضعة قرون بين القبائل لاستقرت فى اللغة تلك اللهجات المعيبة التى تكلم بها أبناء القبائل زمناً طويلا قبل أن تتغلب عليها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لهجات التصفية والتهذيب التى وافقت شيوع الكتابة بعد ذلك ، فلم يثبت من الكلام المنطوق غير ما حسن تدوينه بالكلام المكتوب

ومما أعان على تصفية اللغة العربية أنها استقلت بمزايا اللغات السامية كلها فى عزلتها بعد أن تفرقت الشعوب السامية من الكلدانيين والآراميين والعبرانيين ، والأحباش حيث اختلطت فى الأقطار الآسيوية والإفريقية المتباعدة ، فظلت على حالة النقص التى توقفت بها عن التطور المستقل مجاراة لغيرها من لغات الأمم التى أحاطت بها وأثرت فيها .

فالتطور فى اللغة العربية سلسلة لم تنقطع ولم تتفرق فى جهات متشعبة لا تلتقى بعد افتراقها ، فخلصت لها مزايا التطور قبل انفصالها عن أخواتها السامية وبعد انفصالها عنها .

ولا نهمل الأسباب الجغرافية التى كان لها أثر فى اختصاص العرب بمزايا النطق الفصيح ومزايا التنسيق والتوفيق بين المخارج والحروف .

فمن تلك الأسباب ما أفاد اللغة من جانب حسن الاستماع كما استفادت من جانب حسن النطق وحسن الأداء .

عاش العرب فى الصحراء أحوج ما يكونون إلى السمع الدقيق بين الأودية والهضاب ، حذراً من عوادى الحيوان والإنسان ومن ضلال الطريق بين الأهوية والأنواء ، فاكتسبوا مزية السمع المرهف وما يصحبه من مزية التفرقة بين الأصوات بل بين الهمسات والأصداء ، وتلك مزية لا محل فيها لدعوى المكابرة بالفخار الكاذب لأنها مزية حسية يكتسبها الحيوان كما يكتسبها الإنسان ، وليس أقدر على السماع المرهف من حيوان الصحراء .

فهذه الحاسة المرهفة هى التى عودت السامع العربى أن يميز بين درجات الصوت المتقارب فى الزاى والذال والظاء والجيم المعطشة ، وهى التى عودته أن يميز بينها فى السين والصاد والثاء والشين ، وهى ولا شك تلك الحاسة التى يعرفها الموسيقيون وينسبون إليها وجود ربع المقام فى الأنغام العربية حيث يختفى من أنغام الموسيقى الأوربية ، ولا حاجة باللغة فى سبيل التطور والتصفية إلى حاسة أوفى بهذا الغرض من حسن النطق وحسن الاستماع . .

* * *

وكل أولئك من الأسباب العلمية الطبيعية التى تعفى المتفرنجين بيننا من مؤنة هز الكتفين إذا سمعوا يوما أن لغتهم العربية أفصح اللغات .

عباس محمود العقاد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المثالية فى نظر الإسلام

للأستاذ محمد محمد المدنى

من معانى المثال والمثل فى اللغة ما جعل مثالا أى مقداراً لغيره يحذى عليه .

وبعبارة أخرى هو فى الماديات : القالب الذى يقدر عليه مثله .

ويقال : هذا الرجل مثال أو مثل يحتذى أى أسوة وقدوة .

وقد اعتاد الناس فى عصرنا الحاضر أن ينسبوا إليه فيقولوا « المثالية » يريد التزام أمثل الأشياء وأفضلها وأشرفها ويقابلون به « الواقعية » أى : التزام الواقع والرضا به كيفما كان .

ولذلك يقولون : فلان مثالى ، أى يترسم فى قوله وفعله المثل العليا ، أى الصور الأفضل ، وفلان واقعى أى : من خلقه مجاراة الواقع دون أن يعبأ بما عسى أن يكون فيه مما يغمز أو يعاب .

* * *

وفى القرآن الكريم :

« للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم »

قال بعض العلماء فى تفسير « المثل الأعلى » الذى أثبت فى هذه الآية لله عز وجل : هو قول « لا إله إلا الله » وكأن هذا المفسر يريد أن يقول : (إن لا إله إلا الله) هى الحقيقة الكبرى التى لا تعلوها حقيقة ، وهى التى يجب أن تكون المرجع والمقياس الذى يقاس به كل شىء ليعرف ، فما كان متمشيا معها ، ملائما لها من الأفعال والأحوال فهو حق وخير ونهج سوى ، وما كان منافراً لها ، غير متسق معها فهو باطل وشر والتواء عن الصراط المستقيم .

وهذا معنى صحيح ، ولكنه إجمال يحتاج إلى تفصيل .

وعندى أن المثل الذى ذكر فى هذه الآية مرتين ، هو ما يحتذى ويقاس عليه[1] ، وهو نوعان متقابلان :

أحدهما المثل السيىء ، وهو عبارة جامعة لكل معنى من معانى الشر والفساد ، كأنه قالب لكل ما هو سوء ، فمتى قيس عليه شىء من الأشياء وطبع به لم يأت إلا خبالا وخسارا وضلالا وفسادا ، وقد عبر عنه بعبارة فيها تركيب إضافى ، فقيل « مثل السوء » لأنه مقياسه وقالبه فكأن « السوء »

(١) اقرأ التعليق على هذا فى باب انباء واراء .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الذى هو جماع كل شر وفساد وضلال شيء له قالب يطبع عليه ، ويمثل به .

ونسبته إلى « الذين لا يؤمنون بالآخرة » سببها أن هؤلاء هم الذين لا يرجون ثوابا ، ولا يخشون حسابا ولا عقابا ، فهم لذلك يستبيحون كل إثم ، وكل شر ، وكل ضلال أما الذين يؤمنون بالآخرة فمن شأنهم أن يترسموا ما ينجيهم من حسابها وعذابها ويدخلهم فى رحمة الله ورضوانه .

وفى القرآن الكريم : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » .

والنوع الثانى من المثل هو « المثل الأعلى » الذى يقاس عليه فعل الخير والصلاح وكل ما هو رشاد واستقامة ، وذلك هو الفضائل والصفات الحميدة والأعمال الصالحة ، فكل ذلك مرجعه ومقياسه وتقديره هو الله ، لأن الله تعالى هو مجمع المثل العليا - إذا جاز لنا أن نعبر بهذا التعبير - وهذا شبيه بقوله عز وجل فى موضع آخر : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون فى أسمائه » .

فى هذه الآية مقابلة بين « الأسماء الحسنى » التى أثبتها الله لنفسه جل وعلا ، والأسماء التى يلحد فيها الملحدون ، أى يميلون فى شأنها عن النهج القويم ، والوسط السوى ، كمن يشق اللحد فيميل به إلى جانب الحفرة لا إلى وسطها وسوائها .

وقد وصف القرآن الكريم رب العزة بأن له الأسماء الحسنى ، ومعنى ذلك أنه تعالى هو المبدأ الأكمل ، والمثل الأعلى فى كل ما هو سمو وفضل وجلال وجمال ، وأن كل ما فى الكون من ذلك صادر عنه وقبس منه .

وقد قرب هذا المعنى حيث يقول : « الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور ، يهدى الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم » .

فالسموات والأرض تعبير عن الكون كله ، علويه وسفليه ، وما خلق الله من شيء . والله نورها ، والنور هو روح كل موجود وسره ، فلو تصورنا موجودا مظلما لا نور له لما كان فى المعنى إلا صورة مساوية للعدم .

وقد أثبت العلم أن كل موجود لا بد له من النور على نحو من الأنحاء ، وأن انقطاع النور انقطاعا تاما عن الموجود إنما هو مرحلة نهايته وفنائه ، وهذا المعنى قد أشار إليه النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض دعائه الذى توجه به إلى ربه ، حيث يقول : (أعوذ بنور

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وجهك الذى أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تنزل بى غضبك، أو تحل على سخطك) .

وقد وصفت الآية الكريمة هذا النور بوصف تمثيلى مداره على إثبات قوته وصفائه، وتكامله وتمام بهائه، فبلغت من ذلك الغاية، وقربت الأمر أعظم تقريب .

وقد جاء القرآن الكريم بكثير من أسماء الله الحسنى التى اشتهر أنها تسعة وتسعون استناداً إلى ما روى فى الصحيحين وغيرهما من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن لله تسعة وتسعين اسما - مائة إلا واحدا - من أحصاها دخل الجنة) .

وذلك مثل : الرحمن ، الرحيم ، الصبور ، الشكور ، الملك ، القدوس ، البارئ ، المصور ، القدير ، العظيم ، الحليم ، الغفور ، الودود ، الحميد ، المجيد ، الوهاب ، الباسط ، القابض ، الرقيب ، الحسيب ، وغير ذلك .

والمؤمن البصير بربه ، يتعلق بأسمائه ويتعشقها ، ويترسمها ، ويجعل منها مثله ومقاييس أفعاله وأخلاقه ، ويرى فيها سلواه وهداه ، ويستمد منها قوة فى حياته ، تيسر له الصعاب ، وتهون عليه الشدائد ، وتدفعه إلى القيام بما أقامه الله فيه دون تبرم أو ضعف .

وذكر الله تعالى بهذه الأسماء عن طريق التأمل فيها ، ويعرف أخلاقه تعالى أو صفاته بها ، وترسم ما توحى به من المثل العليا فى أبوابها ومواطنها ؛ من شأنه أن يعرفنا بالفضيلة والكمال وكل ما هو سمو وخير وجمال .

ذلك هو « المثل الأعلى » الذى أثبت لله جل جلاله ، وتلك هى « الأسماء الحسنى » : كلاهما يوجه إلى الرجوع إلى الله تعالى وترسم مقاييسه ومناهج حكمه وتشريعه ، وصفات علوه وكماله .

* * *

و « المثالية » فى نظر الإسلام ليست هى الوصول الفعلى إلى هذه المثل ، حتى لو أن إنسانا قصر عنها خطوة ، أو حاد عنها قيد شعرة ، لما كان فى نظر الإسلام « مثاليا » .

كلا ، ولكن الله تعالى إنما يكلفنا بأن نتمسها ونتعشقها ونجعلها نصب أعيننا ، نهدف إليها بقدر استطاعتنا ، وندور فى فلكها غير نادين عنها عناداً ، استكبارا ورفضا وتخلصا .

إن الله تعالى فطر بنى آدم على نوع معين من الغرائز والطباع والوظائف الجسمية والعقلية ، ومن شأن هذا النوع أن يجرهم إلى ارتكاب ما يعد خطأ أو انحرافا أو ذنوبا ، ولم يشأ جل جلاله أن يخلقهم على النوع الذى خلق عليه الملائكة الذين (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون).

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولهذا لا نستطيع أن نقول : إن الله تعالى يتنظر من عباده أن يكونوا طائعين طاعة تامة ، متجنبين لاقتراف أى إثم ، بعيدين عن ملابسة أى نواع من أنواع الشرور والمفاسد.

لا نستطيع أن نقول ذلك ، لأن الله تعالى هـــو الذى خلقهم وغرس فيهم طبائعهم وملكاتهم ، وركب فيهم الشهوات والرغبات والحاجات ، فلا يمكن أن يتطلب منهم سجايا الملائكة وقد خلقهم بشرا .

ولذلك نجد القرآن الكريم يرسم للمثالية خطوطا فيها رحمة بالإنسان .

فهو يقول « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته » ويقول مع ذلك « فاتقوا الله ما استطعتم » ويقول أيضا « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » ثم يصف هؤلاء المتقين بأوصاف تدل على اتجاههم إلى فعل الخيرات ، واجتناب الإصرار على المعاصى إذا وقعوا فيها ، فيقول : « الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ـ ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون. أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين » .

هذه هى نظرة الإسلام إلى « المثالية » ولو أنه نظر إليها نظرة تشديد ، وألزم بها الناس على معنى أنه أوجب عليهم تحقيقها كاملة غير منقوصة ، لما استطاعوا أن يحققوها ، ولكانوا كلهم خارجين عن أمر الله ، مستحقين لعقابه.

ولو أنه تعالى خلق الناس جميعا على طبيعة الملائكة ، فلم يعص فى الأرض ولا فى السماء ؛ لما تحقق وصف « العفـــو » ولا وصف « الغفور » تحقيقا عمليا .

ومن هنا نستطيع أن نقول : إن «المثالية» التى يقررها الإسلام ، إنما هى الاتجاه إلى مثل الفضيلة والخير والحق والجمال ، وتعشق ذلك كله ، وأن تهوى إليه أفئدة الناس مؤمنين به ، مصدقين « بالحسنى » أى بأن لهم مثلا عليا يجب عليهم أن يعملوا على احتذائها ولا يكونوا كالذين يكذبون « بالحسنى » ويعتقدون أن كل شىء فى الحياة مباح ومستباح ، وهم الإباحيون الانحلاليون الذين لا يؤمنون بالآخرة ، والذين لهم (مثل السوء) كما يقول القرآن الكريم .

وبذلك يكون للمثالية نظر إلى الواقعية ويكون للواقعية نظر إلى المثالية .

أو بعبارة أخرى . يكون الإسلام واقعيا فى مثاليته ، ومثاليا فى واقعيته .

محمد محمد المدنى
عميد كلية الشريعة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من معاني القرآن

« وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربوا عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون »

(قرآن كريم)

الربا كلمة تطلق على الزيادة والنماء وعلى المال الزائد ، يقال ربا المال يربو بمعنى نما وزاد .

وضعف الشيء مثله ، ويقال أضعف فلان إذا صار ذا أضعاف - بفتح الهمزة - كأيسر بمعنى صار ذا يسر .

والزكاة تطلق على معنى الزيادة والنماء ، والطهارة ، والصلاح . وصفوة الشيء ، وهى بالمعنى الشرعى حصة من المال ونحوه يوجب الشرع بذلها للفقراء ونحوهم بشروط خاصة .

المعنى

ما أعطيتم من مال تلتمسون بإعطائه أن يزيد وينمو فى أموال الناس لقاء انتفاعهم به أو حاجتهم إليه ، فهو لا يزيد عند الله ، ولا يبارك الله لكم فيه ، وما أعطيتم من مال تريدون بذلك إرضاء الله وامتثال أمره . فهو ينمى أموالكم ويضاعفها ، ويجزل الله لكم الأجر والثواب عليه ، والذين يبذلون بعض ما يملكون من المال على هذا الوجه الذى يرضاه الله هم دون غيرهم أصحاب اليسر والبركة والنماء « يمحق الله الربا ويربى الصدقات » .

والمتأمل فى هذه الآية الكريمة يجد مقابلة بين أمرين كلاهما بمعنى الزيادة . وهما الربا مع قصد الاستغلال وزيادة المال ، والزكاة مع الإخلاص لله فى النية ، وسلامة القلب ، والطوية . فالربا زيادة تؤخذ بالباطل ، ودون عمل مقابل وهو لذلك ضر وشر ، والزكاة زيادة تعطى للمستحقين من الأغنياء والموسرين وهى لذلك بر وخير ، الربا زيادة يأخذها الغنى من الفقير أو المحتاج ، والزكاة زيادة يدفعها الغنى للفقير أو المحتاج ، وبين الأمرين من الفوارق ما بين الرذيلة والفضيلة ، والباطل والحق ، والخبيث والطيب ، والحرام والحلال .

وفى ضوء هذا التوجيه الإلهى تتبين معالم « الاقتصاد الموجه » كما يريده الإسلام ؛ فالمال يجب أن يوجه إلى طريق الخير والبر . فلا ينمى بالاستغلال الآثم الظالم كما هو الشأن فى مسلك اليهود وفى نظام الائتمان الذى ابتدعوه وأشاعوه ، وعاشوا عليه . كما يقول الله : « وأكلهم الربا وقد نهوا عنه » . وإنما ينمى بما شرع الله من وجوه السعى النافع والنشاط الشريف ، وبما ينفق منه فى وجوه الخير والبر ومصلحة الناس والمجتمع كما هو الشأن فى النظام الذى جاء به الإسلام وأشار إليه قول الله سبحانه : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون » .

عبد الرحيم فودة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأزهر والتطور

للأستاذ محمود الشرقاوى

— ٢ —

٦ — « خرجنا من نظم الحكم وحدود التفكير العثمانى والمملوكى ومن سطوة الحياة فيهما ، فكان من الحتم أن يخرج من هذه النظم وهذه الحدود التفكير الدينى ورجاله وأهله » .

وكذا قلنا فى مقالنا السابق من هذه المجلة[1] فإلى أين يدخل الفكر الدينى ـ الذى يمثله الأزهر المتطور ـ بعد خروجه الحتمى من نظم الحكم العثمانى والمملوكى وحدوده فى التفكير ... ؟

أول ما يجب أن يدخل فيه الفكر الدينى ـ الذى يمثله الأزهر المتطور ـ هو : « المنهج الحر » فى البحث وفى التفكير وفى الأداء . وبعض المجددين المفتونين بالثقافة الأوربية يسمونه المنهج « الأوربى » أو « الغربى » لأن سمات هذا التفكير القائم على الشجاعة والشك والتفرس قدمت لنا فى هذا العصر من الغرب . ولكن هذه السمات نفسها ، وخصائص هذا التفكير نفسه نجدها فى ثقافتنا الإسلامية عندما نعود بها إلى عصور السيادة والأصالة : عصورها الأولى .

ولست أريد أن أطيل فى رسم هذا المنهج لأنى أجد كلمات قليلة لإمام من أئمة الشريعة الإسلامية ، هو أبو حنيفة ، تحدد هذا المنهج أصدق تحديد وأعظمه دقة وشجاعة ، يقول أبو حنيفة : « إن ما كان من عند الله ورسوله قبلناه على العين والرأس ، وما كان من عند غيرهما فهم ناس ونحن ناس » .

ولا أزيد على كلمة أبو حنيفة هذه سوى أن « ما كان من عند الله ورسوله » من الأوامر الصريحة والتكاليف المطلوبة قبلناه كما يقبله المؤمنون على العين والرأس . ولنا فى غير ذلك أن نفهم وأن نقارن وأن نجتهد . فقد أصبح من نافلة الحديث أن نقول إن باب الاجتهاد لم يقفل . وأصبح من المكابرة الضارة القول بغير ذلك .

٧ — ومما يجب أن يدخل فيه الفكر الدينى ، الذى يمثله الأزهر المتطور ، القصد والاعتدال فى الأحكام الجازمة فى الشريعة ، وناهيك بالاتهام والتكفير ، ونحن نحفظ

---

(١) ص : ٤٢٢ من عدد جمادى الآخرة سنة ١٣٨٢ « نوفمبر سنة ١٩٦٢ » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قول النبي الكريم : « الدين يسر لا عسر ، وما شادّ الدين أحد إلا غلبه » ، ونعرف أن النبي عليه السلام ، كما وصفته عائشة ، ماخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما .

وفى هذا القصد وهذه الحيطة نجد التابعى الجليل « ابن وهب » يقول راويا عن الإمام مالك : « سمعت مالكا يقول : لم يكن من أمر الناس ولا من مضى من سلفنا ولا أدركت أحداً أقتدى به يقول فى شيء هذا حلال وهذا حرام ، وإنما كانوا يقولون نكره كذا ونرى هذا حسنا ، فينبغى هذا ولا يرى هذا [1] » .

وفى ذلك أيضاً يقول ابن القيم إن الأئمة تورعوا عن إطلاق لفظ التحريم على كثير من الأشياء واختاروا لها وصف الكراهة ، تحرزاً وورعاً وحيطة .

ليجعل الذين يبادرون إلى التحليل والتحريم نصب أعينهم كلمة عظيمة زاجرة قالها مالك (فى بعض ما كان ينزل به فيسأل عنه فيجتهد فيه رأيه)[2] فقد كان مالك يقول : « إن نظن إلا ظناً ، وما نحن بمستيقنين »[3] .

وليجعلوا — قبل ذلك — رائدهم وإمامهم نهى النبى الكريم أميره (بريدة) « أن ينزل عدوه إذا حاصرهم على حكم الله . وقوله ، عليه السلام فى ذلك : فإنك لا تدرى أتصيب حكم الله فيهم أم لا ، ولكن أنزلهم على حكمك وحكم أصحابك » ، وبذلك نهى رسول الله أميره ، والعلماء من بعده ، أن يسمى حكمه واجتهاده « حكم الله » .

وأمامى وأنا أكتب هذا المقال حديث تحدث به شيخ معاصر كبير يقول فيه : إن إعطاء المرأة حق الانتخاب (حرام) وكان ذلك قبل سنة ١٩٥٢ ، ونحن الآن لم نعط المرأة حق الانتخاب فقط ، بل أعطيناها — بعلم رجال الفكر الدينى وإقرارهم — حق التمثيل النيابى وحق الاشتراك فى الحكم ، الوزارة ، وربما عن قريب حق تولية القضاء . وليس شيء من ذلك خارجا على (عموم الشريعة) وإن يكن خارجا عن رأى (بعض العلماء) فيها .

ولو أن شيخنا الذى أفتى بأن إعطاء حق الانتخاب للمرأة « حرام » ، جنح إلى القصد والحيطة ولم يجزم بكلمة (التحريم) لجنب نفسه وجنب الشريعة نفسها هذا الحرج الكبير الذى لا موجب له ولا مبرر .

٨ — هذا الموقف من بعض رجال الفكر الدينى والماضى — أو من أكثرهم —

---

(١) ص : ٣٩ « من إعلام الموقعين » الجزء ١ « محمد محيى الدين عبد الحميد » .

(٢) ، (٣) ص ٤٤ من : إعلام الموقعين (الجزء ١ — الطبعة سابقة الذكر) .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هو الذى جعل الثورة الكمالية فى تركيا قبل أربعين سنة تقتحم القدسية العظيمة التى كانت لهم فيها ، وتجترئ ، مع ذلك ، على الشريعة نفسها فتفعل بها ما علمنا من المحو والتحدى أو الإبادة فى بلاد (الخلافة الإسلامية) نفسها . وهذا الموقف نفسه هو الذى جعل مصلحاً عظيما ، هو الشيخ المراغى[1] ، يعلو صوته بهذه النصيحة قبل خمس وثلاثين سنة فيقول : (... وكما حصل فى الأمة المصرية نفسها إذ تركت الفقه الإسلامى لأنها وجدته ، بحالته التى أوصله إليها العلماء ، غير ملائم . ولو أن الأمة المصرية وجدت من الفقهاء من يجارى أحوال الزمان وتبدل العرف والعادة ويراعى الضرورات والحرج ، لما تركته إلى غيره . لأنه يرتكز إلى الدين الذى هو عزيز عليها ...) . وهذا بحث قد وفيناه فى بعض كتبنا .

٩ — وعلى النقيض من ذلك نجد الأمر فى عصر من أزهى عصور الفكر الإسلامى وأزهر أيام الحضارة الإسلامية ، نجد فيها الشكوى من الإنطلاق فى الحرية لا من تقيدها والحجر عليها ، وكان الأجدر أن يكون العكس هو الواقع .

نجد مظهرا من مظاهر هذا الإفراط فى الحرية التشريعية فى رسالة ابن المقفع المعروفة برسالة الصحابة ، فقد ذكر فيها ما يفهم منه أن الحرية الذهنية فى الفقه الإسلامى كانت فى ذلك العهد مطلقة حتى وجدها فى نظره قد انتهت إلى فوضى ، فهو يقول إن القضاء « متروك لرأى القاضى واجتهاده حتى تصدر عن ذلك أحكام متناقضة حتى فى البلدة الواحدة ، فتستحل دماء وفروج وأموال فى ناحية من نواحى الكوفة وتحوم فى ناحية أخرى ، تبعا لحكم القاضى »[2] ثم يذكر ابن المقفع أصحاب الرأى وأصحاب الأثر من القضاة وأن بعض هؤلاء يقضى بما شاء « ثم إذا قيل له : إن مثل هذا الأمر لم يرق فيه دم على عهد رسول الله صلى الله وسلم أو أئمة الهدى من بعده قال : فعل ذلك عبد الملك بن مروان أو أمير من بعض أولئك الأمراء »[3] وأن بعض هؤلاء يزعم أنه من أهل الرأى « فيقول فى الأمر الجسيم قولا لا يوافقه عليه أحد ، ثم لا يستوحش لانفراده بذلك وإمضائه الحكم عليه ، وهو مقر أنه رأى منه »[3] .

وقد أكون أطلت فى هذه الناحية الخاصة التى أريدها أن تكون أثرا من آثار « تطور

---

(١) مذكرة الشيخ المراغى الإصلاحية المشهورة التى قدمها إلى الملك فؤاد سنة ١٩٢٨ .

(١) (٢) رسالة الصحابة لابن المقفع

(٣) ص ٩٥ — من كتابنا — تقويم الفكر الدينى — « البيان العربى » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأزهر » : ناحية القصد والاعتدال فى الحكم وناحية التيسير فى الحرية ، على أساس من الدليل والفهم للشريعة وروح العصر معاً ، قد أكون أطلت فى ذلك ، عن قصد ، لأنى أعتقد أن الأزهر مهما أضيفت له أو أنشئت فيه من كليات مدنية ، فسيبقى هو الأمين على شريعة الإسلام فى العالم كله ، على الشرائط التى ذكرناها ونذكرها وعلى المستوى الذى نريده وندعو إليه . وأعتقد أن هذا أيضا هو ما يريده المشترعون لتطوير الأزهر فى حديث وزير الأوقاف وشئون الأزهر الذى يقول : « جامعة الأزهر لن تكون صورة من الجامعات الأخرى [1] » وليس للأزهر من خصيصة تفرده عن الجامعات الأخرى إلا أنه الأمين المهيمن على شريعة الإسلام ، وسيبقى بهذه المثابة على الدوام ما دام كفواً لها وقادراً عليها .

لا بأس أن تنشأ فى الأزهر وفى غيره كلية أو كليات للطب والهندسة والزراعة وغيرها . « فالعلم » الذى قال النبى عليه السلام إنه « فريضة على كل مسلم ومسلمة » ليس هو علم الدين والشريعة وحدهما ، بل كل علم من علوم الحياة ، وقد كان ابن رشد وابن سينا والغزالى وغيرهم علماء من كبار الأئمة فى الشريعة وفى علوم عصرهم أيضا . حتى فى أشد عصور الفكر الإسلامى ظلمة وتخلفا نجد عالما مثل الشيخ حسن الجبرتى ـ والد الشيخ عبد الرحمن المؤرخ الكبير ـ فى القرن الثامن عشر يتبحر فى فقه الحنفية ويتقن علوم الطب والهندسة والحساب ويرى موازين الناس قد « فشى فيها الغش » كما يقول ولده ـ فيقومها لهم . ولكن هذه الكليات الجديدة التى أنشئت أو تنشأ فى الأزهر لابد أن تبقى عليه طابعه وخصائصه ومميزاته .

١٠ ـــ والأزهر ، قبل تطويره وبعد تطويره ، له رسالة نحو اللغة العربية وتجديد دراستها على منهج جديد . وهذه الملامح التى وصفناها فى مقالنا هذا وسابقه ، عن دراسة الشريعة ، نجد أشباهها لها فى دراسة اللغة العربية ، فقد جمدت وفسدت عندما جمدت وفسدت الحياة الفكرية والسياسية للأمة العربية كلها . فكانت دراسة اللغة ، مثل دراسة الفقه والشريعة ، قائمة على التقعير والتلقى والمتابعة والجمود والتقليد والتعقيد ، وبقيت على هذا الحال حتى عصر قريب : نرى الشيخ ناصيف اليازجى ، مثلا ، يؤلف فى منتصف القرن التاسع عشر ، فى لبنان ، كتابه : « مجمع البحرين » على نسق « مقامات الحريرى » ، ونرى أمير الشعراء شوقى يؤلف بعد ذلك كتابه : « أسواق الذهب »

(١) حديث السيد الدكتور محمد البهى ، جريدة الجمهورية فى ١ أكتوبر ١٩٦٢ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

على نسق كتابى : « أطواق الذهب » للزمخشرى و « أطباق الذهب » الأصفهانى . والتقليد من الأخير واضح ، حتى فى التسمية . وكما نرى فى « ليالى سطيح » لحافظ ابراهيم ، و« حديث عيسى ابن هشام » للمويلحى . وهذه الكتب وأشباهها مما ألف فى عصور الظلام قائمة على المحاكاة والمحسنات وأدب اللفظ والصياغة .

والتفصح والتصعيب وإبراز القدرة اللفظية والتزويق .

وقد وجدت وأنا ألقى دروسى فى كلية اللغة العربية قبل سنين أن هذه « المدرسة » لا يزال لها رجالها ونفوذها ومتابعوها

وهذا الذى نريده من « الفكر الدينى الذى يمثله الأزهر المتطور » نريده أيضا فى دراسة اللغة والأدب من كلية الدراسات العربية الجديدة فى الأزهر .

١١ — وهناك ألوان من الثقافة ليست تعليمية ولا جامعية — ويمكن أن تكون كذلك — ولكن رجل الفكر الدينى ، الذى يمثله الأزهر المتطور ، يجب أن يعرفها وأن يحيط بها ، بل يجب أن يدرسها ويتعمقها ، وهى ، فى جملتها ، تهدف إلى زيادة فهمه للحياة العقيدية والسياسية والاجتماعية التى تحيط بجماعة المسلمين فى العالم المعاصر بخاصة ، والتى تحيط بالعقائد والأديان ووضعها القائم فى العالم المعاصر ، وفى المستقبل القريب ، بعامة . ولنضرب أمثلة على ذلك :

عند جماعة المسلمين فى العالم المعاصر جملة من « المشاكل » أو « المسائل » التى تؤثر تأثيراً كبيراً عليهم جميعا وعلى مستقبلهم كأصحاب عقيدة يأمرهم دينهم بالمساندة والمؤازرة — وهما نتيجة للفهم والمعرفة — من ذلك مثلا وضع « باكستان » القائم ومستقبلها والحال التى يعيشها المسلمون فيها ، وأهلها كلهم مسلمون ، هذه الجماعة الإسلامية الكبيرة يجب على رجل الفكر الدينى الذى يريد أن يشارك مشاركة فعالة فى خدمة جماعة المسلمين أن يدرس أوضاعها ومشاكلها واحتمالات مستقبلها القريب ، حتى يشارك فى معونتها .

البقية فى العدد القادم

محمود الشرقاوى

قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه يوما : يا أبت ، إنك تنام نوم القائلة ، وذو الحاجة على بابك غير نائم : فقال له : يابنى ، إن نفسى مطيتى ، فإن حملت عليها فى التعب حسرتها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فنّ الصّورة فى أدب المازنى

للدكتورة نعمات أحمد فؤاد

الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى فى طليعة كتاب المقالة فى أدبنا الحديث إن لم يكن كاتبها الأول ، وهو يقف فى هذه الطليعة بين كتاب القصة أيضا ، فالصورة عنده لها مجالات متعددة غنية وساعة. وفى هذه المجالات تستمد الصورة من ملكاته الخاصة وقدراته الفنية . . تستمد من طبيعته المتفكهة الساخرة ، تستمد من قراءاته الأصيلة المترعة ، فقد كان رواد الأدب وثيق الصلة بالأعمال الأدبية الكبيرة فى الأدب الغربى إلى جانب ضلاعتهم فى الأدب العربى .

من هذه الينابيع كلها تستمد الصورة فى أدب المازنى ، فتروع بالملاحظة النافذة والتفاصيل الممتعة ، والفكاهة العذبة ، والسخرية الضاحكة ... ويمد المازنى لهذا كله بمبالغاته المستمرأة . والتجسيم فن طيع فى يده ، يطرف به ويروق ، فتغدو الصور كاريكاتورية تبلغ بالدعابة ما لا تبلغه صور أخرى بالجد والتقنين .

والصورة عند المازنى فن يستهوى . وكأنا نذكر مقدمته لكتابه (صندوق الدنيا) الذى يشبه به أدبه ، والحقيقة أن قراءه معه كأطفال الصندوق الذين رسم لهم المازنى صورة ملونة استوقفت الكثيرين .

وفضل المازنى فى الصورة يظهر إذا رجعنا خطوات وراجعنا إطار الصورة فى الأدب العربى . كان هذا الإطار يأخذ شكل المقامة أو الرسالة أو القصيدة . وكانت الصورة داخل هذا الإطار تؤدى على اختلاف ، فى ظل الصناعة اللفظية ، فتخرج مثقلة بالمحسنات ، والسجع خاصة ، وتجمدت أشكالها حتى أخذت شكل القوالب .

وجاء فى بشائر عصر النهضة جيل حاول التجديد كالمويلحى فى حديث عيسى بن هشام فشممنا ريح التجديد فى الموضوع ، ولكنه لم يتخلص من (القوالب) بصفة نهائية فحديثه شبه مقامة فى سجعه و (القفلات) و (الخطابية) .

وهنا يظهر عمل الرواد من حيث الشكل والمضمون . وتفاصيل هذا كثيرة ولها امتدادات تخرج بنا عن الموضوع . يكفى أن نقول إن الإطار والصورة ، على أيدى الرواد ، تجددا حتى وصلا إلى المفهوم الحديث لهما . فكانت القصة والمسرحية عند توفيق الحكيم ، والمقالة والقصة عند المازنى ، والمقال والقصيدة عند الأستاذين : العقاد وشكرى .. هذا على سبيل المثال لا الحصر .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وليس معنى هذا أن المقال والقصيدة بل والمسرحية كانت غير معروفة قبلهم ولكنها كلها بالصورة الحديثة لها أو الصورة المتكاملة المفهوم والشكل إنما ولدت على أيديهم ... أيدى الرعيل الأول وأحد أعلامه الأستاذ « إبراهيم عبد القادر المازنى » .

ولقد صور المازنى بيته ومعاملة أهله له طفلا ويافعا ، كما صور ملاعب طفولته ورفاق حداثته ومعابد هواه . صور هذا كله وصفا دقيقا بارعا فى « حصاد الهشيم » و « قبض الريح » و « صندوق الدنيا » و « ع الماشى » ومجموع وصفه يعد تاريخا مصورا للجيل الماضى ، والبيت المصرى القديم ، والمجتمع المصرى فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . فأدبه التصويرى من هذه الناحية لون من الأدب الموضوعى .

ومن صور المازنى البارزة وأستطيع أن أقول الخالدة :

صورة « حياة » (مقدمة كتابه « فى الطريق »).

« (صندوق الدنيا) .

« البيت المصرى (بيت الطبقة الوسطى فى عصره) .

صورة المدرسة القديمة مدرسيها و نظارها.

« (ابن البلد) .

« (الحاوى) .

« أو لوحة الأبوة والأمومة .

صورة الولد وصورة البنت - أعنى بنوة الولد وبنوة البنت .

صورة المرأة وهذه لها معرض من الصور فى كتبه كلها : متكلمة ، وصامتة .

إذا صح أنها تطيق الصمت فى رأى الرجل على الأقل - ومتدللة وزوجة وصديقة . . أما وبنتا ... إلخ .

وأخيراً صورة نفسه التى استغرقت كتابين من كتبه ، ولعل كاتبا لم يصف نفسه وصفا دقيقا متشعبا محيطا كما فعل المازنى . إنه لم يدع أدنى شىء يتصل بها أو عمل أتته إلا تناوله بقلمه . ولعله كان يعرف هذا فقد كتب فى وصف إبراهيم الكاتب وهو يعنى نفسه (وكان يرص العبارة فوق الأخرى ويكظها جميعا بشخصيته حتى لتحس أن ألفاظه ملأى بمعانيه هو ، ومثقلة بخوالجه هو ، وأنه لاسبيل لك إلى رأى أو إحساس فيما وراء هذا الكوم المكدس من الآراء والإحساسات وأن عليك أن تبتلع بلا تردد ولا مضغ) .

إبراهيم الكاتب ص ٢٢٩ / ٣٠٠ .

وكتاب المازنى (من النافذة) يكشف عن مادة الصورة عنده ، فهذا الكتاب مجموعة صور التقطتها عين المازنى وكونتها من مجموعة أشياء ذكر بنفسه منها : (ثيابهم ومبلغ عنايتهم بها وما يراه عندهم من ضروبها وحركاتهم ومشياتهم وطريقتهم فى الكلام

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وشمائلهم وسكونهم أو ضجرهم إذا أبطأ عليهم الترام أو حال الزحام بينهم وبين ركوبه).

ونستطيع أن نضيف له عما يعنى به من أوصافهم ، قسمات وجـــوههم وأشكال أجسامهم ثم تدخل الصورة عناصر أخرى منها خياله واستطراده الذى قد يحسبه البعض من حواشى الموضوع ولكنه كثيراً ما يكون تشويقا يشد المشاهد إلى الصورة ولا يحول بينه وبينها ...

ثم سخريته وفكاهته وتجسيمه وأخيراً سره ... روحه الخاص .

وفى أثناء تخطيط الصورة يخدم لها تفاصيل كثيرة يعطيها أحيانا من الأهمية مايعيش على رسم الشخصية المرسومة فيركز تارة على الثياب ويعمق معناها بمظاهره الاستطراد وهو مقصود لتعمق خطوط الصورة .

وثيابها أيضا نفيسه ناعمة ، وكأنها الغلالة الرقيقة التى تلبس تحت الثياب ، وهى قطعتان كذلك : صدار أبيض قصير الكمين ، وفوق موضع القلب منه ، أو أعلا قليلا ، حرفان يرمزان إلى اسمها بخطوط حمر . والثانية حجول أزرق هفهاف يخف مع الريح ، والحذاء سيور بيض وزرق ، وإبهام القدم بارز والظفر أحمر . أما الشعر ففيتان مسترسل وقد لفت عليه دون أن تغطيه منديلا أدارته كطرف العمامة ... إلخ) .

حشد من التفاصيل كما ترى لا يخطئ حرفين من خيط ... لا يخطئ من إبهام القدم ولون الظفر . .

ويخدم فيما يخدم ، الاسم . فيسمى أحد الأشخاص عبد المنعم ، ولو من باب إطلاق اللفظ على ضده كما يقول . .

وصورته تعمد إلى التحليل النفسى فيرسم الشخصية من نظرات العيون أو المشية أو وجوه السلوك . وأغلى قسمات الوجه عنده (العين) كل القيمة فيها أو كل قوة النفس كما يقول تتدفق من العين . وهنا كانت العين أداة التنويم المغناطيسى . . . حتى الابتسامة سرها فى العين وفى هذا يقول : (نعم يسعنى أن أفتح فمى وأوسع ضحكى ولكن عينى . . كيف أقسرها على الالتماع الذى لا يكون الابتسام ابتساما إلا به) .

وأحيانا ترتكز الشخصية على (الكفين) كما فعل مع « عبد المنعم » فى كتابه « مع النافذة » .

والمازنى مثل الجاحظ فى تقصى الخوالج النفسية حتى ما خفى منها ، وتفسير الحركات والكلمات على هديها فأدبه من هذه الناحية أدب إنسانى له شأن ..

وأحيانا يرسم المازنى خلفية للصورة Background فإذا رسم صورة لإنسان مكبوت النشأة ناقص الأهلية ، رسم صورة جانبية لأمه وأبيه بل لمحيه أيضا .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والعناوين عند المازني بسيطة مشوقة .

والبساطة نفسها ومن كاتب قصة ، تشويق . . على أنه وراء هذه العناوين البسيطة يتسلل إلى معان ليست بسيطة . فالمازني تحت هذه العناوين البسيطة يبث الصورة مايشاء من أفكار وسخرية تتناول الأشياء . . تتناول ما تواضعنا عليه بسيطا وغير بسيط . فصورة القط مثلا أو قل صورة القط منها هذه اللقطة له يصيد فأراً (وغالبه في لحمه الطري فيدرك الفأر اليأس ويستسلم ويقول في سره وهو يؤكل عسى الله أن يعوضني يوم النشور دارا أخرى لاقط فيها . . ويلفظ أنفاسه الأخيرة وهو يحلم بجنة الفيران) .

وصورة أخرى للقط لا تخلو من سخرية (ومن غرور القط أنه لا يستأنس أبدا ـ يسكن بيتك ويأكل طعامك برضاك أو على الرغم منك ومع ذلك لا يكون معك إلا على حرف تمسح له شعره فيثني أرجله تحته ويرخي جفنيه ويروح يزوم أو « يقرأ » كما يقول العوام فكأنك تستلم حجراً مقدسا من فرط ما يكون من انصراف هذا الحيوان المتكبر عنك ، وتدغدغه فلا يعنى بأن ينظر إليك ليرى من أنت ـ أغريب أم صاحبه الذي يطعمه ويؤويه ـ بل ينحني عليك بأظافر يده وبفمه في آن معا . وتقدم له اللقمة فينظر إليها شزرا ويعرض عنها محتقرا ويحول رأسه عنك بكبر دونه كل كبر وترفع لا يطاق حتى لكأنك تلغو في حضرة البابا) .

أحاديث المازني ص ١٢٠ .

وتحت العنوان البسيط يصف القط فيأخذ في حديث السياسة فالقط حذر متردد (ولو كان الانجليز قد خلقوا قبل القطط وسبقوها إلى الدنيا والحياة لقلت أن القطط أخذت ذلك عنهم وقلدتهم فيه فإنهم مثلها يقدمون على الشيء متحرزين ويخطون خطوة ثم يقفون ينظرون ما يكون فإذا جرت الأمور على غير ما يحبون أو يتوقعون ارتدوا بخفة وبسرعة وإلا نقلوا رجلا أخرى وهكذا فيظهر أنهم هم الذين يقلدون القطط ويحاكونهم في هذا والله أعلم) .

وللمازني صور بعيدة أو غريبة منها تلك التي رسمها للعصا ولا تقل وما فضل العصا على غيرها من سائر الجمادات فإن المازني يقول : (العصى معروضة في دكان ، أو على أيدي بائعيها الطوافين بها ، أو تحت آباطهم لا تبدو لي أكثر من أعواد من خشب منجور ومدهون مصقول ولكنها في أيدي متخذيها أو حامليها أو المتوكئين عليها تدب فيها « الحياة » وتكتسب « شخصية » وتنقلب أشبه بالعنوان أو الشارة أو الراية .

ثم يمضي في التحليل ومن غريب وصفه لها قوله : (والعصا كاللحية تكون أليق في سن منها في سن أخرى . وكذلك ألوانها وزينتها أو عطلها وحجومها) .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هنا تعتمد الصورة على الهيئة وعنصر خارجى هو حامل العصا .

وأحيانا يدخل الحوار والحديث فى رسم الصورة عند المازنى وقد اتبع هذا الأسلوب فى رسم صورة (أمه) فخرجت الصورة لأم فى نمطها الأعلى رءوما حاذقة كيسة يقظة هادئة الأعصاب جليدة متفائلة راجحة الشخصية ذات أسر تكتفى بالنظرة الأولى إذا أمكن أن تستغنى عن الكلمة ويوثق صلتنا بالصورة فى اللمسة الأخيرة حين يقول (وانى لجليد فى العادة ولكن موتها هدنى فقد كانت لى أما وأبا، وأخا ، وصديقا) .

وعلى ذكر الحوار نقول إن المازنى فى رسم الصورة يخدم العامية فى رسم الصورة كما فى كتابيه « ميدو وشركاه » و « ع الماشى » .

ويخدم المازنى للصورة مواهب أسلوبه وقدراته من تفصيل فى التصوير والتعبير فى بساطة وواقعية وشعبية أيضا مع بصر بالأوصاف المتنوعة وفهم كامل للترادف والتضاد وفكاهة وسخرية ومبالغة .

والمبالغة والتجسيم عند المازنى عنصر من عناصر فكاهته تعتمد عليه فى ناحيته كما ترتكز فى ناحية أخرى على مدد من طبيعة الروح المصرى وحبه الفطرى للدعابة والتندر .

هذه إحدى صوره لنفسه فى كتابه « فى الطريق » : (أنا كالفيل - لا فى الجسم فإنى خفيف دقيق لا أثقل أرضا ولا أسد فضاء ، ولا فى الجلد فإن جلدى شف رقيق كثياب النساء فى الصيف ، فهو لا يحجب شيئا مما فى جوفى ، ولا يحوج الأطباء إلى الأشعة ليروا بها ما تحته . وكل إنسان يستطيع أن يرى قلبى . حتى من فوق الثياب . ولكنى كالفيل فى شىء واحد هو كرهه للوطاويط ص٣٥). فوصف الجلد هنا صورة كاريكاتورية أو يصف ابتسامة عريضة فيقول إنها (وصلت فمه بأذنيه !) .

والمازنى مولع بالمبالغة من غلبة الروح الفنى عليه . والمبالغة فى التصوير تؤدى عنده إلى المبالغة فى التعبير . وعلى هذه المبالغة بنوعيها تقوم سخريته فهى كقبة الكاريكاتير الذى يبحث عن الشىء الظاهر ويمضى به إلى أقصاه فى نفس اتجاهه الطبيعى من غير أن يبدل شكله . والتجسيم عند المازنى فن مبالغة كما هى الحال فى فن الكاريكاتير وإن لم تكن المبالغة غايته وإنما هى وسيلة إلى ما يريد التعبير عنه

ووصف المازنى لبيته يكف عن أسلوبه فى المبالغة والسخرية وطواعية السخرية فى يده حتى تغدو « مفاجأة فنية » .

(كانت بوابته كبوابة المتولى كبيرة هائلة تغطيها المسامير الضخمة التى تعدل رأس الواحد منها رأس طفل وكان له رتاج غليظ يدخل فى جدار عظيم السمك ، أما المدخل مما يلى البوابة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فطريق ملتو يتعطف يمنة ويسرة ، وفيه مخابئ ومكامن تتصل بها دهاليز خفية ، والمرء لا يستطيع فى النهار أن يبصر كفه من شدة الظلمة وكنا نضع مصباحا ولكنه لم يكن يضيء شيئا ، بل كان كل ماله من النفع هو أن يرينا شدة السواد ، ويزيده وقعا فى النفوس .

وفى الصحن الواسع شجرة جميز عتيقة كثيفة الغصون تسد النوافذ وتمنع النسيم أن يروح عن نفوسنا فى الصيف . وكنا نعرف أن الجو جميل والهواء عليل من خشخشة الأوراق ومن مصافحة الهواء لوجوهنا ، وقد يكون اليوم حارا والهواء فى الغرف راكدا ونحن نكاد نختنق ، ثم نسمع صوت الأوراق فيلتفت بعضنا إلى بعض ونبتسم ونتشهد ونقول (الله ! لقد رق الهواء وطاب الجو ، ونمسح عرقنا مع ذلك .) خيوط العنكبوت ص ٤٦ - ٤٧ .

فهذه الصورة أو الجزء من الصورة يظهر فيه مسمار الباب كرأس طفل ، والمصباح بلغ من ضآلته بل من لاشيئيته أنه يزيد شدة السواد وقعا فى النفوس .

وفيها الإنسان الذى يمسح عرقه وهو يقول الله لقد رق الهواء وطاب الجو ! .

إنه الإنسان يخدع نفسه فيتمثل ما يحب وإن كان واقعه خلاف ما يزعمه .

ومرة أخرى أعود إلى المقارنة بين المازنى والجاحظ فى الطابع العام للصورة . فصورهما كأسلوبهما متفكهة ساخرة ضاحكة لأنها تستمد عناصرها من نفسين مستخفتين بالحياة من طول ممارستهما لها ، والنقد لما رأيا فيها والعطف مع هذا على الناس ، ومن ثم نزعا فى نقدهم منزع السخرية عازفين عن الصرامة والجد حتى لايخفى حبهما ، وإن اختلفت سخرية المازنى عن سخرية الجاحظ بقدر مابين البيئتين والعصرين والثقافتين من خلاف ولكن السخرية عندهما بعامة وبالتالى « الصورة » قائمة على الملاحظة المنتخبة ، فهما يلاحظان كل شيء أو معظم ما تقع عليه أعينهما وينتخبان منه ما يصلح مدارا للسخرية وعنصرا للصورة .

وصور المازنى ترفدها ينابيع أصيلة للصورة الجيدة منها غزارة الشعور وقوة المخيلة ، فتلك الصور التى رسمها لطفولته وصباه فى (صندوق الدنيا) و (خيوط العنكبوت) مليئة بالأحاسيس والمشاعر وهى تنبض بالحياة والعاطفة والحرارة وشعور الفنان .

وأحيانا يركز المازنى على الزوايا لتؤكد الصورة الأصلية فصورة (الحاوى) نرى الأطفال المذعورين فى وصف المازنى لهم عناصر جانبية لإبراز صورة الحاوى وتعميق خطوطها .

(كنا نلعب وإذا بالساحر بيننا ، ولم يقل أحد أنه هو ولا كنا رأيناه من قبل ، ولكن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عينيه الحادتين الغائرتين دلتانا عليه، ولحيته الكثة الهائجة وشت به ، والخيزرانة التى فى يمينه نمت عنه، وكان فى ما عدا ذلك كسائر خلق الله ، على قدميه ـ وهما أول مارأيناه ونحن مشنيون ننظر إلى البليات المتصادمة ـ « بلغة » عتيقة كانت فى أيام جدتها صفراء ، ثم ازداد لونها على الأيام لا شحوبا ـ كما هو حالنا نحن بنى آدم ـ بل قوة وعنفا وامتلاء . أو انقلبت حمراء ثم أخـــذت حوافيها ولا سيما حيث تحف بالأصابع ـ تسود وفوق ذلك ساقان عاريتان عليهما غابة كثيفة من الشعر ، وفيما يلى الركبتين خيوط وهلاهل من نسيج قميص أزرق باهت مشدود إلى وسطه بحزام من الليف فوقه عب منتفخ لم نشك ـ ونحن ننظر إليه ـ أن فيه غلاما مخبوءا، فارتفعنا بعيوننا عنه بسرعة فلقيتنا عينه بنظرة ســـرتنا حيث كنا فتراخت أعصابنا فتفلت « البلى » من بين أصابعنا إلى الأرض ولم يعد بيننا واحـــد ربح وآخر خسر .

خيوط العنكبوت ص ٣٥ .

ووصف المازنى له ظلال يمدها على الحياة والناس ففى صورة الساحر أو الحاوى التى خدم فيها الألوان تخديما بارعا نرى « البلغة » وحدها (صورة) . تغير اللون فيها وتطوراته وحوافيها ولا سيما حيث تحف بالأصابع . . وهنا يسلط المازنى على الصورة ، كالشعاع سخريته المعروفة التى ترى البلغة العتيقة يزداد لونها على الأيام ـ لا شحوبا كبنى آدم بل قوة وعنفا وامتلاء فينقلب صفارها احمرارا وكثير ما تحول سخرية المازنى «الصورة » إلى نقد اجتماعى وتكسبها قيما إنسانية وأنا هنا أتمثل صورة (سلطان الرجـــل) ممثلا فى أبيه الذى يجعله فيها مركز الثقل أو نقطة الانطلاق يتثاءب فينقلب السكون ضجة أو تشتد حركة الصورة فى سرعة وجلبة حين (يتعمد كل إنسان أن يسمعه صوته ويثبت له أنه يتحرك فى خدمته) ... وعندى أن اللمسة الفنية فى هذه الصورة قول المازنى (كل من فى البيت يخدمه حتى أمى ، بل حتى أمه هو) فى هذه العباره شحنة من الرأى والنقد والمرارة والسخرية) .

وكما صور المازنى ، الأشخاص ، صور الطبيعة . ومن أجمل صوره فى هذا الباب ، صورة عصفور ود المازنى لو كانه وإن حكى أن (شوشو) هى التى ودت (لو أنها كانت عصفورا يذهب إلى حيث يشاء ويحلق فى الجوزاء ، ويسبح فى الفضاء ، ويبصر وهو ناشر جناحيه كل ما بين الأرض والسماء عصفوراً ينحدر على شعاع من نور الشمس أو خيط من ضوء القمر ـ عصفوراً يرفع منقاره وهو طائر ويتلقى فى فمه الدقيق قطرة من المطر ـ عصفوراً يحط على أعلى فنن فى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أسمق شجرة ، أو يهوى إلى الأرض ويخطو بين أغصان البرسيم فتحجبه ويضع بيضه الصغير فى حيث يروقه أن يؤلف عشه ، ويمد منقاره إلى الماء حيث يجده ويمص قطره ويتلفت - عصفوراً لا يغير ثيابه ولا يبدل أفواف ريشه ولا يكون فى رأى العين مع ذلك إلا جميلا) .

وبعد أن رسم المازنى هذه الصورة النابضة المنسابة الخطوط السريعة الحركة الكثيرة اللفتات وجاء دور اللسة الأخيرة بها خالجة نفسيه تأكيدا لشخصية الفنان ، خالجة تتسرب هادئة إلى الصورة فتعطيها قيمة وتمد لها فى الاستمرار .

يقول المازنى بعد أن فرغ من رسم العصفور (الذى لا يغير ثيابه ومع هذا يبدو جميلا) .

آه إنه روح الكون ولا شك فى العصافير والسحب سابحة تجوب الآفاق - وفى الأزاهر والأشجار التى لا تكون إلا عطرة ، ولا تبدو إلا حالية مونقة ولا يعتورها قلق ولا يساورها اضطراب . (إبراهيم الكاتب)

* * *

كان المازنى رسام صور وهو من هذه الناحية صاحب مدرسة . إن أدب المازنى المصور له شخصية وله مدرسة وإن سلم أسلوبه التعبيرى على التقليد لعمق أصالته فشق على المقلدين . ولكن صور المازنى - ويدخل فى باب الصور عندى قصصه ، - هذه الصور التى طوع لها اللغة لتؤدى دقائقها وترسم فى سهولة أبعادها وأعماقها ، هذه الصور لها شخصية واضحة فى الأدب المصرى الحديث أثرت فى جيل القصاصين بعده كعبد الحميد جوده السحار ونجيب محفوظ وأضرابهما .

والمازنى المصور فى كل إنتاجه إنما يعبر عن روح عصره ، ويصور ساخراً حينا ، وجاداً حيناً آخر ، البيئة التى عاش فيها وانفعاله بها. فإنتاجه القصصى ومقالاته وفكاهاته ما هى إلا صورة لمصر ومن مصر التى قوى إحساسه بها فعبر عنها وأحسن التعبير .

لقد كتب كثيرون من معاصريه وصوروا وبعض هذا الذى كتبوه يلتقى معه فى العنوان أو زاوية من الزوايا ، وقد أغفلت عامدة المقارنة حتى لا يتشعب البحث ويطل الخلاف فى الرأى والتفضيل ، كما تعمدت ألا أتناول بالبحث الدور الذى لعبته ثقافته الانجليزية فى اتجاهات أدبية مؤثرة الدراسة الموضوعية ؛ لأن المقام لا يحتمل الإطالة أو مناقشة التفاصيل . إننا نكرم رجلا ، فى أدبه الغنى الإنسانى ، الكثير مما ينهض بعضه بتأهيل صاحبه لإعزاز الأدب وتكريم الأدباء ؟

نعمات أحمد فؤاد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

منهج القرآن فى تربية الفرد

للأستاذ خليل البرقوقي

سلك القرآن الكريم فى تربية أبنائه منهجا علميا دقيقا ، تقوم دعائمه على معرفة تامة بأغوار النفس البشرية ، واستعداداتها الفطرية ، وقدراتها الخاصة ، فلم يترك وسيلة من الوسائل تؤدى إلى استغلال الطاقات الكامنة فى نفوس البشر ، وتسخيرها فيما يعود على الجماعة بالخير إلا طرقها ، من أجل تكوين مجتمع مثالى ، يعمر العالم .

والدارس للقرآن الكريم يرى لأول وهلة أنه يلتزم فى خطته التربوية ، الحقائق العلمية التى كشفت عنها البحوث النفسية الحديثة ، قبل أن تعرف هذه البحوث بآماد طويلة ، مما يدل دلالة قاطعة على أنه جاء من لدن حكيم عليم .

ومن الأسس النفسية التى راعاها القرآن فى اجتذاب الناس إلى مبادئه السامية ، إشعار الخلق جميعا بالأمن والعدالة المطلقة ، عن طريق إقرار مبدأ المساواة فى نفوسهم ، فلا تفرقة عنصرية ، ولا امتياز لجنس على آخر ، بل الكل سواء أمام الله ، وميزان التفاضل بينهم هو التقوى ، والعمل المثمر « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل ؛ لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » وبهذا المبدأ القويم استطاع القرآن الكريم ، أن يستل من النفوس عوامل القلق ، ورواسب الخوف ، المنبعثة من اختلاف اللون والجنس ، وأن يستميلها إلى دعوته .

ولم يهمل القرآن مبدأ الفروق الفردية بين البشر ، بل أولاه عناية خاصة ، فقرر فى أكثر من موضع أن الناس متفاوتون فى قدرتهم على التفكير والعمل ، ولذلك « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » ، وأن الظروف المحيطة بالإنسان قد تؤثر فى قدرته ، فتحد منها أو تزيد ، فللمسافر حكم ، وللمقيم حكم ، وكذلك الصحيح والمريض ، والسليم والأعرج ، والأعمى والمبصر « ليس على الأعمى حرج ، ولا على الأعرج حرج ، ولا على المريض حرج ... » ، وبمراعاة هذه الفروق عالج القرآن الكثير من العقد النفسية ، التى يسببها الشعور بالنقص أو الضعف .

ولقد أشبع القرآن فى النفوس حاجة كل منها إلى العبادة والتأليه ، والخضوع للقوة القاهرة المسيطرة على عناصر هذا الكون ، ولكنه حرر الأفراد من كل سلطان ، سوى سلطان الله جل شأنه ، ونمى شخصياتهم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بنفي الوساطات بينه وبينهم ، فالناس جميعا ، غنيهم وفقيرهم ، قويهم وضعيفهم محتاجون إلى رعاية الله وحده « يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد » .

ولكي يعد أبناءه إعدادا سليما ، ويوجههم إلى العمل البناء ، بين لهم أن النجاح وليد الرغبة والميل ، وأنه متى توفر الميل النفسي وضح الطريق ، وهانت المتاعب ؛ لأن الرغبة في الشيء تذلل المتاعب التي تعترض طريقه . وتهون من أمرها « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

إن القرآن الكريم يريد للناس عالما مزدهرا متطورا ، يسوده الحب ، ويرفرف عليه السلام ، وينهض به العلم والعمل ، ولهذا نادى بالتعاون والتعايش السلمي حتى يعيش الناس في أخوة ووئام « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » ودعا إلى العلم والعمل ، لأنهما وسيلة الإنسان إلى السعادة والرقي ، وتطوير الحياة من حسن إلى أحسن ، فأحاطهما بهالة من القداسة ، ثم أخذ يستثير حوافز الناس إليهما بكل وسيلة ممكنة ، بالإقناع بأيسر السبل « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ؟ وبالحث القوي على المعرفة « أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض » « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم » وبالاستهواء « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

أما العمل فقد جعله شرطاً أساسياً لأهلية الناس للدعوة العامة واستحقاقهم الأكل من تلك المأدبة الجامعة التي دعاهم إليها رب العباد حين قال « هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه » فالأرض ملك لله بحكم الإيجاد والإنشاء ، وهي حافلة بالخيرات والكنوز ولكل فرد الحق في أن يأكل منها بموجب تلك الدعوة ، ولكن بشرط واحد ، هو العمل وأقل العمل هو السعي فيها بحثاً عن الرزق.

ولما كان الإنسان قد يتحول إلى حيوان مفترس ، ووحش ضار ، إذا ترك لغرائزه دون أن تحاط بسياج متين يحميها من الانحراف ، ويوجهها الوجهة السليمة ، فإن القرآن الكريم يقرر مبدأ المسئولية والجزاء ، ليشبع في النفس حاجتين ، الحاجة إلى الزاجر والرقيب ، والحاجة إلى التشجيع والثواب والتقدير « من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها » « كل نفس بما كسبت رهينة » « ولا تزر وازرة وزر أخرى » « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » .

والأمل واليأس أثر كبير على نفس الإنسان وإنتاجه ، فقد يدفعه الأمل إلى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التفوق حتى يسلك فى عداد الأفذاذ وقد يقعد به اليأس حتى يعد من الأموات ولو كان حياً ، فبالأمل واليأس ، تزدهر الحياة أو تقفر . ولذا فتح القرآن باب الأمل على مصراعيه أمام الناس ، ليلجوا منه إلى رحمة الله ، إلى النجاح والفلاح ، إلى تدارك الأخطاء ، وإصلاح ما فسد ، إلى الإنتاج السليم القائم على الخبرات المكتسبة ، عن طريق المحاولة والخطأ حينا ، والنجاح والفوز حينا آخر ، وبقدر ما أفسح المجال للأمل نراه يوصد باب اليأس فى وجوه الأفراد ، ويحاربه حربا عنيفة لا هوادة فيها حتى لا تقفر النفوس من حوافز العمل ، فتتوقف عن الإنتاج المثمر أو تسلك طريق الشر والرزيلة ، فتندثر الحياة ، وتزول معالمها « وربك الغفور ذو الرحمة » « فإن مع العسر يسرا ، إن مع العسر يسرا » « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان » « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك » « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم ، لا تقنطوا من رحمة الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » . « ولقد جعل الحسنة بعشر أمثالها ، وجعل جزاء السيئة سيئة مثلها ، إمعانا فى فتح باب الأمل ، وتشجيع الناس ، وإغلاق نوافذ اليأس حتى لا يتسرب إلى النفوس فتضرع فى حبائله .

ولقد عرف القرآن الكريم أثر الشعور بالعزة والكرامة فى نفس الإنسان ، ومدى ما للثقة بالنفس على سلوكه ، فدعم ذلك الإحساس فى نفوس أتباعه عن طريق الإيحاء بقوله « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر » ولكنه لمعرفته التامة بالنفس وتقلباتها ، ونظراً لما بين الثقة بالنفس والغرور من تقارب ، احتاط للأمر ، ورسم الحدود والمعايير التى تكفل للطبيعة البشرية السلامة من الانحراف ، والبعد عن الغرور ، والانصباب فى دروب السلوك السوى ، فساق قصة آدم وإبليس لتكون للناس عظة وعبرة فلا ينخدعوا بالمظاهر الجوفاء « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين . قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ، قال أنا خير منه ، خلقتنى من نار وخلقته من طين . قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها ، فاخرج إنك من الصاغرين » . وبهذا سلم القرآن الكريم من النقد الذى وجه إلى أسلوب التربية المبنية على نظرية « السوبرمان » أو الإنسان الممتاز عند نيتشه فيما بعد .

ويؤكد القرآن كرامة الإنسان لإنسانيته لا لمنزلته أو جاهه أو سلطانه ، ويحذر من إهدار آدميته ولو كان ذلك لمصلحة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يغنمها ، ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر » ، « قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم » .

والإنسان مولع بالتقليد والمحاكاة ، ولهذا أمده الله جل شأنه بكون عامر بنماذج رائعة الجمال ، متسقة الجوانب ، لا أثر فيه للاضطراب حتى يصقل وجدانه ، بعد أن ينطبع بها ، ويشب على منوالها ، ولم يكتف بذلك بل بعث إليه صفوة ممتازة في السلوك والطبع ليقتدي بهم ، ولما كانت الكلمة الطيبة تفتح مغاليق القلوب ، والمعاملة الحسنة تأسر النفوس ، والقدوة الصالحة تجتذب الجماهير ، فإن القرآن الكريم يخاطب الرسول عليه السلام قائلا: « ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » ، « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » ويخاطب أتباعه قائلا : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » .

وعنى القرآن الكريم بالقصة كأسلوب ناجح من أساليب التربية ، نظراً لما لها من تأثير قوي على الوجدان ، ولأنها تنقل إلى القراء الأثر المطلوب بطريقة غير مباشرة ، فتطبعهم بانطباعات قوية حين تنقل إليهم التجربة المريرة أو الأثر المحمود الذي مر به أصحابها ، وكان للقصص التاريخي الذي يحكي أخبار الماضين ، وما آل إليه أمرهم أهمية كبرى في نظر القرآن ، ليتخذ الناس من الماضي عبرا تنفعهم في حاضرهم ، ودروساً تؤمن مستقبلهم ، وتحميهم من الانحراف كما تمشى في أساليبه التربوية مع الفطرة البشرية فأمر الناس بأن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد ، وأن يأكلوا ويشربوا ولكن دون سفه أو إسراف ، ورسم صورا رائعة للجنة وما فيها من متاع ، وأخرى مخيفة للنار وما فيها من آلام ومتاعب ، لتترسب في أعماق البشر ، وتتكون منها ضمائرهم خالصة نقية فتكون نعم الرقيب لهم ، تصرفهم عن الشر حبا لله ، وامتثالا لأوامره ، وتجنبا لعقابه وتدفعهم للخير استجابة لتعلقها به ، وأملا في اكتساب رضوان الله والاستمتاع بما في الجنة من نعيم .

حقا إن القرآن كتاب فصلت آياته من لدن حكيم عليم ، وإنه لمن الواجب على المسلمين جميعا دراسة هذا الكتاب دراسة جديدة منهجية ، مبنية على أسس علمية ، تحشد لها الطوائف المتعددة من رجال الدين ومن غيرهم من المتخصصين في كل علم وفن حتى يخرجوا للناس تفسيراً عصريا يجمع بين الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية والعلمية المتوفرة فيه ، وبذلك وحده يؤدون واجبهم نحو الله والوطن ؟

خليل البرقوقي
المفتش بمنطقة الفيوم التعليمية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الموسوعات والمعاجم اللغويّة

للأستاذ عمر لطفي السيد

لا يخفى على المطلعين على تراث أسلافنا من علماء الإسلام ، أن اللغة العربية غنية بمعاجمها وموسوعاتها فى شتى العلوم والفنون ، وذلك بما تركه علماؤنا من آثار علمية فى مختلف القرون الإسلامية الزاهرة ، ولقد احتوت كتب التراجم والطبقات على كثير من تراجم العلماء الذين صنفوا معاجم لغوية أو موسوعات علمية ، مما بقى مخلدا على صفحات التاريخ يتوارثه الخلف عن السلف ، ويستقى من معينه رجال العلم والأدب على توالى الأيام وكر الشهور والأعوام ، ومما لا ريب فيه أن الأمة العربية هى فى الرعيل الأول من الأمم التى اعتنت بتدوين العلوم فى موسوعات كبرى وتصنيف المعاجم اللغوية ، وهذا يتضح جليا لكل من يتصفح كتب التراجم والطبقات ، كوفيات الأعيان ومعجم الأدباء والوافى بالوفيات ونفح الطيب وغيرها من المؤلفات المخصصة لطبقات العلماء والمؤرخين والأدباء ، ولقد شرع العلماء فى وضع معاجمهم منذ القرن الثانى للهجرة ، ففى هذا القرن نجد الخليل بن أحمد الفراهيدى وضع كتابه المسمى « بالعين » وهو أول معجم صنف على ما يظهر ، وقد ذكر المؤرخون أن الخليل لم يتمه بل أتمه غيره من علماء اللغة ، ثم أتى بعده من صنف فى اللغة ، وكان من أشهرهم إسماعيل ابن حماد الجوهرى الذى عاش فى المائة الرابعة فإنه ألف الصحاح فى اللغة ، ولكنه لما أشرف على نهايته أصابه هوس وخبل فى عقله فسقط من سطح داره مترديا ، وترك كتابه فى مسوداته فأكمله بعض تلاميذه . لهذا السبب وقعت فيه أغلاط وأوهام ، تتبعها العلماء من بعده كالعلامة أبى محمد عبد الله ابن برى فى حواشيه على الصحاح وابن برى من رجال القرن السادس ، هذا ومن الذين تتبعوا هفوات وأغلاط صاحب الصحاح العلامة مجد الدين الفيروزابادى أحد أعلام القرن التاسع ، فإنه كثيراً ما ينبه على أوهام الجوهرى فى القاموس المحيط ، والفيروزابادى من أبرز رجال القرنين الثامن والتاسع ، وهو صاحب المعجم الكبير المسمى « باللامع المعلم العجاب الجامع بين المحكم والعباب » فى ستين مجلدا ، وقد جمع فى كتابه هذا بين المحكم لعلى ابن سيده المرسى الأندلسى ، وبين العباب الزاخر واللباب الفاخر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لرضى الدين الصاغانى أحد أعلام القرن السابع ، وقد أثنى كثير من العلماء على مؤلفات الفيروزابادى ووصفوها بالتحقيق والاستيفاء والاستيعاب .

هذا وقد ذكر مجد الدين الفيروزابادى فى خطبة قاموسه المحيط ، أن كتابه هذا هو خلاصة ألفى كتاب من كتب اللغة التى ألفها أسلافنا من العلماء ، اطلع عليها المجد الفيروزابادى واستخرج منها الخلاصة المدرجة فى قاموسه ؛ الذى يحتوى على ستين ألف مادة حسب تحقيق العلماء ، وهذا من فضل الله ، إن الله ذو الفضل العظيم ، وليس بالأمر الهين الاطلاع على المظان العلمية ، وإنما ذلك موهبة خصها الله بطائفة من العلماء وكان فى مقدمتهم صاحب القاموس المحيط ، ولا أعتقد أن أحدا من العلماء فى العصر الحاضر مهما بلغ من العلم والاطلاع على تراثنا الإسلامى ، يستطيع أن يلم بأسماء ألفى كتاب فى اللغة ، فضلا عن الاطلاع عليها ودراستها واستخراج خلاصات منها ، ولا يخفى على المطلعين أن الإمكانيات فى القرون الأولى كانت غير متوفرة وأن طلاب العلم كانت تشد الرحال فى سبيل استنساخ الكتب ، وتقطع المسافات الطويلة لدراسة كتب العلم على مشاهير الشيوخ ، وربما كان ذلك فى زمهرير الشتاء ، أو حمارة القيظ ، مثلما حدث للعلامة أبى زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى وهو من رجال القرن السادس فانه وجد نسخة من كتاب التهذيب فى اللغة لأبى منصور الأزهرى فى عشرة مجلدات ، وجدها فى سوق الوراقين بمدينة تبريز فاشتراها ثم سأل عن شيخ قدير حتى يدرس عليه ذلك الكتاب القيم ، فدلوه على العلامة أحمد ابن سليمان المعرى فى معرة النعمان ، فشد إليه الرحال ووضع الكتاب فى مخلاة ، وسافر صحبة قافلة من تبريز إلى معرة النعمان .

والكتاب كان محمولا على ظهره فى تلك الرحلة الطويلة ، وكان ذلك فى زمن الصيف مما سبب خروج العرق من جسم الخطيب التبريزى إلى أن نفذ على غلاف ذلك الكتاب.

وقد بقى أثر العرق على تلك النسخة إلى أن اطلع عليها العلامة شمس الدين أحمد ابن خلكان وقال : عنها ولقد رأيت نسخة من كتاب التهذيب فى اللغة وعليها عرق الخطيب التبريزى ، وكما أن صاحب القاموس المحيط تتبع هفوات صاحب الصحاح فى مواضع كثيرة ، فكذلك تعقبه كثير من العلماء بالاستدراك والتحقيق والتصحيح مثل العلامة الشريف السيد محمد مرتضى الزبيدى الحسينى المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ فإنه تعقبه فى شرحه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الكبير على القاموس ، وبين المآخذ عليه وما زل به قلمه من أوهـــام وأغلاط ، وفى كثير من المواضع ينتصر فيها للجوهرى صاحب الصحاح ، وشرح السيد مرتضى على القاموس ، وهو المسمى بتاج العروس من جواهر القاموس ، كتاب جليل جمع فأوعى وهو لعمرى بغية الأديب والمنهل الصافى لرواد العلم وطلاب الثقافة .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر العلامة أبا عبدالله محمد بن الطيب الفاسى من رجال القرن الثانى عشر ، فإنه ألف حاشية على القاموس فى ثلاثة مجـــلدات ، تتبع فيها ما هفا به قلم الفيروزابادى من أوهام وأغلاط فى قاموسه وهكذا نرى العلماء يواصلون دراساتهم وملاحظاتهم على القاموس المحيط وكان من أواخرهم العلامة أبو زيد عبد الرحمن ابن عبدالعزيز ، فإنه صنف الوشاح و تثقيف الرماح فى رد توهم المجد الصحاح وهو كما يتضح من اسمه ينتصر فيه للجوهرى على المجد . ومن المتأخرين الذين لاحظوا على القاموس و بينوا هفواته وزلاته ، العلامة أحمد فارس الشدياق فإنه ألف الجاسوس على القاموس ، واسمه يدل على بيان ما يحتوى عليه القاموس من أوهام وأغلاط ، وهكذا نرى هؤلاء العلماء بعضهم يتتبع هفوات من قبلهم من العلماء ، وهذا دليل قاطع على نقصان العقول البشرية ، مهما بلغت من درجات العلوم والثقافة ، وفوق كل ذى علم عليم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون .

هذا ومن أشهر المعاجم العربية المحكم والمحيط الأعظم تصنيف على بن ســـيده الأندلسى من أعلام القرن الخامس الهجرى ، وله كتاب المخصص وهو كبير أيضا ومرتب على الأبواب ، لا على ترتيب المعاجم المتداولة ، ثم أتى بعده رضى الدين الصاغانى وكان من رجال القرن السابع فألف العباب الزاخر واللباب الفاخر ، وقد اعتمد فى تأليف كتابه هذا على المحكم لابن سيده وعلى غيره ، إلا أنه لم يتمه ، بل وصـــل فيه إلى مادة بكم ، ثم قضى نحبه وفيه يقول بعض الشعراء :

إن الصغانى الذى حاز العلوم والحكم
كان قصارى أمره أن انتهى إلى بكم

هذا ، ومن النوابغ الذين تزين بهم جيد الزمان ، العلامة محمد جمال الدين بن منظور من أعلام القرن الثامن . وهو صاحب لسان العرب الذى يعد أوسع لمعاجم العربية من حيث الاستيعاب والتبسط فى العبادة و لقد اعتمد مؤلفه فى كتابه هذا على الصحاح والتهذيب والمحكم والنهاية وحواشى بن برى على الصحاح وجمهرة ابن دريد . ولسان العرب فى ٢٠ مجلدا ، وهو يحتوى على علوم شتى كالتفسير

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والحديث واللغة والنحو والصرف والاشتقاق وأيام العرب وأمثالها ، وغير ذلك من المواضيع التي تهم العلماء ، وهو لعمري ضالة الأديب وبغية الأريب ومقياس الأدباء ومرجع العلماء ، وابن منظور يتصل نسبه بالسيد رافع بن ثابت الأنصاري دفين مدينة البيضاء بليبيا ، كما ذكره مؤلف اللسان في مادة ج ر ب ، والسيد رافع بن ثابت الأنصاري كان واليا على ليبيا في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، وتوفي في منتصف القرن الأول من الهجرة ، وقد ذكر شارح القاموس بأن لسان العرب يحتوي على ثمانين ألف مادة من كلام العرب ، بينما القاموس المحيط لا يحتوي إلا على ستين ألف مادة ، والصحاح على أربعين ألف فقط .

وهذا يدلنا على اتساع اطلاع مؤلف اللسان واجتهاده وتتبعه لشوارد اللغة في مظانها ، ولقد تتبعنا في المظان التاريخية حتى نستطيع أن نعلم مسقط رأسه ، فلم نجد لذلك أثرا ، غير أن المرجح أن ميلاده كان بمدينة طرابلس الغرب « بليبيا » ودليلنا على ذلك وجود أسرة بها ، تدعى أسرة « ابن مكرم » وهي بلا شبهة من سلالة ذلك الجهبذ الكبير ، وفضلا عن ذلك فإنه تولى قضاء طرابلس الغرب ، وجده الأعلى رافع ابن ثابت الأنصاري دفين البيضاء « بليبيا ».

فهذه الدلائل تدل على أن صاحب اللسان ليبي الأصل والمنشأ والدراسة ، ويقول المؤرخون كالصفدي وابن حجر وجلال الدين السيوطي : أن ابن مكرم تولى رياسة ديوان الإنشاء بمصر ، ولم يذكر هؤلاء المؤرخون الوطن الذي توفي فيه ، غير أنهم يحددون تاريخ وفاته سنة ٧١١هـ ولابن مكرم مؤلفات أخرى غير لسان العرب ذكرها الصفدي الذي قال عنه : إن مؤلفات ابن مكرم بلغت خمسمائة مجلد ، حتى إنه من كثرة الانهماك في التأليف ومراجعة المظان فقد بصره في آخر عمره ، ورحم الله القائل :

أفنيت عمرك في علا ومآثر
وإفادة للعلم أو تصنيف
وسبحت في بحر العلوم مغامرا
أمواجه والناس دون سيوف

* * *

الموسوعات :

اشتهرت طائفة من كبار علماء الإسلام بوضع مؤلفات جامعة للعلوم المختلفة ، فريق من هؤلاء من المشرق وفريق من الأندلس ، فمن رجال المشرق الذين حدثنا عنهم المؤرخون ، العلامة محمد بن الحسين البنجذيهي الزاغولي ، مصنف قيد الأوابد في أربعمائة مجلد ، يشتمل على التفسير والحديث والفقه واللغة ، وهو من علماء القرن السادس ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ثم أتى بعده النويرى فألف نهاية الأرب في فنون الأدب وهو كتاب كبير متداول بين العلماء ومؤلفه من أقطاب القرن الثامن الهجرى ، ولا يخفى على المحققين من العلماء ما فى هذا الكتاب من بحوث ينفيها العقل السليم ولا يقبلها التحقيق العلمى ، وكأن صاحبه جارف سيل وحاطب ليل ، ومهما يكن من الأمر ، فالكتاب كبير جداً وفيه كثير من الفوائد المتنوعة ثم أتى بعد النويرى ، شهاب الدين أحمد العمرى المعروف بابن فضل الله ، فألف موسوعة كبيرة فى ٢٠ مجلدا ، أسماها مسالك الأبصار فى أخبار ملوك الأمصار ، وقد طبع منها على ما يظهر المجلد الأول باعتناء المرحوم شيخ العروبة أحمد زكى باشا ، وبحوث الكتاب أكثرها فى التاريخ وتقويم البلدان ، وفى القرن التاسع نبغ العلامة جلال الدين السيوطى وألف موسوعة كبرى فى خمسين مجلدا ، عدا مؤلفاته التى تجاوزت ٣٠٠ تأليف ، وقد نعتها بالفلك المشحون ؛ لأنها مشحونة بأنواع العلوم ومختلف الفنون ، ومؤلفات السيوطى رحمه الله ينقصها التحقيق والتمحيص فى بعض الحالات ، وكل من يطلع على بعض مؤلفاته مثل حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، يجد فيه بحوثا بعيدة كل البعد عن المفهوم العقلى والتدقيق العلمى ، وعلى كل حال فالإمام السيوطى مؤلفاته كثيرة جدا ، وما سلم مكثار ولا أقيل له عثار ، وكفى المرء نبلا أن تعد معايبه » .

هذا وفى القرن الثالث عشر نبغ العلامة السيد محمد صديق خان القنوجى أحد أمراء الهند ، وألف مؤلفات كثيرة فى شتى العلوم ، ومن أشهرها « أبجد العلوم » فى ثلاثة مجلدات ، جعل القسم الأول منه لمبادئ العلوم ، والقسم الثانى لأشهر مؤلفات علماء الإسلام ، والثالث فى تراجم مشاهير العلماء وهو مطبوع فى الهند ، والكتاب قيم من حيث غزارة المادة والنقل ، إلا أنه ينقصه الترتيب العلمى والتنسيق الفنى .

ومما لا شك فيه أن المؤلف رحمه الله بذل مجهودا جبارا فى جمع شوارد كتابه من مئات المجلدات ، وهذا عمل عظيم يشكر عليه من الهيئات العلمية — وفى الأقطار الأندلسية نشأ فى القرن الرابع العلامة أحمد بن أبان اللغوى ، وألف موسوعة كبرى أسماها « العالم واللغة » فى مائة مجلد ، رتبها على الأجناس ، بدأ فيها بالفلك لكونه أعظم الأجسام وختمها بالذرة ، هذه الموسوعة لعبت بها طوارق الحدثان ونوائب الزمان ، وأصبحت أثرا بعد عين مثل غيرها من آثار أسلافنا فى المشرق وفى الفردوس المفقود ، وأصبحنا لا نعرف عن تلك الآثار

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

القيمة إلا أسماءها فى كتب التاريخ ، ولله الأمر من قبل ومن بعد ، ومن المتأخرين الذين اعتنوا بهذا الأمر بطرس البستانى الذى اعتزم على تأليف دائرة المعارف وأصدر منها ثمانية مجلدات ، ثم اتفق ولداه نجيب ونسيب بعد وفاته مع ابن عمهما العلامة سليمان البستانى على إصدار بقية الأجزاء ، فأصدروا التاسع والعاشر والحادى عشر ، ولم يواصلوا سير العمل فيها فبقيت مبتورة لغاية الآن ، ودائرة معارف البستانى جل مواضيعها تاريخية وجغرافية ؛ ثم أتى بعد البستانى العلامة المرحوم محمد فريد وجدى فألف دائرة معارف القرن العشرين فى عشرة مجلدات ، نحا فيها طريقة الغربيين فى قواميسهم العلمية واللغوية ، فأجاد وأفاد . هذا وإذا نظرنا إلى ما تنتجه المجامع العلمية فى أوربا من موسوعات ضخمة مثل لاروس للقرن العشرين ولاروس العام ولاروس الطبى والتجارى والزراعى ، ومثل دائرة معارف « تريقانى » الإيطالية وغيرها ، أقول إذا نظرنا إلى تلك الآثار الثقافية الجبارة ذات التنسيق البديع والطبع الأنيق وغزارة المادة العلمية ، يستولى علينا الذهول والخجل ونرى أنفسنا فى مؤخرة الأمم المتقدمة ، لأننا لا نملك ما تملك تلك الأمم من قواميس ضخمة تحتوى على العلوم البشرى ، لذلك أرى لزاما علينا نحن العرب ، ونحن فى فجر النهضة العربية المباركة ، أن نتدارك الأمر وذلك بأن يسعى مجمع اللغة العربية الموقر ، فى تشكيل لجان علمية ذات اختصاصات حتى تضع فى أول الأمر قاموسا[1] فى مجلد واحد على غرار لاروس الصغير وقاموس « ملسى » الجديد الإيطالى ، ثم بعد فترات من السنين تقوم تلك اللجان بوضع القاموس المتوسط ، وربما بعد فترة أخرى تضع القاموس العلمى الكبير ، وبذلك يكون مجتمعنا خطا خطوات كبيرة إلى الأمام ، ونستغنى عن المراجع الإفرنجية التى نحن الآن عالة عليها ، ولله در القائل :

لسنا وإن أحسابنا كرمت
يوما على الأحساب نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا
تبنى ونفعل مثلما فعلوا

سدد الله خطانا لما فيه مصلحة هذه الأمة العربية ، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

عمر لطفى السيد
من خريجى الأزهر

---

[1] المجلة : صدر أخيرا المعجم الوسيط .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نظرية التعسف في استعمال الحق

للأستاذ أحمد فهمي أبو سنة

— ٢ —

يمكن حصر أصول مسائل التعسف في استعمال الحق بالاستقراء في أربعة :

الأصل الأول : ما إذا استعمل حقه لا يقصد من ذلك إلا الإضرار بغيره وليست له مصلحة فيه (وذلك كمن يدعى على آخر جريمة أو عملا غير لائق لا يقصد بذلك إلا الإضرار به هذه الدعوى لا تسمع ويعذر المدعى إذا ثبت ذلك بالقرائن) — وفي فقه المالكية كما في التبصرة لو ادعى الصعاليك على أهل الفضل دعاوى باطلة وليس غرضهم من هذا إلا أن يشهروا بهم ، ويوقفوهم أمام القضاء للإيلام والامتهان ، لا تسمع الدعوى ويؤدب المدعى .

ومن ذلك ما إذا أراد الزوج أن يسافر بزوجه إلى بلد بعيد وهو غير مأمون عليها ، لا يريد بذلك إلا الإضرار بها وإيذاءها ، أو سلب مالها : فيقضى بمنعه من السفر بها للإضرار[1] وقد قال تعالى: « ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن » . يعني لا تضاروا المعتدات في السكنى : فالزوجات أولى ألا تضاروهن — والأصل في مسائل هذا الباب تحريم إمساك المعتدة بقصد الإضرار بها ، وتحريم وصية الضرار وبطلانها ، وتحريم طلاق المريض ليفر به من ميراث زوجته ، فتقاس سائر مسائله عليهما لاتحاد العلة وهي قصد الإضرار.

الأصل الثاني : أن يستعمل الإنسان حقا يقصد به تحقيق مصلحة له ، فتترتب عليه مفاسد وأضرار لاحقة بالغير هي أعظم من هذه المصلحة أو مساوية لها ، وذلك كاحتكار ما يحتاج إليه الناس في أوقات الغلاء ، أو القحط يقصد به البيع بثمن مرتفع : فإن المحتكر يريد من ذلك مصلحة الربح الكثير ، لكن يترتب على هذا ضرر عظيم يلحق الجماعة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « الجالب مرزوق والمحتكر ملعون » .

ومن هنا يمنع من الاحتكار ويباع عليه ما احتكره بثمن المثل إن امتنع من البيع .

ومن ذلك إغلاء التجار السعر على الناس

(١) انظر ابن عابدين ص ٤٩٥ وما بعدها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بحيث يصل إلى ضعف قيمة السلع فإن تقدير البائع لثمن مبين حق له ولكن استعماله على هذا النحو وإن حقق مصلحة له فقد نشأت عنه مفاسد عظيمة بالجماعة ولذلك قال الحنفية والمالكية إذا عجز ولى الأمر عن رد التجار إلى الأسعار العادية بكل الوسائل أزال هذا الضرر بالتسعير بمشورة أهل الخبرة وقد ثبت هذا بالمصلحة المرسلة لدفع الضرر عن الجماعة فإن امتنع التاجر من البيع بالسعر المحدد بيع عليه كما يباع المال على المدين وفاء للدين .

وقال الشافعية وبعض الحنابلة بمنع التسعير واستدلوا بما روى أنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم « ألا تسعر لنا فقال إن الله هو المسعر القابض الباسط وأجاب القائلون بالتسعير بأن الحديث كان فتوى فى واقعة خاصة بسبب خاص فلا تدل على عموم الحكم.

ومنه تلقى التاجر للوافدين إلى السوق من أهل الريف والبادية وشراء ما جلبوه بالثمن الرخيص لبقية لأهل المدينة غالبا حيث يضر ذلك بأهل المدينة وبالوافدين وقد نهى عنه النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ولا تلقوا الركبان لبيع » .

ومنه بيع السلاح فى أيام الفتنه أو لقطاع الطريق وبيع العصير ممن يتخذه خمرا وبيع الحاضر للبادى [1] حيث قال الإمام أحمد ببطلان هذه العقود لرجحان المفسدة .

والمسائل المنصوص على حكمها مما قدمنا أصل فى هذا النوع فيثبت الحكم لنظائرها بالقياس وإن شئت أثبته بالمصلحة إن تعذر القياس [2]

الأصل الثالث : أن يستعمل حقه المشروع عقدا أو غيره يقصد به تحقيق غرض غير مشروع مغاير للغرض الذى وضعه له الشارع

وهذا كالبيع الذى يقصد به الربا ومن هنا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع وسلف لأنه يؤدى إلى الربا كأن يبيع سوارا يساوى أربعمائه بخمسمائه على أن يقرض البائع أربعمائه فإن هذا العقد يئول إلى ربا النسيئة وهو أخذ تسعمائه ليردها ألفا .

وكبيع العينة لأنه يؤدى إلى الربا أيضا وهو شراء ما باع بثمن أقل من الثمن الذى باع به قبل قبض الثمن حيث تكون زيادة الثمن المؤجل ربا .

ومنه زواج التحليل فإن الزواج موضوع

---

(١) قال صلى الله عليه وسلم « لا يبيع حاضر لبادى دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض » .

(٢) انظر فى هذا الأصل مغنى ابن قدامة فى البيع جـ ٤ الزيلعى فى كتاب الكراهية فصل فى البيع الدر وابن عابدين فى كتاب الوقف . الطرق الحكمية فى التسعير والاحتكار .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

للعشرة الدائمة وتكوين الأسرة وقصد به عمل مؤقت مذموم عند الله وقد تقدم تحريمه بالحديث الكريم .

ومنه البيع الذى قصد به إسقاط الشفعة وهبة المال التى قصد بها الواهب إسقاط فريضة الزكاة أو الحج — فما ثبت بالنص فى هذا الباب يعتبر أصلا وغيره يقاس عليه (١) .

هذه الأنواع الثلاثة مبنية على قاعدة سد الذرائع فوق ما تقدم من الأدلة نذكر أن الأنواع السابقة للتعسف فى استعمال الحق مبنية على أصل عظيم من أصول الشريعة وهو سد ذرائع الفساد .

وضابطها أن الشارع إذا حرم شيئا حرم وسائله المفضية إليه وهذا يتحقق فيما إذا أفضت الوسيلة إلى ضرر مقصود أو إلى مصلحة معها مفسدة تساويها أو تترجح عليها أو إلى غرض حرمه الشارع كالربا أو الزنا وبالجملة إذا أفضت إلى إسقاط الواجبات وإحلال المحرمات .

وهذا الأصل تثبته أدلة كثيرة فى الشريعة منها قوله تعالى « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم » :

فإن مفسدة سبهم للإله الحق أعظم من مصلحة سب الأصنام المباح فمنع السب المباح لذلك ومنها قوله تعالى: « ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن » حيث حرم الضرب المباح لما فيه من إثارة الميول الخسيسة ومنها تحريم البيع عند نداء الجمعة ؛ لأن مفسدة الانشغال عن الصلاة أعظم من مصلحة البيع ومنها تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها لأن مفسدة قطيعة الرحم أعظم من مصلحة الزواج ومنها امتناعه صلى الله عليه وسلم من قتل المنافقين حيث عبر عن ذلك بقوله : (ولا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه) مفسدة لأن تنفير الناس من الإسلام أعظم من مصلحة القتل .

وقد أطلنا بعض الشيء فى ذكر الأدلة ليظهر ظهور النهار أن ما يخاله الناس قواعد قانونية مبتكرة لأهل الغرب هو من ضروريات الشريعة المحكمة .

وهذه الأنواع كذلك مبنية على أصل آخر وهو أن الحيل التى تؤدى إلى إسقاط واجب أو إحلال محرم تقع باطلة .

وتدل عليه كثرة الأدلة منها قول النبى صلى الله عليه وسلم . (لعن الله اليهود إن الله

---

(١) انظر فى هذا الأصل المغنى لابن قدامة فى البيع — نيل الأوطار فى البيع و لدور وان عابدين فى الشفعة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لما حرم عليهم شحوم الميتة جملوها أى أذابوها فباعوها وأكلوا ثمنها (١)) .

الأصل الرابع :-

أن يستعمل الإنسان حقه لكن دون احتراس وتثبت فيما يمكن فيه الاحتراس فيفضى هذا إلى الإضرار بالغير .

وذلك كما إذا أراد أن يصيد طيرا فطاش سهمه وأصاب إنسانا أو حيوانا بضرر فإن الصيد حق مباح ولكنه لم يحترس فى استعماله له ولم يتثبت فأدى إلى ضرر الغير وهو المعروف بالخطأ فى الفعل ، وكما إذا ضرب دابة غيره يظن أنها دابته فأعطبها أو قطف ثمرة غيره يظن أنها ثمرته وهو المعروف بالخطأ فى القصد وهذا تعسف فى استعمال الحق .

وحكمه ضمان هذا الضرر إنسانا أو حيوانا لأن القرآن يدل على تضمين المخطئ كما فى قوله تعالى « ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله » .

ومن ذلك سائق السيارة إذا صدمت إنسانا فقتلته أو أتلفته لأنه استعمل حقه فى قيادتها لكنه لم يحترس .

ومن ذلك مالو استعمل فى الدفاع الشرعى سلاحا لا تدعو إليه ضرورة الدفاع فأدى إلى ضرر فإنه يضمنه — وفى الدر وابن عابدين (١) المرأة إذا أريدت بسوء والزوج إذا وجد رجلا مع امرأته وأمكن الدفع بالصياح أو بالضرب بما دون السلاح فاستعمل السلاح ضمن الضرر المترتب عليه .

لكن محل ضمان الضرر فى هذا الأصل إذا أمكن الاحتراس عنه عادة أما إذا لم يمكن فلا ضمان كالطبيب إذا أجرى جراحة على النحو المعتاد بين الأطباء فتلف بها إنسان وذلك لاختلاف طبائع الناس واحتمالهم للجراحات .

أما إذا أمكن الاحتراس فإنه يكون مقصراً كالحمال إذا زلقت رجله فأتلف ما يحمله والكواء إذا أحرق الثوب الذى يكويه .

وقاعدة الحنفية فى هذه المسألة أن الإنسان إذا أتى بمباح فترتب عليه ضرر بالغير ضمن لأن استعمال المباح مشروط بالسلامة والضرر دليل عدم الاحتراس ، وذلك كالمرور فى الطريق وضرب الزوجة لترك الطاعة وإن فعل واجباً عليه فترتب ضرر لا يضمن كنفذ الأحكام والفصاد الذى يعمل بالأجرة لأنه مسلط على ذلك إلا إذا تجاوز ما أمر به أو أمكن الاحتراس عن الضرر فحينئذ يضمن . وقال الشافعى

(١) انظر فى هذا البحث الموافقات ج ١ فى بحث الحيل ، ج ٤ فى سد الذرائع وتنقيح الفصول للقرافى فى آخر الكتاب « إعلام الموقعين » فى بحث سد الذرائع ج ٣ .

(١) ج ٣ ص ٢٤٨ باب التعزير .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يضمن فى تنفيذ الأحكام . من الزيلعى ج ٣ ص ٢١٦ وابن عابدين فى الإجارة [١].

وقد يبدو غريباً ذكر الأصل الرابع فى أنواع التعسف ولكننا رأينا هذا لأنه ينطبق عليه تعريفه وإلا فالكل فى نظر الفقه من باب التعدى على سبيل التسبب .

التعسف فى استعمال السلطة :

رجال السلطة التنفيذية يتصرفون بالوكالة عن ولى الأمر فى حدود الأحكام المشروعة لذلك لا يجوز لهم أن يفعلوا ما يخالف الشريعة ولا أن يفعلوا ما لم يفوضوا فيه : فإن فعلوا شيئا من هذين اعتبر ذلك إساءة فى استعمال حقوقهم وترتب عليه إزالة ما لزمه من الضرر فإذا اغتصبوا مال الأفراد وضموه إلى ملك الدولة أو حصلوا ضرائب ظالمة لبيت المال ردت إلى أصحابها وإذا عاقبوا أحدا بغير جريمة أدبوا ما لم يكن ترتب الضرر عن اجتهاد ؛ كاجتهاد القاضى وفى ذلك يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إذا رأيتم فى اعوجاجا فقوموني . وكان رضى الله عنه يرسل المفتشين إلى الولايات لمراقبة عماله وصح عنه أنه عزل سعد بن أبى وقاص لما شكاه أهل الكوفة ومن أجل ذلك أنشئت محاكم المظالم فى خلافة عبد الملك ابن مروان لإنصاف أفراد الشعب من ظلم الحاكمين [١] .

ولهذا نرى أن تقنين العقوبات فى البلاد الإسلامية هو احتياط لدرء مفاسد التعسف فى استعمال الحق الذى قد يقع من القضاة لأن العقوبات على الجرائم فى ما عدا الحدود والقصاص كلها راجعة إلى التعزير — والعقوبات التعزيرية متفاوتة كما أن الجرائم متفاوتة ، فالقاضى ما لم يكن خبيراً بأحوال الناس وما يصلحهم متشبعاً بالعدالة بعيداً عن الأغراض والغايات كثيراً ما يقع منه الشطط فى تقدير الجريمة وتحديد العقوبة فكان التقنين هو الضمان الصحيح للعدل بين الناس ، وقد اتخذت الوسائل قديماً للمنع من التعسف كالحجر على الطبيب الجاهل والمفتى الذى يفتى الناس بالحيل الباطلة وكالحجر على المديان [٢] .

أحمد فهمى أبو سنة

(١) انظر فى هذا الأصل شرح الزيلعى وحاشية ابن عابدين فى كتاب الجنايات والمغنى المحتاج فى كتاب الجراح والدر وابن عابدين فى باب ضمان الأجير .

(١) انظر الأحكام السلطانية لابن أبى يعلى ص ٥٢ .

(٢) انظر فى هذا البحث فتح القدير وابن عابدين فى بابى التعزير والقضاء . رسالة العرف للباحث — وتاريخ الكامل لابن الأثير فى تاريخ عمر .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من أعلام المسلمين في الهند :

مولانا أبو الكلام أزاد

للأستاذ عبد المنعم النمر

اسم ملأ الأسماع والقلوب في الهند وخارج الهند ، وشخصية نادرة قل أن يجود بمثلها الزمان ، جمع بين الإمامة والزعامة في العلم والأدب والدين والسياسة حتى كان لقبه الغالب عليه بين الطبقة العليا من رجال السياسة والأدب والدين بل وعامة الشعب لقب « الإمام » .

وهب حياته منذ صغره لدينه ووطنه الصغير الهند ، ووطنه الأكبر : العالم الإسلامي ، ولم يكن يبالي بالصعاب ولا بالسجون في سبيل هدفه ، وشاء الله له أن يعيش حتى يرى ثمرات جهاده وتضحياته فنالت الهند استقلالها وتولى قيادتها مع زملائه المجاهدين في عهد الحرية كما قادها معهم في الجهاد من أجل الاستقلال .

كان والده « خير الدين » من المسلمين ذوي الغيرة على دينهم ووطنهم ، فلم يطق المقام في الهند بعد أن فشلت ثورة المسلمين على الانجليز لإنقاذ الحكم الإسلامي من قبضتهم سنة ١٨٥٧ م ، وتمكنت قبضة المستعمر من عنق البلاد وأخذ يكيد للمسلمين بوجه خاص ويطاردهم في دينهم وأرزاقهم .. فرأى « خير الدين » أن يرحل إلى بلاد يجد فيها متنفسا حرا ، فغادر الهند في نفس السنة التي فشلت فيها الثورة ، وكان شابا في مقتبل العمر ، واستقر في « مكة » بلد الله الحرام ، واشترى فيها داراً ، وتزوج من ابنة عالم كبير من علماء المدينة ، هو الشيخ محمد ظاهر الوطري ، واشتغل بالعلم والحياة ، ونشط في خدمة المسلمين ، فشارك في إصلاح « عين زبيدة » بما جمعه من أموال كثيرة من إخوانه ، في الهند والبلاد الإسلامية ، بلغت نحو مليوني روبية . وكان لهذا الجهد المشكور أثره المحمود ، في نفس السلطان عبد المجيد ، فمنحه أعلى الأوسمة المجيدية تقديراً لخدماته .

وفي مكة المكرمة ولد ابنه « محي الدين أحمد » وهذا هو الاسم الأصلي لمولانا أزاد وكان ميلاده سنة ١٨٨٨ م ولكن بعد ولادته بقليل أصاب الوالد كسر في ساقه ، ورأى أحباؤه وإخوانه في الهند وفي الحجاز أن يسافر إلى « كلكتا » للعلاج فسافر ، وهناك ألح عليه إخوانه ومريدوه ، أن يبقى معهم فأقام وكان ذلك سنة ١٨٩٠ م أي بعد ولادة ابنه المرموق بسنتين . .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ونشأ مولانا أزاد فى كلكتا وتعلم كما كان يتعلم أمثاله من أبناء الأسر المسلمة المحافظة التى تنأى بأبنائها أن يتعلموا فى مدارس الحكومة التى تلقنهم ما يتصادم أحيانا مع عقائدهم .. فتعلم مناهج المدارس الدينية العربية كى يشب محافظا على دينه وتقاليده ، بعيداً عن التأثر بمساوئ التعاليم الغربية .. فدرس الفارسية والعربية والفلسفة والحساب والفلك والجبر بجانب مواد الدراسة الدينية وتلقى كل ذلك على يد مدرسين خصوصيين فى بيت والده مما أتاح له الانتهاء من دراسة هذه المناهج فى سن مبكرة وبدأ يدرس هذه المواد للطلاب .. وقد كانت نشأته بين أبيه وأمه اللذان يجيدان العربية خير مساعد له على إتقانها حديثا وكتابة ـ وتلك ميزة قلما تتوفر للعلماء الذين يدرسون المناهج الدينية العربية فى الهند ـ وكان لذلك أثره بلا شك ، فى منهج حياته وتشكيلها ، وفى ثقافته الدينية العربية بوجه خاص ..

ولم يقنع الشاب الصغير بما حصل من علوم يقنع بها كثير من أمثاله بل أخذ يستزيد من المعارف ويقرأ الكتب والمقالات وتتفتح نفسه على آفاق جديدة لم يألفها من قبل . فشعر بضآلة ما درس من علوم حتى وجدناه يقول فى مذكراته عن تاريخ حياته « لم يمض كثير من الزمن حتى اهتديت إلى مطالعة مقالات « السير سيد أحمد خان » وتأثرت بها تأثراً بالغا وأدركت أنه ليس لأحد أن يصبح عالما بمعناه الحقيقى فى العالم الحاضر إلا بعد أن يدرس العلم الحديث والفلسفة والآداب الجديدة » .[1]

وقد دفعه هذا الشعور ، إلى أن يبدأ فى تعلم اللغة الانجليزية ، السائدة فى الهند ، فتعلمها سريعا ، ثم عكف على دراسة كتب التاريخ والفلسفة .. وقد أتاحت له هذه المعرفة الحديثة ، أن يطل على آفاق جديدة من الثقافة ، تعلق بها قلبه وعقله ، ولكنه وقع فى أزمة عقلية كبيرة ، كان لابد لأمثاله الذين تربوا فى بيئة محافظة ، وتلقوا علوما خاصة تتفق وهذه البيئة ثم ألقوا بأنفسهم فى تيار العلم الحديث ، كان لابد لهم أن يصادفوها .. ويتحدث هو بنفسه عن هذه الأزمة وسببها فيقول : ـ

« ولدت فى أسرة متمسكة بالتقاليد الدينية إلى آخر حد ، فلا تقبل أن ينحرف أحد أعضائها ، عن العادات الموروثة أى انحراف ، فى الوقت الذى لم أعد أقدر فيه على الانسجام من هذه العادات السائدة ، بل كان قلبى مفعما بثورة فكرية عليها ، مندفعا إلى البحث عن الحقيقة أينما كانت ، لاسيما بعد ما رأيت

---

(١) من « مذكرات « حياتى » المنشورة فى مجلة ثقافة الهند عدد سبتمبر ١٩٥٨ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من اختلافات رجال الدين المسلمين ، وتكفير بعضهم لبعض ، مع زعمهم أنهم جميعا يستقون من منبع واحد . . وظللت ثلاث سنوات مضطربا حائرا ، نهبا للشكوك ، باحثا عن حل لها يريحني ، ولم أجد بدا من أن أحل نفسي من التقيد بالتقاليد القديمة الموروثة ، وأترك لها حرية البحث عن الحقيقة واتخذت لنفسي لقب « أزاد » أي الحر ، تعبيرا عن الخطة التي اخترتها لنفسي في المباحث الدينية » .

وقد دفعه نضجه المبكر ، ورغبته في التزود من الثقافات المختلفة ، والإلمام بأحوال الأمم على الطبيعة ، إلى السفر خارج الهند فزار العراق وسوريا وتركيا ومصر وهو في العشرين من عمره ، ومن مصر سافر إلى فرنسا ليسافر منها إلى انجلترا ولكنه اضطر للرجوع إلى الهند حينما علم بمرض والده ، وكانت هذه الجولة سنة ١٩٠٨ م .

وفي أسفاره هذه اتصل بالأحرار في الأمم التي زارها ، وارتبطت نفسه الثائرة بنفوسهم ، وتلاقوا جميعا على وجوب العمل لإثارة الروح الدينية وتعبئتها في نفوس المسلمين في كل مكان حتى يتخلصوا من الاستعمار ، وينفضوا عنهم غبار التأخر والانحلال ، والرضوخ للأمر الواقع . فعاد للهند وهو أكثر من ذي قبل إيمانا بوجوب العمل على إلهاب نفوس المسلمين وبعثها من رقادها حتى تتخلص من مستعبديها واعتمد في ذلك اعتمادا كبيرا على تعريف المسلمين بدينهم بعيدا عن الخلافات والخرافات ، وسقيهم من منبعه الصافي ، ليتلاقوا إخوانا في ميدان العمل على كلمة التوحيد ، والجهاد من أجل الوطن جهادا دينيا في سبيل الله وتخليص الإسلام من المتحكم الظالم . . ولذا نراه يقول في مرافعته الكبرى أمام المحكمة حين محاكمته سنة ١٩٢١ « إن ما يعمله « المهاتما غاندي » الآن من بث الروح الدينية في الهندوس ، كانت « الهلال » قد فرغت منه سنة ١٩١٤م » .

ويقول في مذكراته « رأيت من الواجب الحتمي إنشاء حركة جديدة بين المسلمين الهنود ، وازددت حماسا لذلك ، وقر عزمي على الاعتناء بالأعمال السياسية بعد عودتي للهند ، وفكرت بعض الوقت فيما يكون عليه منهاجي للمستقبل ، وانتهيت إلى ضرورة تربية الرأي العام ، وتحقيقا لهذه الغاية لم يكن بد من إصدار مجلة ، أنيقة الطباعة ، قوية الدعوة ليست على غرار ما يصدر من الصحف والمجلات الأوردية المحرومة من ميزات الصحافة الحديثة ، ونتيجة لهذا أصدرت مجلة « الهلال » وأسست لها مطبعة خاصة ، وصدر العدد الأول منها في شهر يونيو سنة ١٩١٢م ، وكان صدور « الهلال » نقطة تحول في تاريخ

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الصحافة الأوردية ، حيث نالت إقبالا منقطع النظير ، وأعجب بها الشعب لا من ناحية طباعتها بل من ناحية دروسها الوطنية القوية التى تأثروا بها تأثراً بالغا ، بحيث خلقت بين عامة المسلمين حركة ثورية جديدة ، وبلغ من تلهفهم عليها أن اضطررنا خلال الأشهر الثلاثة الأولى إلى طبع الأعداد السابقة مرة ثانية .

اتخذ الشاب « أزاد » من الروح الدينية نقطة ارتكاز لتحريك نفوس المسلمين ، وبعث الحياة فيها ، وإثارتها على المستعمر ، وتعريفها بواجبها الوطنى ، فكانت غايته مزدوجة : إحياء الروح الدينية السليمة فى المسلمين ، ودفعهم للثورة على المحتل . وكانت « الهلال » تصدر فى ظل هذه الغاية حتى قال شيخ الهند الزعيم السياسى الدينى « مولانا محمود الحسن » متحدثا عن الهلال وأثرها فى النفوس : « كدنا ننسى مهماتنا فذكرتنا الهلال بها » وكان شيخ الهند فوق الخمسين من عمره ويدير الحركة السرية ضد الانجليز وأبو الكلام أزاد فى مقتبل الشباب .. وشهادته هذه شهادة مجرب مجاهد عظيم لشاب مجاهد ناضج فى أوان مبكر ..

وهى تدلنا على مقدار الطاقة القوية التى اندفع بها مولانا أزاد إلى ميدان العمل والجهاد فى بدء حياته وجهاده ..

كان كأنه على موعد مع القدر ، الذى أعده لإنقاذ أمته من براثن الانجليز ، فزودوه بالنضج المبكر ، مع الصلابة فى الحق والهداية فى الفكر ، والرشد فى التوجيه الدينى والسياسى معا ، عرفه الناس من كتابته إنسانا من طراز جديد لم يعهدوه من قبل بين العلماء والكتاب والساسة ، وقرءوا له فأكبروه ، ولمسوا فيما يكتبه نضجا حملهم على أن يظنوه رجلا مجربا كبير السن ، وسعى الكبار إلى معرفته ولقائه - وهو شاب - كما يسعون إلى رجل كبير أهله كبر سنه وجليل عمله لتعلقهم به وحبهم له وثنائهم عليه . .

لقيه مرة أحد الزعماء المسلمين الكبار وهو السيد ألطاف حسين وكان شاعراً كبيراً اتخذ لنفسه لقب « حالى » على عادة شعراء الهند وكتابها .. فظنه ابن ذلك الكاتب الكبير الذى يقرأ له ويعجب به ويكبره ، فاحتفل به ، وأخذ يثنى على أبيه الكاتب الممتاز .. الـ .. الـ .. ولكن الزعيم كانت مفاجأته كبيرة حين عرف أن أبا الكلام الكاتب هو ذلك الشاب الصغير الذى أمامه فكانت دهشته بالغة وإعجابه مضاعفا .. وكان نواب محسن الملك أحد الزعماء المسلمين يقول عنه « صغير السن عظيم العمل » .

وهكذا كانت تحف به فى شبابه عظمة تمهد له أن يحتل مكانه المرموق فى مستقبل أيامه .

عبد المنعم النمر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

السباق الأربعة :

بلال بن رباح

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

« أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا » .

عمر بن الخطاب

قصد أبرهة فى جيشه الضخم ، بيت الله الحرام ، يبغى إزالته من الوجود ، فقد غاظه تعلق الناس به وحجهم إليه ، وانصرافهم عن كنيسته التى أقامها كأفخم ما تقام الكنائس ، وأغضبه أشد الغضب سخرية المكيين منها .

وفى مسيره من اليمن إلى مكة لم تحاول قبيلة من قبائل العرب أن تعترض طريقه أو تصده عن قصده فقد رأوه فى جيش لجب ، يسعى فى قوة وعدة .

وأما من حدثته نفسه بالتعرض له أو مناوأته ، فقد أقسم أبرهة فى نفسه أنه سوف يؤدبهم عند عودته .

وبلغ الجيش مكة والتقى أبرهة بسيد قريش عبد المطلب ، وكان يظن أنه سيطلب منه أن يترك البيت ويأخذ من المال ما يريد ، ولم يدر بخلد أبرهة أن عبد المطلب يعتقد اعتقادا راسخا أن للبيت ربا يحميه ، وقد حماه الله فأرسل على أبرهة وجيشه طيراً أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول .

وعادت فلول الجيش المنهزم تجر أذيال العار والهزيمة ، وأما أبرهة ذلك القائد المتغطرس الجبار ، فقد نهكته العلة حتى صار ينتظر الموت فى كل خطوة يخطوها .

ورأت قبائل العرب الضاربة حول مكة ، والتى كان جيش أبرهة قد ألقى فى قلوبها الرعب عند ذهابه ، رأت بقايا جيشه المهزوم ، فاهتبلت الفرصة وأسرعت إلى الغنائم تملأ منها أيديها ، فقد كان الجيش يحمل معه الكثير من المال والحسان على ظهور الإبل وصهوات الجياد ، ولم تجد هذه القبائل أدنى مقاومة .

ونظر عربى كان يبحث عن غنيمة له ، فرأى عبداً حبشياً غليظا يقود ناقة وهو يمشى متخاذلا ، قد أنهكه التعب وأضناه الجهد ، وكان على الناقة هودج نفيس ، يستهوى الناظر إليه ، فأسرع إلى العبد يأمره أن يتبعه ، فانصاع لأمر العربى ، ثم أخذ يسأله حتى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عرف أن هذا الهودج يحمل أميرة من أميرات الحبشة ، كانت تتبع الجيش .

ولما وصل إلى مضارب قومه ، أناخ الراحلة ومد بصره داخل الهودج فإذا هو بفتاة رائعة الحسن يظهر عليها الخوف والوجل فأخذ يطمئنها ويحدثها حديثا يبعث بعض الأمن والهدوء فى نفسها الخائفة المضطربة ...

ومضت الأيام وأحس العربى أن زوجته أخذت تنظر إلى هذه الحبشية الحسناء نظرة الغريم إلى غريمه ، إنها لا تطيق أن تقيم معها فى البيت ، وفكر وهداه تفكيره أن يقدمها هدية لأحد سادات العرب ، وكان بينه وبين خلف صلة ومودة ، فحملها إلى مكة ، وهناك أطرف بها صاحبه ، وذكر له أنها إحدى أميرات الجيش الذى أراد أن يهدم بيت الله الحرام .

وقضى ذلك العربى فى مكة ما شاء الله أن يقضى ، ثم عاد إلى قبيلته ، أما خلف فقد تجلى حقده على الجيش الذى غزا مكة فى معاملته لهذه الفتاة الأسيرة ، فقد أقسم ليذيقها الذل والهوان . وأرادت زوجته أن تتخذها خادما ، ولكنه رأى أن خدمة زوجته لا تحقق له ما يريد بها ويقومها من إذلال .

وكان لخلف هذا ضيعة خارج مكة ، فعزم على أن يرسلها إليها لترعى الإبل والشاة مع غيرها من العبيد . ثم زوجها لأحد غلمانه الذين ينتمون إلى الحبشة بسبب ، وكان قد أعتقه لإعجابه به . إنه غلام أمه من عامة الشعب الحبشى ، وفى زواجه من مثل هذه الأميرة إذلال لها وحط من كرامتها فليس من المعقول أن مثل هذا الغلام يرقى إلى مرتبة الخدم لهذه الأميرة فما بالك بزواجه منها .

وأصبحت الأميرة الحبشية زوجا لرباح غلام خلف ، فأكرمها غاية الإكرام ، إذا رأى فيها رائحة قومه الذين لم يرهم من قبل ، وقد أقبلت أمه ذات يوم فاتخذها بعض العرب أمة له وأنجب منها رباحا هذا ، وعمل رباح على أن ينسيها ما هى فيه من ذل وهوان وأن يشعرها أنها سيدته المطاعة ، كما عمل على أن يدخل السعادة على نفسها ، فكان يطيعها ويسهر على راحتها ، وقد عرفت له ذلك فامتلأ قلبها غبطة وفرحا ورضيت به زوجا لها ، بل إنها اعتبرت زواجها منه نعمة من نعم الله عليها .

ومرت الأيام وأنجبت الأميرة من رباح ابنا فرحت به ولكن أباه قد أهمه أمره إذ تخيله وقد صار فى المستقبل عبداً لخلف أو لابن من أبناء خلف .

* * *

ويقبل خلف ذات يوم على ضيعته ليرى كيف تسير فيها الأمور ، ويلقى غلامه رباحا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فيسأله ، ألم ينجب أطفالا بعد؟ ، فيذكر له رباح أنه قد أنجب غلاما وهو متألم له أشد الألم ؛ لأنه سيصبح عبداً يذوق ما ذاقه أبوه من قبل ، ويتمنى أن ينقضى هذا الليل المظلم ويشرق الصبح قبل أن يشب طفله عن الطريق فيسأله خلف .

(ويحك ! ماذا تقول ؟ أى ليل وأى صبح ؟ قال رباح : الليل هو هذا الدهر الذى نعيش فيه والذى يسوى فيه الرق بين الأرقاء ، وتفرق فيه الحرية بين الأحرار .

والصبح هو الزمن المقبل الذى يسوى فيه بين الأحرار والعبيد ، ويتمايز الناس فيه بأعمالهم وبلائهم لا بمنازلهم وحظوظهم من الثراء . قال خلف وقد أغرق فى الضحك : لقد تكهنت يا رباح منذ اليوم ! دع ليلك المظلم وصبحك المشرق ، وحدثنى عن صبيك هذا الذى كنت تريد أن تئده منذ حين ، ما اسمه ؟ وما شكله ؟ قال رباح : إنك لتسخر من ليلى وصبحى ، وإن ليلى لمنجل ، وعسى أن تشهد إسفاره ، فإن لم تدركه فسيدركه ابنك أمية وسيدركه ابنى بلال . فهز خلف رأسه ورفع كتفيه وقال : حسبك يا رباح تحدث بهذا إلى غيرى ، أما أنا فإنى زائد فى عطائك لمكان هذا الصبي من أسرتك ، ولولا أن قسما عظيما قد سبق منى لرددت إلى زوجك حريتها ولجعلت ابنك حراً مثلك (١)) .

وعاش رباح وزوجه يعملان فى خدمة خلف ويقومان على تربية من أنجبا من أبناء . سعيدين بما يغدق عليهما سيدهما من خير موفور وما يحبوهما به من رعاية خاصة .

ثم مات رباح وزوجته ، وتبعهما بعد ذلك سيدهما خلف ولم يقدر لأحد منهم أن يرى ما كان يتحدث به رباح .

واقتسم أبناء خلف ما ترك لهم أبوهم وأصبح بلال بن رباح ضمن نصيب أمية ابن خلف .

وكان فى أمية صلف وكبر فعامل بلالا أسوأ معاملة ، وكرع بلال من الكأس التى خشى أبوه أن يكرع منها فقد سخره سيده فى جمع الحطب وحمل المتاع وخدمة الحيوان ، وحرم عليه غشيان مجالس السادة إلا أن يكون خادما مأموراً منكس الرأس ، خافض الطرف .

* * *

وذات يوم سمع شباب قريش بلالا يغنى ليعين نفسه على العمل المكلف به ، وليس فى غمرة الغناء ما يلقى من هوان ، فوجدوا فى صوته حلاوة وجمالا ، فأنصتوا إليه وطربوا لصوته وما فيه من رخامة ، وأعجبوا بخلقه حينما تعاملوا معه ، وسرعان ما أصبح له منهم

(١) طه حسين (الوعد الحق) .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أصدقاء ومعجبون كانوا كلما أقبل الليل وخرجوا إلى شعاب مكة يسمرون ويلهون، طلبوا بلالا وكلفوه أن يغنيهم، فيغنيهم غناء عذبا جميلا يتردد صداه فى شعاب الوادى وسفوح الجبال.

وكثيرا ما يستخف الطرب المستمعين فينسون أن من يغنيهم إن هو إلا عبد رقيق فيقربونه ويشركونه فى سمرهم ولعبهم، فيرون منه أكثر من جمال الصوت عقلا راجحا وبيانا حسنا وحديثا حلوا طليا، فتمتلىء قلوبهم إعجابا به وإكبارا له.

ولا يزال أمر بلال يعلو وينتشر حتى رفع عن أعمال العبيد وندب لأنبل حرفه يشتغل بها أهل قريش، وأشرف عمل يقومون به، ألا وهو التجارة بين الشام والحجاز، وبين اليمن والحجاز

وقد كانت الحياة الجديدة خليقة أن ترضى بلالا فيغتبط بها ويعرف لسيده يده عنده، ولكنه لم يرض بتلك الحياة الظالمة، وضجر بما حوله من فساد وظلم وذلك لأنه نبيل النفس نقى السريرة. وبرغم ما كان يلقى فإنه عاش متطلعا إلى اليوم الذى كثيرا ما تحدث عنه أبوه. واتصل بكثيرين من عقلاء مكة وأصحاب الرأى فيها، وكان ممن اتصل بهم بلال، أبو بكر الصديق واتخذ منهم أصدقاء قلبه وأصفياء نفسه وتوثقت الصلة بينه وبينهم، فرضوا عن صحبته وحمدوا رأيه وسيرته.

وفى أحد الأيام خرجت إحدى قوافل التجارة من قريش قاصدة الشام، وكان فيها جماعة من أشراف قريش وأثريائها، يصحبون معهم أحلافهم ومواليهم، وكان محمد بن عبدالله أحد الذين رافقوا القافلة وقبل أن تبلغ القافلة حدود الشام طرأ لمحمد مادعاه إلى العودة إلى مكة، ولم يكن من السهل أن يعود منفردا ولم يرض رفاقه أن يتركوه وحيدا، فطلبوا منه أن يختار له رفيقا يؤنسه فى عودته، ونظر محمد إلى من معه واستعرض رفاقه فلم يجد منهم أحداً أقرب إلى قلبه من بلال بن رباح، وعادوا معا. ولا إخالهما إلا قد تذكرا كثيرا من الأمور، وإن بلالا ذكر لمحمد ما كان يسمعه من أبيه رباح عن قرب انحسار الظلام وانبلاج نور الصباح.

فلما آن لظلام الليل أن يبدده نور الصباح ولقسوة الظلم أن تمحوها شريعة العمل، أرسل الله محمدا يدعو الناس إلى الدين الجديد وأوحى إليه بشريعة الإسلام ليخرج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ولينقذ الضعفاء المضطهدين من سلطة السادة الظالمين.

* * *

وعرف أبو بكر أمر صاحبه فآمن به،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وسمع بلال بما خص الله به صاحبه محمدا فاتبعه فكانا هما الاثنان أول المؤمنين .

ولقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن آمن به عندما كان يدعو الناس سرا : « من اتبعك على هذا الدين ؟ » فقال عليه السلام « رجلان : حر وعبد » أما الحر فأبو بكر ، وأما العبد فبلال ثم استمر بلال بعد إيمانه، فى عمله يؤديه لسيده على أكمل مايؤدى العمل.

وبجانب ذلك كان يجتمع بالرسول فى دار الأرقم بن الأرقم يسمع من صاحبه آيات الله التى يجلو بها قلبه ، ولم تطل سرية أمر بلال فقد وشى به واش لدى سيده ، وعلم أمية أن عبده قد آمن بدعوة محمد ، ودخل فى دينه، فركبه الهم واشتد به الكرب ، فاستقدمه اليه وسأله فى غضب : أحقا يا بلال قد استخفك محمد فاتبعته ودخلت فى دعوته وكفرت باللات والعزى ؟ وكيف تتبع محمدا الذى سفه ديننا وعاب آلهتنا؟ » .

فقال بلال : « ما استخفنى محمد وما صبأت ، وإنما رأيت الحق فاتبعته وأرشدنى محمد الأمين إلى أنه لا إله الله وحده لا شريك له لايعبد سواه ، فصدقته وآمنت به ولأن النصر سيكون له مهما طال الزمن » .

فنظر اليه أمية وقد ملأ الحنق قلبه وقال : «لم يبق إلا أن تتهكن أيها العبد الآبق ، لقد غلبك سحر محمد كما غلب غيرك فلأ قلبك ضلالا وكفرا كما أضل غيرك من أراذلنا الذين انبعوه ، لقد كنت مخطئا عندما رفعتك من خدمة المتاع وقطع الشجر وجمع الحطب ، إلى التجارة والرحلة والتصرف فى المال ، فدعاك سوء طبعك ولؤم نفسك أن تجحد نعمتى وتنسى فضلى ، وسولت لك نفسك الشريرة أن تتخير الأرباب وتمايز بين الأديان، فواللاة والعزى إن لم تعبد ما أعبد من آلهة ، فإنى سأريق دمك كما يراق دم الشاة »

فقال له بلال : « لابأس بالموت يامولاى فهو غاية كل حى ونهاية كل حياة ، وإنه لأحب إلى من العودة إلى الضلالة والكفر ، وحياة الذل والهوان »

فثارت ثائرة أمية وغلى مرجل غضبه ، فأمر أن يؤخذ العبد إلى الموت وأن يذوق ألوان العذاب .

عبد الموجود عبد الحافظ

قيل لعنترة صف لنا الحرب : فقال :
أولها شكوى ، وأوسطها نجوى ، وآخرها بلوى .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الضرائب في الإسلام

للأستاذ أحمد الشرباصي

— ٢ —

اصطلحنا على أن الحقوق المالية الواجبة في مال المسلم شرعا يمكن تسميتها - بشيء من المجاز - ضرائب إلهية ، لأنها حق ثابت لازم ، يطالب به الشارع صاحب المال ، ولا يتخلص من تبعته إلا بأدائه .

وأول هذه الحقوق المالية هو « الزكاة » التي جعلها الإسلام ركنا من أركانه الأساسية الخمسة ، وأوجبها القرآن بقوله : « وآتوا الزكاة » في آيات كثيرة (١) ، وأوجبها الحديث في وصية الرسول لمعاذ حين بعثه واليا على اليمن وقال له : « ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم ، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » . وقال الفقهاء : إن الزكاة شرط لصحة الإسلام (٢) ، وهي حق المال المعلوم الواجب للسائل والمحروم .

والأموال المزكاة ضربان : ظاهرة وباطنة ، فالأموال الظاهرة مالا يمكن إخفاؤه . كالزرع والثمار والمواشي . والأموال الباطنة ما يمكن إخفاؤه ، كالذهب والفضة وعروض التجارة (١) .

وزكاة الأموال الباطنة يؤديها أصحابها ويخرجونها بأنفسهم في الأصل ، ولهم أن يعطوها لولي الأمر وهو يتولى توزيعها ، ولكن الزكاة في الأموال الظاهرة يؤمر أصحابها بدفعها لولي الأمر ، وليس لهم أن ينفردوا بإخراجها ، وإن امتنعوا حاربهم عليها كما فعل أبو بكر مع مانعي الزكاة ، وهم يصيرون بذلك المنع من البغاة ، وروح التعاليم الإسلامية توحي بأن المسلم إذا ثبت عليه أنه لم يزك أمواله الباطنة كان على ولي الأمر أن يحمله على دفع هذه الزكاة.

وأنواع الأموال المزكاة هي أولا الذهب والفضة ، وثانيا الزرع والثمار ، وثالثا المواشي وهي الإبل والبقر والغنم ، ويضم المعز إلى الغنم ، والجاموس إلى البقر وإنما

(١) البقرة آية ٤٣ و ٨٣ و ١١٠ والحج ٧٨ والنور ٥٦ والمجادلة ١٣ والمزمل ٢٠ .

(٢) انظر تفسير المنار ، ج ١٠ ص ٢٠٢ .

(١) الأحكام السلطانية للماوردي ، ص ٩٩ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

سميت هذه مواشي لأنها ترعى وهي تمشي ؛ ورابعا عروض التجارة .

وإنما تجب الزكاة على المسلم البالغ العاقل الحر المالك للنصاب : أي المقدار المالي الذي تجب فيه الزكاة [1] .

ولم يترك الإسلام القدر الواجب في المال المزكى مبهما ، بل حدده وبينه في كل صنف من أصناف المال ، ففي الزروع والثمار كالقمح والذرة والأرز والشعير والتمر والزبيب حدد عشر المحصول ، إذا كانت الأرض المزروعة تسقى مباشرة بماء السماء ، أو تسقى بدون آلة أو مجهود ، أو كما يعبر أهل الريف « تسقى بالراحة » ، وحدد نصف العشر في المحصول إذا سقيت الأرض بآلة كساقية أو دلو أو غيرهما ، أو بذل صاحبها مجهوداً في سقيها .

ونلاحظ هنا عدالة التقسيم ، فالأرض المسقية ببذل مجهود يزيد زكاتها عن الأرض المسقية بلامجهود ، وفي هذا مراعاة لاختلاف الأحوال ، والعمدة في هذا التقسيم هو قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « ما سقت السماء ففيه العشر ، وما سقي غرب (دلو) أو دالية (دولات) ففيه نصف العشر » .

والنصاب الواجب فيه الزكاة هو أربعة أرادب وكيلتان فأكثر [1] .

أما زكاة الذهب والفضة فقدرها اثنان ونصف في المائة ، إذا كان الذهب يساوي اثني عشر جنيها مصريا — إلا اثني عشر قرشا ونصف — فأكثر ، أو كانت الفضة تساوي خمسمائة وتسعة وعشرين قرشا وثلثين فأكثر [2] ، وبشرط أن يمر عام قمري على ملك هذا النصاب .

ويمكن أن نسمي زكاة الذهب والفضة بضريبة المال الجامد غير المستثمر ، وكأن الحكمة من فرض هذه الضريبة هي الحفز على تحريك المال واستثماره وعدم كنزه ، لأن الشخص إذا لم يفعل ذلك تسبب في ضياع رأس المال بتكرر أخذ الزكاة منه كل عام وهو جامد غير متحرك ، وأما إذا حركه فهو تحقيق هدفين : الأول نمو المال ، ويمكن أن يعوض هذا مقدار الزكاة المأخوذ ، والهدف الثاني ألا ينقص رأس المال أو يزول .

ونلاحظ هنا عدة أمور لها حكمتها ، فقد اشترط الإسلام النصاب لأن القليل

---

(١) في كتاب الفقهاء تفصيلات كثيرة عن الشروط اللازمة لوجوب الزكاة ، والقدر المذكور هنا هو ما يكاد يعقد عليه الإجماع ، ويمكن مراجعة باقي التفصيلات في كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ج ١ ص ٤٧١ وما بعدها .

(١) لقول الرسول : « ليس في حب ولا تمر صدقة حتى تبلغ خمسة أوسق ، والوسق ستون صاعا مدنيا ، وقدروا الخمسة بما ذكرنا .

(٢) راجع لتحديد النصاب هنا كتاب الفقه المذاهب الأربعة ج ١ ص ٤٨١ :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المدخر لحاجة قريبة أو بعيدة لا يؤبه به ، واشترط حولان الحول ـ أى مرور العام والمال موجود ـ حتى لا يكون لصاحبه عذر فى تجميده بعد هذا الوقت الطويل الذى يستطيع خلاله أن ينفق المال أو يحركه فى استثمار .

وأما عروض التجارة ـ وهى جمع عرض بسكون الراء ، أى ما ليس بذهب ولا فضة ـ فزكاتها ربع العشر ، أى اثنان ونصف فى المئة ، ويجب هذا المقدار بالنسبة لقيمة السلع مجتمعة ، ويضم الربح الناشىء خلال العام إلى أصل المال ، لأن الزكاة فى التجارة تجب متى تم الحول أى السنة .

وهذه الزكاة يمكن اعتبارها فى مقابل ضريبة الأرباح التجارية المعاصرة ، ونلاحظ أن الإسلام جعل مقدار زكاة التجارة كزكاة النقدين الذهب والفضة ، لأنه ينظر إلى التجارة على أنها رأس مال ، وكأنه يريد أن يقول بطريق غير مباشر : ينبغى أن يكون الذهب والفضة متحركين حركة التجاوة للنمو والتثمير ، وأن يكون للتجارة من المكانة والتقدير المادى ما للذهب والفضة ، فيدعو ذلك إلى العناية بها والحرص عليها ، ولذلك قال الفقهاء إن (عروض التجارة) مال مقصود به التنمية ، فهو يشبه الزرع فى تضاعف المحصول ، ويشبه الأنعام فى الزيادة عن طريق التوالد . ومما استدلوا به على وجوب هذه الزكاة ما رواه سمرة بن جندب قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نخرج الزكاة مما نعده للبيع » .

وقال عمر لأحد التجار فى شأن تجارته : « قومها ثم أد زكاتها » .

وأما زكاة الماشية أو النعم أو البهائم فتجب فيها الزكاة إذا كانت سائمة ، والسائمة هى التى ترعى فى الكلأ المباح ، كالموجود فى البوارى أو الأرض العامة التى لا مالك لها ، وتظل تأكل من هذا (العلف) المباح أكثر السنة على الأقل ، ويشترط أيضاً أن تكون هذه الماشية مقصودة لدر اللبن أو النسل أو التسمين ، فلو كان المقصود منها العمل كالحرث أو الحمل أو الركوب فلا زكاة فيها ، وإذا اتخذت للتجارة انتقلت زكاتها إلى باب عروض التجارة . والنصاب ـ أى المقدار الذى لا تجب فى أقل منه زكاة هنا ـ يختلف باختلاف أنواع الماشية ، فأول نصاب الإبل خمس ، فإذا بلغتها ففيها شاة ، وهكذا تؤخذ عن كل خمس شاة إلى عشرين ، ثم هناك تفصيل للواجب فيما زاد عن ذلك يراجع فى كتب الفقه .

وأول نصاب البقر ثلاثون بقرة ، فإذا بلغتها وجب فيها تبيع أو تبيعة ، أى عجل أو عجلة بحيث يكون كل منهما قد أوفى سنة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وندخل فى الثانية ، وإذا بلغت البقر أربعين فما فوقها فلها أحكام مفصلة فى كتب الفقهاء كذلك

وأول نصاب الغنم أربعون ، فإذا بلغتها ففيها شاة أتمت سنة ، فإذا بلغت الغنم مائة وإحدى وعشرين ففيها شاتان ، فإذا بلغت مائتين وواحدة ففيها ثلاث شياه ، وفى أربعمائة أربع شياه ، وما زاد ففى كل مئة شاة ، وما بين كل مقدارين معفو عنه فلا زكاة فيه .

وهناك من الفقهاء من يرى وجوب الزكاة فى الخيل ، ومن يرى وجوب الزكاة فى المعدن أو الركاز ، وهو ما يوجد تحت الأرض من معادن أو كنوز ، ولكن الخلاف موجود بين الفقهاء فى هذين الأمرين ، فليراجعه فى مصادره من أراد .

ونلاحظ فى تشريع الزكاة عنصرى التيسير والشمول ، فالتيسير يبدو فى اشتراط الإسلام قدراً معيناً من المال لا تجب الزكاة فى أقل منه ، فليس كل مالك يزكى عما يملكه ولو كان ضئيلا قليلا ، والشمول يأتى من ناحية أن كل مالك للنصاب تلزمه الزكاة بلا استثناء ، ولم يكن هذا النصاب مقصوراً على صنف من المال دون صنف ، بل شمل كل أنواع المال النامى بالقوة أو بالفعل ، وشملت الزكاة بأنواعها الكثير من مستويات الناس ، فعلى الأغنياء زكاة الذهب والفضة بوجه عام ، لأنهم هم الذين يدخرون ما يزيد عن النصاب غالبا ، والفلاحون وأصحاب الأرض عليهم زكاة الزروع والثمار والأنعام ، والتجار عليهم زكاة عروض التجارة ، فإذا أضفنا إلى هذا أن الإسلام يأخذ من أهل الغنائم خمس الغنيمة ، ومن أهل الذمة يأخذ الجزية ، ومن الجميع رجالا ونساء وكبارا وصغارا ، وخدما ومخدومين ، يأخذ زكاة الفطر عند رمضان من كل عام . وهى المسماة فى كتب الفقه صدقة الفطر ، وهى واجبة على كل حر مسلم قادر ، حتى قال الرسول قبل يوم الفطر بيوم أو يومين : « أدوا صاعا من بر أو قمح أو صاعا من تمر أو شعير ، عن كل حر وعبد صغيراً أو كبيراً » .

إذا أضفنا كل هذا إلى أنواع الزكاة المتقدمة أدركنا أن عنصر ، الشمول ، الذى يعتبر سمة من سمات الضريبة العادلة متوافر فى الحقوق المالية التى أوجبها الإسلام فى الأموال .

ومما ينبغى تذكره أن فريقا من الفقهاء المعاصرين يرون من فهمهم لروح الإسلام فى تشريع الزكاة أن العمارات والمنازل المبنية للسكنى بالإيجار تقاس فى الزكاة على الأرض المزروعة ، فيكون فيها زكاة كزكاة الزرع ؛ وذكروا أن الفقهاء القدماء لم يتعرضوا لهذه الناحية لأن المساكن فى الزمن القديم كانت تستعمل فى السكنى الشخصية ، ولم تكن تؤجر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بالصورة المعروفة الآن ، ولكن العمارات اليوم أصبحت مصدر استغلال كبير واستثمار موصول ، بل إن العمارات تدر من الأرباح أكثر من أرباح الأرض الزراعية الآن ، فلا أقل من أخذ الزكاة فيها كزكاة الأرض !

وكما لاحظنا ملاح الحكمة والتيسير والرحمة والعدالة والشمول فى مصادر الزكاة ومنابعها ينبغى أن نستعرض مصارف الزكاة لعلنا نلاحظ فيها مثل هذا من ألوان الحكم ووجوه الإصلاح .

والمراد بمصارف الزكاة الجهات التى توزع عليها وتصرف فيها ، وقد جاء القرآن الكريم بتحديد هذه المصارف فى قوله تعالى من سورة التوبة : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » .

وإذا كانت الآية قد عبرت عن الزكاة بالصدقات فلا فرق بين الكلمتين من ناحية المدلول ، لأن « الصدقة زكاة ، والزكاة صدقة يفترق الاسم ويتفق المسمى » . (١) وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم حينما نزلت هذه الآية : « إن الله تعالى لم يرض فى قسمة الأموال بملك مقرب ، ولا نبى مرسل ، حتى تولى قسمتها بنفسه » (٢) .

فالزكاة تدفع إذن إلى الفقراء ، والفقير هو المحتاج إلى مطالب العيش وضرورات الحياة ، أو الذى لا شىء له ، وتدفع إلى المساكين ، والمسكين هو الذى لا يجد ما يكفيه ، أو هو الذى قد أسكنه العدم ، ومهما يكن من خلاف فى تحديد معنى الفقر والمسكنة فالوصفان مشعران بالاحتياج ، فيدفع من الزكاة إلى الفقير والمسكين ما يخرج به كل منهما عن حالة الفقر والمسكنة إلى أول مراتب الاستغناء على الأقل : « وذلك معتبر بحسب حالهم ، فمنهم من يصير بالدينار الواحد غنيا إذا كان من أهل الأسواق يربح فيه قدر كفايته ، فلا يجوز أن يزاد عليه ، ومنهم لا يستغنى الا بمائة دينار ، فيجوز أن يدفع اليه أكثر منه . ومنهم من يكون ذا جلد يكتسب بضاعة قدر كفايته ، فلا يجوز أن يعطى وإن كان لا يملك درهما » (١)

وتدفع الزكاة إلى (العاملين عليها) وهم الذين يقومون بجمع الزكوات من الناس وجبايتها ودفعها إلى ولى الأمر ، والذين يقومون بقسمتها وتفريقها على مستحقيها ، فالعامل فى هذا المجال يأخذ أجرته من مال الزكاة ، ويدفع له فى هذه الحالة أجر المثل.

والمصرف الرابع هو (المؤلفة قلوبهم) وهم الذين كان النبى يتألف قلوبهم ، ويتودد إليهم ، ليقوى إسلامهم ، أو ليكفوا

(١) الأحكام السلطانية للماوردى ص ٩٨ ، .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٧

(١) المرجع السابق ، ص ٨ ١ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

شرهم ، أو ليضاعفوا جهودهم ، وهؤلاء المؤلفة أصناف ، فصنف نتألفهم لمعونة المسلمين ، وصنف للكف عن المسلمين ، وصنف لتوطيد الإسلام فى نفوسهم ، وصنف لترغيب عشائرهم فى الإسلام ، فمن كان مسلما من هذه الأصناف أخذ .

وهناك من يرى سقوط هذا الصنف من دائرة الاستحقاق ، بدعوى أن الإسلام استغنى عن تألف الذين تخشى عليهم الردة من ضعاف الإسلام ، وبدعوى أن عمر قال : فى حق رجلين من المؤلفة قلوبهم (كنا نؤلف حين كان الإسلام فى ضعف ، أما الآن ، وقد عز وقويت شوكته - فلا حاجة بنا إلى التألف) أو ما معناه ذلك .

« وهذه الرواية لا تقتضى سقوط هذا السهم ، وإنما ذلك اجتهاد من عمر بأنه ليس من المصلحة استمرار هذا التأليف لهذين الرجلين الطامعين وأمثالهما ، بعد الأمن من ضرر ارتدادهما لو ارتدا ، لأن الإسلام قد ثبت فى أقوامهما حتى إنه لا يترتب على قتلهما لو ارتدا أدنى فتنة [1] » .

والإمام الشوكانى يرى جواز التأليف عند الحاجة ، فإن كان فى زمن الإمام قوم لا يطيعونه إلا للدنيا ، ولا يقدر على إدخالهم تحت طاعته بالقسر والغلب ، فله أن يتألفهم ولا يكون لفشو الإسلام تأثير [2] .

وفى كتاب (الإسلام عقيدة وشريعة) للشيخ شلتوت جاءت هذه العبارة : (وليس من ريب فى أن حاجة المسلمين اليوم فى دفع الشر عنهم ماسة إلى تقوية ضعفائهم ، والاستعانة بكل ما ينفع فى رد العدوان والبغى .

وإذا كان خصومنا قد لجئوا إلى هذا ، وأعلنوا مشروعات التأليف والمعونة التى يخدعون بها المترددين منا ، ويؤلبون بها الأعداء علينا ، فنحن لا نسد على أنفسنا هذا الباب وقد فتحه القرآن لنا على مصراعيه ، وأورده بكلمة واضحة تحمل معناها وتؤدى غايتها ، وإذن فالذى كان من عمر والأصحاب هو وقف لإعطائهم فى زمنهم ، وليس نسخا للحكم كما قيل [1]) .

ويقول الدكتور بدوى عبد اللطيف : (إذا نظرنا إلى الحالة الحاضرة ، وما عليه الأمم فى العصور الحديثة رأينا الدول تتسابق إلى نشر أديانها ومذاهبها ، وتنظيم سبل الدعاية لها ، والترغيب بها ، ومحاربة الدين الإسلامى بانتشار المبشرين فى الأقاليم الإسلامية وغيرها ، ونشاطهم فى إلقاء أباطيلهم الزائفة وعقائدهم الباطلة ، وشراء عقائد الأفراد وضمائرهم بالأموال الطائلة ، يؤيدهم فى ذلك الاستعمار باسم حرية الدين والعقيدة والرأى ، وبإنشاء المستشفيات والملاجىء والمعاهد

« ١ » تفسير المنار ج ١٠ ص ٥٧٦ .

« ٢ » المرجع السابق ، ص ٥٧٧ .

« ١ » الاسلام عقيدة وشريعة ، ص ٩٥ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التى أقاموها بين ظهرانى المسلمين فى ربوع الأقطار الإسلامية لتضليل أبناء المسلمين ، وردهم عن دينهم بأشنع الوسائل وأخبث الطرق التى لايقرها عقل ولا دين .

إننا إزاء ذلك يجب ألا نضن بالمال فيما يستدعيه واجب الدين والوطن الإسلامى وما تتطلبه مصلحة المسلمين ، وذلك بالدعوة إلى الإسلام ومقوماتنا بالموعظة الحسنة والإرشاد وباللتى هى أحسن ، وإرسال البعوث من العلماء المتنورين الفاهمين إلى الآفاق والأصقاع لإذاعة كلمة الدين وبيان أسراره ومحاسنه [1]) .

والمصرف الخامس للزكاة هو المعبر عنه بقول الله تعالى : « وفى الرقاب » أى فى تحرير رقاب العبيد ، وللتخلص من الرق الذى حاربه الإسلام وهدف إلى القضاء عليه، ويكون ذلك بمعاونة المكاتبين ، بأن يدفع إليهم من الزكاة مايعتقدون به رقابهم، ويكون كذلك بشراء أرقاء وعتقهم .

يقول صاحب (الإسلام عقيدة وشريعة) فى هذا المقام : (وهذه الناحية قد انقرض أفرادها بانقراض الرق الذى يتشوف إليه الإسلام ، ولكن فيما أرى قد حل محله الآن رق هو أشد خطراً منه على الإنسانية ، ذلكم هو استرقاق الشعوب فى أفكارها وفى أموالها وسلطانها وحريتها فى بلادها ، كان ذلك رق أفراد يموت بموتهم ، وتبقى دولهم حرة رشيدة ، لها من الأمر والأهلية مالسائر الأحرار الراشدين . ولكن هذا رق شعوب وأمم ، تلد شعوبا وأمماً فى الرق كآبائهم ، فهو رق عام دائم ، يفرض على الأمة بقسوة ظالمة غاشمة .

وأذن فما أجدر هذا الرق بالمكافحة والعمل على التخلص منه ، ورفع ذله عن الشعوب ، لا بمال الصدقات فقط . بل بكل الأموال والأرواح [2] » .

والمصرف السادس يتعلق بالغارمين ، وهم الذين استدانوا لمصالح أنفسهم ، ثم عجزوا عن الوفاء ، أو استدانوا لمصالح المسلمين وعجزوا ، فهؤلاء وهؤلاء يأخذون من مال الزكاة سهمهم لقضاء ديونهم .

والمصرف السابع هو « سبيل الله » وقد قصر السابقون معنى هذه الكلمة على الغزاة والمرابطين ، ولكن سبيل الله واسعة شاملة، وهى سبيل الحق والعدل والحرية والإصلاح والتعمير والتعاون وهى سبيل كل خير ، « والتحقيق أن سبيل الله هنا مصالح المسلمين العامة التى بها قوام أمر الدين والدولة دون الأفراد [3] » .

---

(١) الميزانية الأولى فى الاسلام ، ص ٥٥ .

(١) الإسلام عقيدة وشريعة ، ص ٩٧

(٢) تفسير المنار ، ج ١ ص ٥٨٥ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومن سبيل الله نشر دعوته وإعداد الدعاة لذلك ، والإنفاق على المدارس للعلوم الشرعية وغيرها مما تقوم به المصلحة العامة ، ومن سبيل الله أيضا : « التكوين الحربى الذى ترد به الأمة البغى وتحفظ الكرامة ، ويشمل العدد والعدد على أحدث المخترعات البشرية ، ويشمل المستشفيات عسكرية ومدنية ، ويشمل تعبيد الطرق ، ويشمل الإعداد القوى الناضج لدعاة إسلاميين يظهرون جمال الإسلام وسماحته وينشرون كلمته (١) » .

وهكذا نستطيع أن نفهم المعنى العام لسبيل الله على أنه كل ما يتعلق بمصالح الأمة الدينية والدينوية ومنافعها الروحية والمادية .

والمصرف الأخير هو ابن السبيل ، وهو المسافر لغرض ، مشروع وينقطع به الطريق لقلة الزاد أو المال ، فيأخذ من الزكاة ما يبلغ به داره .

وإذا راجعنا هذه المصارف وجدناها محققة لعنصر الشمول فى الصرف ، فإن هذه الجهات تشمل كل المحتاجين ، وإذا كانت الآية الكريمة قد حددت مصارف ضيقة المجال أو محدودة النطاق كالعاملين على الزكاة والأرقاء ، فإنها تذكر بجوارها مصارف يتسع نطاقها وينفسح فى كثير من الأحيان كالفقراء والمساكين والمؤلفة قلوبهم بمعناهم العصرى والغارمين ، ثم هى مع كل هذا تذكر ما يتسع ويتسع ، وينفسح ثم ينفسح ، وهو « سبيل الله » بالمعنى الذى ارتضيناه ، وهكذا تسهم ضريبة الزكاة الإسلامية فى وجوه من الخير والإصلاح ، تعمر المجتمع وتسعد الأحياء .

أحمد الشرباصى

(١) الإسلام عقيدة وشريعة ، ص ٩٧

العطية قبل السؤال

قال سعيد بن العاصى : قبح الله المعروف إن لم يكن ابتدىء من غير مسألة . فالمعروف عوض عن مسألة الرجل إذا بذل وجهه وقلبه خائف ، وفرائصه ترتعد ، وجبينه يرشح ، لا يدرى أيرجع بنجح المطلب أم بسوء المنقلب . قد انتقع لونه ، وذهب دم وجهه .

اللهم فإن كانت الدنيا لها عندى حظ فلا تجعل لى حظا فى الآخرة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الحصانات الدبلوماسية في الإسلام

للأستاذ حسن فتح الباب

تمهيد :

تعنى كلمة دبلوماسية فى أصلها الإغريقى القديم الوثيقة أو المكاتبة التى تطوى كما يطوى الخطاب ويبعث بها أصحاب السلطة بعضهم إلى بعض فى علاقاتهم الرسمية ، وتجعل لحاملها امتيازاً معيناً .

وقد انتقلت هذه الكلمة من اليونانية إلى اللاتينية ومنها إلى اللغات الأوربية الحية كالانجليزية والفرنسية ثم إلى اللغة العربية ، واستخدمت للدلالة على أكثر من معنى . فقد استعملها الرومان بمعنى الشهادة الرسمية أو الوثيقة التى تتضمن صفة المبعوث أو السفير والمهمة الموفد بها ، فكانت بمثابة جواز سفر ، وبمعنى ما ينبغى على المبعوث أن يتحلى به من الأدب الجم واصطناع المودة وتجنب أسباب النقد .

وتطور استعمال كلمة دبلوماسية حتى أصبحت فى القرن السابع عشر تعنى دراسة الوثائق القديمة . ولم تستخدم فى معناها المتعارف عليه الآن إلا منذ نهاية القرن الثامن عشر . وتعنى الدبلوماسية فى العصر الحديث ممارسة الدولة لسياستها الخارجية عن طريق المفاوضات وغيرها من الوسائل السلمية . وهناك معان أخرى متنوعة تستعمل فيها الكلمة جوازاً ، إلا أن المدلول الذى أشرنا إليه هو المعنى المألوف والأكثر شيوعا .

وثمة تعريفات مختلفة للدبلوماسية وردت فى الموسوعات والمعاجم وفى مؤلفات فقهاء القانون الدولى ورجال الدبلوماسية وعلمائها نخلص منها إلى أن الدبلوماسية هى من إدارة العلاقات الخارجية للدولة ، أو بتعبير آخر هى أسلوب مباشرة العلاقات بين الدول .

ومما يجدر ذكره فى هذا الصدد ذلك التعريف الذى ورد على لسان معاوية بن أبى سفيان أول خلفاء بنى أمية وأدهى الحكام العرب ، فقد عبر عن فن سياسة الحكم وإدارة شئون الدولة فى علاقاتها العامة بقوله :

لو أن بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت ، كنت إذا أرخوها شددتها ، وإن شدوها أرخيتها .

وهو تعريف بالغ الدلالة على ما ينبغى أن يتوافر فى الدبلوماسى من مرونة وحنكة فى تدبير علاقاته وتنفيذ خططه . كما يدل هذا التعريف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

على وعى مستنير وفهم لأصول الدبلوماسية وما يتخلق به رجالها من حصانة نادرة وذكاء نافذ ومهارة خاصة فى معالجة الأمور .

المبحث الأول

الدبلوماسية الإسلامية

عرف العرب الأسلوب الدبلوماسى فى علاقاتهم ومعاملاتهم ، وكانت لهم نظم وتقاليد دبلوماسية حتى فى جاهليتهم . فقد نشأت منذ القدم علاقات تجارية وثيقة بين القبائل العربية وبين جيرانها من الأمم والشعوب . وقد اقتضت تلك العلاقات أن يتبادل العرب فيما بينهم وبين غيرهم المراسلات والبعثات ، وأن يصبح لهم بتواتر هذه السفارات أسلوب دبلوماسى تقليدى يصرفون به شئونهم ويديرون به مصالحهم التجارية وغيرها . والعرب تطبيعتهم قوم رحل جوابو آفاق ، تشهد بذلك أسفارهم وقوافلهم التجارية وندواتهم فى سوق عكاظ وغيرها من الأسواق ، واجتماعاتهم فى مواسم الحج ، ووفادات شعرائهم وحكمائهم إلى ملوك فارس والحيرة وغسان وحمير .

وقد ساعد على قيام العلاقات الدبلوماسية بين العرب والبلاد المجاورة وتوثيق صلاتهم بها موقع جزيرتهم بينها منذ كانت معبراً للقوافل التجارية قبل الإسلام . وقد أتاح لهم ذلك مركزاً تجارياً ممتازاً وعلاقات ودية حميدة فى العالم المعروف إذ ذاك . وتحفل كتب التاريخ بأخبار رسلهم إلى الملوك وسفاراتهم ومفاوضاتهم ، بل لقد قدمت إليهم بعثات من هذه الممالك ، والبلاد تخطب ودهم وتطلب مؤازرتهم .

فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم اقتضته طبيعة الرسالة أن يسلك سبيل الدبلوماسية لنشر دعوته فى الجزيرة العربية ومنها إلى أرجاء العالم الذى كان قائما فى ذلك الحين . وهكذا تطورت النظم الدبلوماسية لتفى بهذه الحاجة الجديدة ودخلت فى مرحلة أكثر تقدما فى شكلها ومحتواها ونعنى بها الدبلوماسية الإسلامية فى نشأتها . وتختلف حلقات هذه المرحلة بحسب ظروف الدعوة وأغراضها وتطورها المرتقب فى المستقبل . فقد كانت العلاقات الدبلوماسية التى أقامها الرسول قاصرة فى بداية الأمر على المحادثات الشخصية وإرسال الكتب وإيفاد البعثات إلى القبائل العربية وإلى ملوك الدول المجاورة ورؤسائها للتعرف بالإسلام والدعوة إليه . ومن أجل هذا الغرض كانت سفارات الصحابة إلى مختلف القبائل . وكانت المؤتمرات التى عقدت فى الجزيرة العربية لشرح مبادىء الإسلام والإقناع بها فيما بعد .

وهكذا تعددت وسائل الاتصال فى الدبلوماسية الإسلامية من محادثات شخصية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومراسلات إلى سفارات ومؤتمرات حسبما كانت تتطلب الظروف . وكان الغرض الأول الذى تستهدفه دبلوماسية هو الدعوة إلى الإسلام ونشر رسالته .

ولما أثمرت الدعوة وتحققت للعرب ـ لأول مرة . وحدتهم السياسية ، فقامت أول دولة إسلامية فى المدينة برياسة النبى ، أصبح انتهاج الدبلوماسية ضرورة جوهرية لدعم أركان الدولة الناشئة . فاتسع نطاقها وتعددت وسائلها وأغراضها وتطورت دعائمها ، فلم تعد علاقات المسلمين بجيرانهم قاصرة على التبادل التجارى ، بل امتدت إلى مختلف النواحى الأخرى لشدة حاجة الدولة الجديدة إلى الاتصال بالدول المحايدة لتنفيذ السياسة الخارجية الإسلامية بالطرق الدبلوماسية .

وكان عهد الخلفاء الراشدين امتدادا لعهد النبى الكريم ، فظلت الدبلوماسية تسعى لتوطيد أركان الدولة بالإفادة من الأسلوب الدبلوماسى كبديل للحرب أو مساعد لها فى تنفيذ الخطط السياسية إذ كان ذلك من طبيعة بث الدعوة إلى الإسلام والدفع عنها .

ولم تختلف الدبلوماسية الإسلامية كثيراً من حيث أغراضها فى العصر الأموى وإن جد تطور عليها فى أسلوبها وطابعها وتنظيمها ، فاستمرت تستخدم فى نشر العقيدة وإعلان الحرب دفاعا عن حريتها والتمكين للإسلام بعقد المعاهدات مع ممثلى المدن والأمصار التى فتحها المسلمون .

ثم كان عصر العباسيين الذى اشتد فيه ساعد الدولة الإسلامية فأصبحت فى طليعة القوى السياسية الدولية ـ إذ امتدت رقعتها من أطراف الصين شرقا إلى المحيط الأطلسى غربا ، فضلا عن اتساع أرجائها شمالا وجنوبا ، كان لذلك أثره البالغ فى الدبلوماسية ، فازداد النشاط الدبلوماسى باتساع نطاق العلاقات الدولية بين العباسيين فى بغداد والبيزنطيين فى القسطنطينية ، وتعددت أغراض السفارات ووظائفها بحيث أصبح تبادل الممثلين السياسيين وسيلة لتوثيق الصلات التجارية وتبادل الأسرى وتبادل العطايا . وفض المنازعات وعقد المعاهدات وغير ذلك من الأغراض السياسية والعسكرية . كما استحدث غرض آخر للسفارات وهو تعزيز الروابط العلمية والثقافية بين الدول لما يحققه ذلك من إقرار علاقات المودة والسلام بينها ودعم الحركة الثقافية فى البلاد .

ومن ثم كان انتهاج الدولة الإسلامية الأسلوب الدبلوماسى فى علاقاتها السياسية مع الدول الأخرى ضرورة حيوية لمباشرة نشاطها ودعامة قوية من دعائم نموها وتطورها ، فلا غرو أن تغدو الدبلوماسية فى الإسلام فنا جديراً باهتمام الدولة ورعايتها ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأن يكون الدبلوماسيون الأجانب فى الديار الإسلامية موضع الحفاوة والتقدير ، فتسبغ عليهم الدولة حمايتها تيسيراً لمهامهم ودعما للعلاقات الودية مع الدول التى يمثلونها .

إن المروءة والسخاء ورعاية الجار من أعظم المناقب التى عرف بها العرب منذ الجاهليه ، لا تكاد تدانيهم فى هذا المضمار أمة من الأمم على مر العصور ، وقد حفلت كتب السير والتاريخ بأزهى الصفحات فى ذكر كريم شمائلهم وشريف خصالهم حتى كانوا مضرب الأمثال فى إكرام الضيف وغوث الملهوف وإيواء المستجير والبر بأصحاب الحاجات . وقد أسرفوا فى كرم الوفادة وحسن استقبال الغرباء وجاوزوا فى ذلك حد الاعتدال . فكيف وقد صفت طباعهم ورقت شمائلهم فى ظل الإسلام ، وصقلت حضارته أذواقهم وأخلاقهم وتقاليدهم . والسفير القادم إلى ديارهم له فى ذمتهم حقوق لا مفر من الوفاء بها ، فله حق الغريب فى النزول أكرم منزل ، وحق الرسول فى حسن استقباله وتسهيل مهمته . وهو بعد ذلك من صفوة قومه وقد تجشم مشاق السفر والترحال ليمثل رئيس دولته فى البلاد الإسلامية ، فإكرامه إعزاز لشخصه ولمرسله معا .

وفضلا عن ذلك ، فإن شعور السفير الأجنبى برعاية الدولة الإسلامية أدعى إلى كسب مودته حتى إذا عاد إلى قومه كان للعرب خير سفير يبلغ عنهم مالمسه من طيب خلالهم وما استقر فى نفسه من فضلهم ونبلهم ، وكسبت الدولة الإسلامية عن طريقه حسن منزلة فى بلده فأعانها ذلك على تحقيق مقاصدها ونيل مبتغاها ودعم علاقاتها الودية بحلفائها فى المحيط الدولى .

وهكذا انعكست التقاليد العربية السمحة على النظم الدبلوماسية وأضافت رصيداً جديداً إليها ، فأحاط المسلمون السفراء الوافدين إلى ديارهم بضروب العناية والرعاية ، وأعلوا من شأنهم ورفعوا من منزلتهم شأنهم فى ذلك شأن سائر الشعوب منذ فجر التاريخ ، وزادوا عليها بما ابتدعوه فى سبيل تأمين المبعوثين والترفيه عنهم من مراسم الإجلال ومظاهر الحفاوة والإكبار .

ويجدر بنا قبل البحث فى الحصانات التى منحتها القواعد الشرعية الإسلامية للسفراء أن نبين مدلول الحصانات والامتيازات الدبلوماسية وأنواعها بحسب العرف والقانون الدوليين وما استقرت عليه آراء الفقهاء وأحكام القضاء فى شأنها حتى يتسنى لنا فى ضوء هذه الدراسة التمهيدية أن نعالج موضوع الحصانات الدبلوماسية فى ظل الدولة الإسلامية .

المبحث الثانى

الحصانات والامتيازات الدبلوماسية

يعنى مصطلح الحصانات الدبلوماسية تلك

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الامتيازات التى يخلعها القانون الدبلوماسى على الممثلين السياسيين دون غيرهم من الأفراد والجماعات . وقد استقرت تلك الحصانات بتأثير العرف والتقاليد الدولية منذ أقدم العصور ؛ إذ أدركت القبائل والأمم القديمة جلال المهام التى يضطلع بها المبعوثون والسفراء ، فأحاطتهم بهالة من القداسة لتمكن لهم من القيام بها على خير وجه . وبالرغم من أن القدماء بوجه عام كانوا ينبذون الغريب ويكرهونه أو يعدونه عدواً يستحلون دمه ، فإن تمتع السفير بالحصانة فى أثناء تأديته لمهمته قد أصبح عرفا مستقراً منذ قيام العلاقات الدبلوماسية فى مراحلها الأولى قبل فجر التاريخ. وأصبحت الحصانة الشخصية منذ ذلك الحين من مستلزمات تحقيق المهمة الدبلوماسية .

وكما كان قتل السفير أو إلحاق الضرر أو الإهانة به سبباً فى بدء القتال من جانب قبيلته ، فإن بعض القبائل كانت تعاقب بالقتل كل من يقتل المبعوث إليها أو يهينه .

ولهذه الأسباب ، كان على المبعوث أن يبين نفسه لدى مروره بين معسكرات العدو ، أو فى أثناء سفره بين القبائل الأخرى فى طريقه لتأدية مهمته من ذلك أن الرسل كانوا يتنقلون بين جبال مراكش ووهادها فى العصور الأولى ، وقد حملوا حربة فى رأسها خرقة من القطن الأبيض . حتى يتبين الأعداء شخصيتهم فلا يعتدوا عليهم . ولا يسألهم من يمرون ببلاده عن مهامهم ، بل كان يقدم إليهم الطعام أحياناً . وهذه العادات قد عرفتها كثير من المجتمعات القديمة كالهند وجنوب نيجيريا حيث كان السفراء يضعون عصابة حمراء على جباههم .

على أنه كان للتمتع بالحصانات لدى بعض هذه القبائل شروط وحدود ، فيشترطون على السفير مثلا ألا يحيد عن الطريق المحدد له وإلا فقد حصانته .

وتطورت الحصانات الدبلوماسية بتطور المجتمع الدولى وخروجه من مرحلته البدائية إلى عصور العلم والمعرفة ، فأصبحت تلك الحصانات حقوقا مكتسبة منظمة يتمتع بها أرباب التمثيل الدبلوماسى على اختلاف جنسياتهم وتباين مراتبهم ، وتعددت أنواعها بما يفى بحاجات التبادل الدولى والحرص على تحقيق الأغراض الدبلوماسية .

ومن ثم يترتب على تبادل العلاقات السياسية بين دولة وأخرى إقرار هذه الحقوق والامتيازات للممثلين المعتمدين لدى كل منهما ، ويؤدى الإخلال أو المساس بها إلى تعكير صفو هذه العلاقات وربما إلى قطعها.

والحكمة فى تقرير هذه الحصانات هى تهيئة أفضل الظروف والضمانات لأعضاء البعثات الدبلوماسية والتيسير عليهم فى ممارسة وظائفهم تقديراً لدورهم الجليل فى إنشاء العلاقات السياسية الدولية ودعمها ومن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أجل هذا الغرض فرضت لهم حقوق يمثل بعضها إعفاءات معينة من بعض الالتزامات التي يكلف بها المواطنون، ويمثل البعض الآخر حصانات خاصة تقتصر على هؤلاء المبعوثين.

وإن كانت هذه الامتيازات تشكل قيودا على سيادة الدولة التي تقضي بامتداد سلطانها على إقليمها ومن يقيمون فيه، فإن الدولة لا تضار من هذه الاستثناءات مادام ممثلوها يتمتعون بهذه الحصانات في الدول الأخرى ذلك أن مبدأ المعاملة بالمثل هو القاعدة المتبعة في مجال الامتيازات الدبلوماسية.

وقد بلغ من اهتمام الدول بتقرير هذه الحصانات اهتماما يبلغ حد التقديس أن ضمنتها نصوص القوانين الداخلية التي تصدرها بل عمدت بعض الدول إلى النص في دستورها على ما يقع على كاهلها من التزامات دولية في شأن الحصانات. وبينما تعترف بعض البلاد في قانونها العام بقواعد القانون الدولي بالنسبة لمركز الممثل الدبلوماسي ووضعه، تسن بلاد أخرى أحكاما تشريعية صريحة في قانونها الداخلي تسجل بها القواعد المقررة في القانون الدولي بشأن مركز الممثل الدبلوماسي.

ومن ثم لا خلاف بين الدول في المبادىء العامة للحصانات الدبلوماسية، وإن كانت تنشأ أحيانا منازعات بينها حول مدى شمول هذه الحصانات. فالقانون الدولي، وإن كان يقرر الوجود القانوني لبعض الحصانات مبدئيا، إلا أنه لا يستطيع أن يضمن احترامها وحمايتها بشكل محدد. ومن رأى بعض فقهاء القانون الدبلوماسي أن صدور تشريعات داخلية لضمان الحصانات الدبلوماسية، وإلزام المحاكم الوطنية بمراعاة استثناء الدبلوماسيين من القضاء المحلي، على أساس تبيانها وتحديدها في القانون الداخلي، هو أمر ضروري.

وثمة إجراء آخر لضمان احترام حصانات الدبلوماسيين وهو الاتفاق عليها في معاهدة دولية تعد جزءاً من القانون الداخلي لكل طرف من أطرافها بمجرد التصديق عليها من قبل السلطات المختصة دستوريا.

وقد ابتدع الفقهاء عدة نظريات بنوا عليها أساس الحصانات، فكانت بمثابة سند فكري يسد حاجة الدول إلى تبرير هذه الامتيازات التي استقرت بالعرف والقانون الدوليين، إذ أنها في جوهرها قيد على سيادة الدولة، يحول بينها وبين ممارسة سلطانها وتطبيق قوانينها على بعض الفئات، ونعني بهم أعضاء السلك الدبلوماسي من رعايا الدول الأخرى.

وتستند أولى هذه النظريات على فكرة امتداد إقليم دولة الممثل الدبلوماسي في الدولة المعتمد لديها. وتعد دار السفارة أو المفوضية - بحسب هذا الافتراض - جزءاً من الدولة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التى يمثلها السفير أو الوزير المفوض ويمتد ذلك إلى الذين يسكنونها وأتباعهم ، فهم لا يخضعون للسلطات المحلية ما داموا مقيمين فى قطاع يمتد من بلادهم .

أما أرباب النظرية الثانية فيرون أن امتيازات الممثل الدبلوماسى ترجع فى أصلها إلى سيادة الدولة التى يمثلها . ويحمل هذا الرأى أن رؤساء الدول متساوون ، فلا خضوع من رئيس دولة لمثله ، وبالتالى لا يجوز أن يكون مندوب هذا الرئيس خاضعا لرئيس آخر . فالممثلون الدبلوماسيون يمثلون رؤساء دولهم فهم لذلك لا يخضعون للسلطات المحلية فى الدول التى يعتمدون لديها إذ تتمثل فيهم سيادة دولهم .

وقد وجه كثير من النقد إلى كلتا النظريتين مما أدى إلى أطراحهما والأخذ بالنظرية الحديثة التى يطلق عليها نظرية الوظيفة . وهى تبرر منح الممثل الدبلوماسى امتيازات خاصة بحاجته إليها للنهوض بأعباء وظيفته على الوجه المنشود وضمان استمراره فى أدائها . فهذا الممثل هو الذى يوثق العلاقات بين دولته والدولة التى يعين فيها ، وهو الذى يدير دفة المفاوضات بينهما ، ويراقب سير الأمور فى الدولة التى يعتمد لديها وينقل إلى دولته أهم الأحداث التى تتصل بالأوضاع الدولية ، وهو الذى يحمى رعايا موطنه ومصالحهم . ولا سبيل له إلى حسن الاضطلاع بمهامه والتمتع باستقلاله فى القيام بها إلا إذا أمن جانب السلطات المحلية ، ولا يتحقق ذلك إلا بمنحه تلك الامتيازات .

وقد اتفق فقهاء القانون الدبلوماسى على أن الامتيازات الدبلوماسية تتجلى فى صور أربع هى : الحرية الشخصية ، وحرمة المسكن ، والإعفاء من القضاء الإقليمى ، والإعفاءات من الضرائب .

(أ) الحرية الشخصية :

ومدلولها أن تكون ذات الممثل الدبلوماسى مصونة ، فتلتزم الحكومة المعتمد لديها بحمايته من كل عدوان يوجه إليه ، ومن كل فعل ينطوى على مساس بشخصه أو امتهان لصفته .

وتفرض القوانين الجنائية فى معظم الدول عقوبات خاصة على ارتكاب أفعال الاعتداء التى تقع على مبعوثى الدول الأجنبية ، وعلى الأخص الأفعال التى يكون من شأنها المساس بكرامتهم أو صفتهم التمثيلية . غير أنه يشترط لتمتع الممثل الدبلوماسى بالحصانة الشخصية ألا يتسبب بخطئه أو سوء تصرفه فى وقوع الاعتداء عليه ، وأن تكون العلاقات بين دولته والدولة المعتمد لديها قائمة فعلا ، وأن تكون تلك الدولة قد اعترفت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بدولته اعترافا قانونيا ، وفى هذا الاعتراف إقرار بالصفة التمثيلية للمبعوث الدبلوماسى .

وتمتد الحصانة الشخصية إلى جميع الأشياء المتعلقة بالممثل الدبلوماسى ، فلا يجوز التعرض لمنقولاته وسياراته وحقائبه . كما لا يجوز التعرض لأوراقه ومراسلاته الخاصة أو تلك التى يتبادلها مع حكومة دولته فى شأن وظيفته .

(ب) حرمة المسكن :

وهى من أهم مظاهر الامتيازات الدبلوماسية ، فلا يجوز التعرض لدار الوكالة الدبلوماسية سواء بدخولها أو اتخاذ أى إجراء فيها كتحقيق أو تفتيش أو إعلان دون إذن من رئيس البعثة الدبلوماسية . ذلك أن التعرض لدار السفارة يعد إخلالا بطمأنينة الممثل وتعطيلا لأعماله ووظيفته ، وواجب السلطات المحلية أن تعينه على أداء هذه الوظيفة .

ومن رأى أكثر الفقهاء أن هذه الحصانة تمتد إلى مساكن سائر الأعضاء فى البعثة الدبلوماسية على اختلاف درجاتهم . ويرى قليل منهم أنها لا تسرى إلا على دار الوكالة الدبلوماسية . على أنه يشترط للتمتع بهذه الحصانة ألا يسىء أربابها استعمالها وأن يستخدموها فى الغرض الذى شرعت لتحقيقه ، فلا يجوز استخدام دار السفارة مكانا للسجن أو الإعدام وإلا سقطت حرمتها ، كما لا يجوز استغلال هذه الحصانة بإيواء المجرمين وتمكينهم من الاختفاء عن أعين العدالة إذ ينبغى تسليم من يحتمى بالسفارة من هؤلاء الأشخاص إلى السلطات المحلية لتتخذ من جانبها الإجراءات القانونية التى تستلزمها تلك الحالة .

(م) الحصانة القضائية :

تقضى الامتيازات الممنوحة للموظفين الدبلوماسيين بإعفائهم من القضاء المحلى ، فلا يخضعون للقضاء الجنائى أو المدنى فى البلاد التى يؤدون فيها وظائفهم ، ويلحق بتلك الحصانة الإعفاء من أداء الشهادة أمام المحاكم المحلية .

والإجماع منعقد بين الفقهاء والقضاة على أن رجال السلك الدبلوماسى يتمتعون بحصانة مطلقة من حيث الخضوع للقضاء الإقليمى فى الشئون الجنائية ، سواء تعلق ذلك بأعمالهم الرسمية أو لم يتعلق بها .

وهذا الإعفاء إنما هو نتيجة للحصانة الشخصية التى يتمتع بها الممثل الدبلوماسى ، إذ يترتب على عدم جواز التعرض له بالقبض عليه أو دخول منزله وتفتيشه بسبب ما قد يصدر عنه من أفعال تخل بالقانون الجنائى ، عدم خضوعه للقضاء الجنائى الإقليمى .

على أن هذه الحصانة لا تخل بحق السلطات المحلية فى اتخاذ التدابير اللازمة لمنع الممثل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من الاستمرار فى ارتكاب جرائم تهدد نظامها الداخلى أو تمس الأمن فيها ، وبخاصة تلك الجرائم الخطيرة كتدبير المؤامرات أو إشعال الفتن . فللسلطات الإقليمية فى هذه الأحوال أن تحاصر دار الوكالة الدبلوماسية برجال الشرطة ، وأن تحيطها برقابة دقيقة . كما يجوز لها أن تطلب من حكومة الممثل استدعاءه فى الحال ، فإذا لم تجد استجابة جاز لها أن تطرده وترسله مخفورا بحرس إلى حدود بلادها . بل يجوز لها أيضا أن تطلب من دولته أن تتولى محاكمته . فإذا كانت الجريمة التى ارتكبها الممثل الدبلوماسى إحدى الجرائم العادية ، فإن الحكومة المحلية تكتفى بتنبيه حكومة الممثل إلى ذلك بصفة سرية لتقوم باتخاذ ما تراه إزاء هذه الحالة .

أما فى شأن الإعفاء من القضاء المدنى فنجد اختلافا بين الآراء فى مداه ، وبخاصة فى الدعاوى العينية العقارية التى يكون الممثل الدبلوماسى طرفا فى الخصومة الناشبة حولها . فقد أخذت بعض المحاكم بمبدأ الحصانة المطلقة فى القضاء المدنى أسوة بالقضاء الجنائى . ومن ثم شمل الإعفاء جميع الدعاوى المدنية بما فى ذلك التجارية سواء كانت متصلة بالعمل الرسمى للممثل أو لم تكن .

وفرقت أحكام أخرى بين الدعاوى المدنية الناتجة عن العمل الرسمى وتلك التى لا تترتب على هذا العمل . فطبقت مبدأ الحصانة فى الحالة الأولى ، ولم تأخذ بها فى الحالة الثانية .

وثمة رأى ثالث فى هذا الصدد يجعل تمتع الممثل الدبلوماسى بالحصانة القضائية فى جميع الدعاوى المدنية باستثناء تلك التى تتعلق بأموال عقارية يملكها الممثل فى إقليم الدولة المعتمد لديها أو الناشئة عن أعمال تجارية قام بها الممثل لحسابه الخاص دون أن يكون لها علاقة بمهام وظيفته أو المتفرعة عن دعوى أصلية تقدم بها الممثل نفسه إلى القضاء بصفته مدعيا .

(د) الإعفاء من الضرائب :

جرت الدول على إعفاء المبعوثين من أداء الضرائب الشخصية المستحقة عليهم كضريبة الدخل وما شابهها .

أما الضرائب العينية المربوطة على الأموال العقارية فلابد أن يؤديها الممثل إذا كان يملك أموالا عقارية فى إقليم الدولة المعتمد لديها ، ويستثنى من ذلك العقار الذى تملكه حكومة الممثل وتتخذه دارا لسفارتها أو مفوضيتها .

وكذلك استقر العرف على إعفاء الممثلين الدبلوماسيين من الرسوم الجمركية ، فتعفى المنقولات التى ترد إليهم سواء أكانت خاصة بهم أم بدار الوكالة من رفع الرسوم المقررة .

محمد فتح الباب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فقيه كبير يتحدى الظاهر بيبرس :

محيي الدين النووي

للأستاذ محمد رجب البيومي

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » (قرآن كريم)

---

(١) إن مصباح الهداية الإسلامية لينتقل من جيل إلى جيل ، دون أن ينطفئ نوره على مد الحياة ، فلم يكد العز بن عبد السلام ينتقل إلى جوار ربه حتى نهج نهجه فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عالم جليل من طرازه ، يشاركه الفهم الصائب ، والعزة العالية ، والمجابهة الجريئة للطغيان ، ذلكم هو الإمام الورع أبو زكريا يحيى النووى الشهير بمحيي الدين ! !

عاش الرجل ردحا من حياته فى عصر الظاهر بيبرس ، والظاهر كما نعلم جميعا بطل قاهر من أبطال التاريخ ، أسدى للعروبة والإسلام أيادى رائعة حين كافح الاستعمار الصليبى فى مواقع فاصلة ، فقاد الجيوش وراء الجيوش ليرد الزحف الأوربى المتربص بمواطئ الإسلام ومرابض العروبة ، ضاربا ضرباته الصاعقة التى زلزلت هذا الكيان الباغى فارتد ناكصا على أعقابه فى ذهول ، كما استطاع أن يسهم إسهاما جاداً فى اندحار السيل التترى المتوحش حين تدفقت أمواجه على المسلمين ولم يجد من يثبت أمامه غير الحجعل المؤمن الصابر فى عين جالوت بقيادة الملك المظفر قطز والبطل المغامر بيبرس ! ومع هذه البطولة النادرة فقد كان مسلكه السياسى لا يخلو من النقد الصارم العنيف ، إذ أن أنانيته الشخصية كانت تدفعه إلى بعض ما يعد جريمة خائنة ، ويكفى أن نذكر تآمره الغادر على حياة الملك قطز ، فقد اغتاله بعد أن فرحت الدنيا بانتصاره الحاسم فى عين جالوت ! ولم يكن الظاهر يحسب حساب أحد ما ، بعد حياته اللئيمة غير العز بن عبد السلام ، فقد امتنع عن مبايعته ، حين رأى لون الدم فى يده ، وخاف الظاهر من تكتل الأمة وراء العز فأخذ يصانع

(١) من كتابنا (علماء يحاربون الطغيان) وسيصدر قريبا .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأمراء ، ويجامل القواد ، ليضم إلى جانبه ذوى القـــوة والسلاح : وقد واجهه ابن عبد السلام على رءوس الأشهاد بأنه عبد للبندقدار لم يثبت عتقه للآن ! ! فأخذ يتذلل ويتضرع ، ويحضر شهوداً يثبتون خروجه من ملك البندقدار ، وكان الشيخ المسن فى مرضه الأخير فلم يلبث أن لحق بربه ، وتنفس الظاهر الصعداء حين رأى جنازته تمر تحت القلعة ، ووراءها آلاف الرجال ممن لا يحصون ، حتى قال قولته الشهيرة «اليوم قد استقر أمرى ، فإن هذا الشيخ لو قال للناس اخرجوا عليه لانتزع منى الملك» .

قال الظاهر بيبرس قولته تلك ، ولم يدر أن الأيام تخبئ له عالما داعية جريئا من طراز العز ، آلى على نفسه أن يوفى بعهد الله على العلماء أن يقفوا مع الحق فى كل سبيل ، فحمل الراية ، ونزل إلى الميدان .

كان الفقيه العـــلامة محيى الدين النووى رضى الله عنه ذا هيبة وجلال ، وقد تنقل فى أكثر العواصم الإسلامية لينهل من حياض الثقافة فى كل مركز من مراكزها النائية ثم رجع إلى دمشق بحر وراءه علما وفقها وورعا ، فقام بالتدريس ، وأخذ فى التأليف المستوعب الجامع حتى طارت له شهرة واسعة فى فقه المذهب الشافعى ، ونحن نقرأ آراءه الدقيقة حتى فى غير كتبه إذ يتناقلها المؤلفون من الفقهاء لتكون أداة ترجيح بين رأى ورأى ، وقد جرى العامة والخاصة من الناس على اعتقاد الولاية والصلاح فيه ، حتى نرى شيخا جليلا كالإمام تقى الدين السبكى ينزل إلى قاعة الحديث الأشرفية بدمشق حيث كان النووى يلقى درسه ، فيمرغ وجهه على بساطه ويقول لمن حوله .

لعلى أن أمس بحر وجهى
مكانا مسه قـــدم النواوى

هذا الذى يمرغ وجهه فى مواطىء أقدام النووى كان رأس الفقهاء والقضاة فى عصره وقد طارت له شهـــرة واسعة فى التحرير والفتيا ووقف من الأمراء والطغاة مواقف خالدة تنبئ عن جراءة مؤمنة ، وعظمة شماء ويخيل إلىّ أن هيام تقى الدين السبكى بالنووى يرجع إلى اعتقاده بأن محيى الدين النووى هو محرر المذهب الشافعى فى عصر بلغ فيه التنافس المذهبى بين العلماء حداً يدفع بعضهم إلى التعصب والجموح ، وآية التوافق والتناسب بين الفقيهين الكبيرين أن النووى قد شرح جزءاً كبيراً من كتاب المهذب للشيرازى فى فقه الشافعية أسماه « بالمجموع » وأدركه الموت دون أن يتمه ، فجاء تقى الدين من بعده وعزم على أن يكمل الشرح ، من حيث انتهى صاحب المجموع ، فبدأ تصنيفه من أول باب الربا إلى آخر الكتاب وأسماه « تكملة المجموع » ولن يقدم على ذلك إمام

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الفقهاء فى عصره إلا إذا قدر النووى أكبر التقدير ، وكأنى بهذا الإعجاب وقد انتقل من الأب إلى الابن فكتب نجل تقى الدين السبكى فى كتابه « طبقات الشافعية » يقول عن النووى متأثراً بروح أبيه .

« كان رحمه الله سيدا وحصورا ، وليثاً على نفسه هصوراً ، وزاهداً لم يبال بخراب الدنيا إذا كان ربع أنسه معمورا ، له الزهد والقناعة ، ومتابعه السابقين من أهل السنة والجماعة ، والمصابرة على أنواع الخير ، لا يصرف ساعة فى غير طاعة ، هذا مع التفنن فى أصناف العلوم ، متون أحاديث وأسماء رجال ولغة وصرفا إلى غير ذلك اهـ .

وهذا التفنن فى التأليف لدى النووى جعلنا نلمس نور قلبه فى كثير من مؤلفاته مثل رياض الصالحين ، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ، وبستان العارفين فى التصوف إذ أن أمثال هذه الكتب تفيض بضياء مشرق يستمد شعاعه من التقوى الخاشعة واليقين الصريح ، أما دقته العلمية فتتضح فى كتب أخرى مثل التحرير فى الفقه وروضة الطالبين ، والمنهاج والمجموع وغيرها مما لا يزال أكثره مخطوطا إلى اليوم ، ولسنا الآن بصدد تحديد مكانه العلمى ولكنا نمهد بذلك إلى الحديث عن شجاعته الأدبية وإيمانه الجرىء .

لقد اشتط الظاهر فى جمع الضرائب والمكوس من العامة ليستعين بها على الجهاد ، حتى وصل به الشطط إلى ضروب من العنت والإرهاق ، ودار الشيخ بعينه فرأى كثيرا من التجار يجردون من أموالهم ، ويحيط بهم طائفة من غلاظ الجباة ، يغتصبون ويسلبون فإذا اعتذر أحدهم بضيق اليد تعرض متجره للنهب وقد تتهاوى عليه السياط المحرقة دون رحمة وإشفاق ، فكتب النووى إلى السلطان يلفته إلى ذلك ، ويوصيه بالعدالة والحق فيما يأخذ ويدع من الأموال ، ويشرح له ما شهده بنفسه من مآس تتفطر لها الأكباد ، وقد أغلظ عليه القول فبالغ فى التهديد والوعيد ، وطار الخطاب إلى الظاهر فرأى أن العز بن عبد السلام قد رجع فى صورة عالم جديد هو محيى الدين النووى ، فظن أن المهاجم الثانى ليست له مكانة العز ومنزلته ، ورأى أن يواجهه بالشدة قبل أن تلتف حوله النفوس ، ويصير ذا صدى مسموع يقلق ويهيج ، فرد عليه بكتاب قارص يحمل الإنكار والتوبيخ ، ويشير بالوعيد القاهر لكل من يتدخل فيما ليس يعنيه ، ثم هو لا يقتصر على الشيخ وأتباعه من العلماء بل ينتقل إلى الرعية فيصمها بالبخل والشغب ، ويعلن أن أمر الجباة نافذ الطاعة مهما غلوا فى المكوس ، وتهجموا بالسب والضرب ، إذ هم أعوان الدولة ورسلها لدى الناس ، وظن الملك الظاهر أنه بذلك أطفأ الثائرة وكم الأفواه

وصل الرد إلى الإمام المجاهد ، فقرأه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

متعجباً ثم دعاه داعي الحق إلى أن ينقض الباطل ويرفع الحق ، فلم تأخذه رهبة من حاكم جبار يعتصم بالقوة والجاه والسلطان ، ودعا من فوره بالدواة والقلم ، ليرد على كل كلمة جائرة تضمنها قول الحاكم الباطش ، وقد غمرته سكينة الإيمان فما أحس بخوف ، أو تهيب من دفاع ، وكان فيما قال رضى الله عنه وطيب ثراه : ـ

(وأما تهديد الرعية بسبب نصيحتنا ، وتهديد طائفة من العلماء ، فليس هو المرجو من عدل السلطان وحلمه ، وأى حيلة لضعفاء المسلمين فى الناصحين نصيحة للسلطان ولهم ، ولا علم لهم به ، وكيف يؤاخذون به لو كان فيه ما يلام عليه ، وأما أنا فى نفسى فلا يضرنى التهديد ولا أكثر منه ، ولا يمنعنى ذلك من نصيحة السلطان فإنى أعتقد أن ذلك واجب على وعلى غيرى ، وما ترتب على الواجب فهو خير وزيادة عند الله تعالى : « هذه الحياة الدنيا متاع ، وإن الآخرة هى دار القرار » « وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد » . وقد أمرنا رسول الله أن نقول الحق حيثما كنا وألا نخشى فى الله لومة لائم) .

وصل الرد القاطع إلى صاحب الأمر ، فأثار فى نفسه ضروباً من الانفعالات الناقمة وجمع مستشاريه ليأخذ رأيهم فيما يجب أن يقوم به إزاء هذا العالم العنيد ، فاستمع إلى كثير مما يتعارض ويتناقض بين داع إلى العقاب ، ومشير بالتسامح والإغضاء وكان رأى الظاهر بعد النقاش الطويل أن يجنح إلى التهادن ، إذ لو سارع بإعلان غضبه على الشيخ لجعله بطلا كبيراً فى مرأى العامة ، ولأصبح بمحنته هذه رمزاً للدفاع المخلص ، ولواء يلتف حوله الناقمون فى كل مكان .

والواقع أن نصيحة الشيخ رغم قسوتها الصريحة قد فعلت فعلها فى نفس الحاكم ، فاضطر إلى أن يجمع الجباة فيشير عليهم بالرفق والملاينة ، ويحذرهم غضب العلماء من الخاصة ، والجمهور من العامة ، وإن كان الظاهر فى واقعه لا يستطيع أن يتخلص من حنق مكظوم أثار الشيخ مرارته فى نفسه ، وأنى له ، وهو إنسان يحب أن يأمر فيطاع ...

مرت هذه الحادثة لتعقبها حادثة أخرى أشد منها عنفاً وإيجاعا ، فقد تهيأ الظاهر إلى بعض حروب أعدائه من خصوم الإسلام ، وأراد أن يأخذ من أموال الرعية ما يستظهر به على العدو ، واستفتى العلماء فى ذلك فأفتوه بالجواز ، ولكن محيى الدين يمتنع عن الفتوى ويعلن ذلك فى إصرار .

لو ملك الظاهر زمام عاطفته لتدبر وفكر فى وجهة نظر الشيخ ، ولكن تسرعه الغاضب أوحى له أن يعقد اجتماعا عاجلا يشهده الجمع

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الحاشد من الناس ، ويحضره النووى ليظهر فى ثوب المخذل عن الحرب ، الصاد عن مجالدة الكفار ، فيكون موقفه إذ ذاك غير كريم ، وتسقط مهابته لدى الناس .

وتم للملك ما أراد ، فاكتمل الحفل بأعيانه ووجوهه وذوى الرأى فى البلاد ، وتقدم محيي الدين بقدم ثابتة ليسأله الظاهر فى عناد : لماذا لا تجيز أن نجمع الأموال من المسلمين لننفقها فى الجهاد كما أفتى زملاؤك من الفقهاء ؟ .

فرد الشيخ فى حزم أخاذ ، : كلنا يعلم أن لديك ألف مملوك ، كل مملوك له حياصة من ذهب ، وعندك مائتا جارية ، لكل جارية نصيب من الحلى والجوهر ، فإذا أنفقت ذلك كله ، وبقيت مماليكك بالبنود الصوف بدلا من الحوائص ، وبقيت الجوارى بثيابهن دون الحلى والجوهر أفتيتك بأخذ مال الرعية!.

يا لله : لقد دهش الحفل من صراحة الرد ، وأشرقت الابتسامات فى الوجوه لتعلن اغتباطها بهذه المجابهة الرادعة ، وتطلع الملك الظاهر إلى رفقائه متلمساً من يسعف برد منقذ ، يحول دون الإفحام والإلجام ، فلم يجد غير محيي الدين ينظر إليه فى كبرياء عالية من الحق تحتم على الناس أن ينزلوها منزلة الإكبار والإعجاب ، حين تجيز لهم أن يشمتوا بجبروت السلطان وقسوته فى ابتزاز الأموال:

فعصفت نخوة السلطان بالظاهر وصاح فى وجه النووى : اخرج من بلدى — يعنى دمشق — إذ لا يجب أن تساكننى فى مكان !:

وتدفع النخوة زملاءه من الفقهاء فينسحبون من الحفل محتجين ، ويسود الهرج والمرج صفوف الناس فيخشى الحاكم سوء المقال ويتراجع قائلا :

ولماذا تخرج ؟ أذنت لك بالمقام ! !

فيجيب النووى فى صرامة : ومن أدراك أنى أقبل المقام لديك ، لابد من الرحيل ثم يهم بالخروج فيتفرق الناس خلفه مبهورين !!

لو أن ذاكرة الظاهر كانت حادة نافذة لتذكر أن العز بن عبد السلام قد وقف من الملك قطز هذا الموقف حين هم بجمع المال من الرعية قبل موقعة عين جالوت إذ أعلن سلطان العلماء أن المال محرم على السلطان قبل أن يستنفد ما لدى جواريه ومماليكه من ذهب ولؤلؤ ، ولكن الملك الظاهر لم يتذكر ذلك إلا حين مثل محيي الدين دوره فى شجاعة وإيمان ، فاضطرب صاحب الأمر وتخيل الموقف السالف وقد شهده بعينيه منذ أعوام ! ورأى أن العز الذى استراح بفقده قد عاد من جديد فى صورة محيي الدين ، فعض على شفتيه يدمدم «ذرية بعضها من بعض» ، والتفت إلى أحد جلسائه ليقول له فى غرابة مريرة : ما أشبه الليلة بالبارحة فيما كان ؟

محمد رجب البيومى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية

للأستاذ محمد محمد أبو شهبة

— ٣ —

من المقارنات المهمة والفوارق الأصيلة بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية أن الشريعة الإسلامية ربطت تشريعاتها بالجانب الروحى أو بمعنى آخر عرضت لظاهر الأعمال وباطنها بخلاف القوانين الوضعية ، فإنها عنيت بالظاهر ولم تعر الجانب الروحى أية عناية . وإنك لتلمس هذا واضحاً فى التشريعات الإسلامية حينما رتبت على الأعمال آثار دنيوية وأجزية أخروية بالإثابة والعقوبة فالبيع مثلا يتوقف عليه انتقال الملكية ، ومتى حصل الإيجاب والقبول فقد تمت الصفقة ووقع البيع صحيحاً من الناحية الظاهرية حتى ولو كانت فى المبيع عيوب خفية أخفاها البائع ولم يتنبه لها المشترى ، ولكن الشريعة لم تقف عند الظاهر بل قالت : إن صدق البائع والمشترى وبينا العيب ولم يكتما بورك لهما فى بيعهما وأثيبا فى الآخرة ، وإن كتما وغشا كان آثمين وذهبت البركة من بيعهما . وإن صدق أحدهما . وغش الآخر ، كان للصادق ثوابه ، وعلى الآخر وزره . روى البخارى فى صحيحه عن حكيم بن حزام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « البيعان بالخيار مالم يتفرقا أو قال : حتى يتفرقا فإن صدق وبينا بورك لهما فى بيعهما ، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما » .

وكذلك القرض الحسن أمر مستحب شرعا وجائز قانونا والقانون ينظر إليه من الناحية الظاهرية والاجتماعية . أما الشرع فنظر إليه من الجانب الروحى أيضا فجعل له ثوابا مضاعفا مدخراً عند الله سبحانه روى ابن ماجه بسنده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت ليلة أسرى بى على باب الجنة مكتوبا : الصدقة بعشر أمثالها ، والقرض بثمانية عشر فقلت لجبريل : ما بال القرض أفضل من الصدقة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قال : لأن السائل يسأل وعنده ، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة ، وإنه لتعليل سديد ...

والقتل العمد حرام شرعا وممنوع قانونا ويترتب عليه آثاره الدنيوية فى الشريعة والقانون ولكن الشارع رتب عليه إلى العقوبة الدنيوية وهى القصاص عقابا أخرويا قال تعالى : « ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالدا فيها ، وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » (١) أما القانون فلم يرتب عليه شيئا زائدا عن العقوبة الدنيوية.

والحرابة وهى قطع الطريق رتب عليها الشارع عقوبة دنيوية وهى القتل أو الصلب أو تقطيع الأيدى والأرجل من خلاف أو النفى ورتب عليها أيضا العقاب الأخروى قال تعالى : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم (٢) » أما القانون فلم يرتب على هذه الجريمة عقابا أخرويا .

وجريمة السرقة رتب عليها الشارع الحكيم القطع فى الدنيا والعذاب فى الآخرة قال تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم . فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم » (١) والمقصود التوبة بعد تنفيذ الحد ، ولا محل لقبول التوبة وغفران الذنوب إلا إذا كانت هناك عقوبة أخروية وبذلك دلت الآية على العقوبتين هذا عدا الأحاديث الكثيرة الدالة على ذلك .

وقذف المحصنات المؤمنات وإشاعة الفاحشة بين الناس له عقوبة دنيوية وهى الحد وعقوبة أخروية وهى عذاب النار قال عز شأنه : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون . إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم » (٢) . فقد بينت الآية العقوبة الأصلية وهى الحد ، والعقوبة التبعية وهى رد الشهادة إلا إذا تاب وحسنت توبته فتقبل شهادته

---

(١) النساء الآية ٩٣

(٢) المائدة الآية ٣٣ .

(١) المائدة ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) النور ٤ ، ٥ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عند الجمهور ، وقال سبحانه « إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم . يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون (١) وهى نص فى العقوبة الأخروية وقال أيضا : « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنو لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة » (٢) أما القانون فلم يرتب على هذا إلا عقوبة دنيوية وإن كانت دون عقوبة الشارع الحكيم زجراً وردعا .

وجريمة الزنا لها عقوبتان : عقوبة دنيوية ، وأخرى أخروية فى الكتاب الكريم « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » (٣) وهذا الحد فى حق غير المحصن والمحصنة أما حدهما وهو الرجم فقد جاءت به الأحاديث الصحيحة مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « خذوا عنى خذوا عنى فقد جعل الله لهن سبيلا (١) ، البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » رواه مسلم وأصحاب السنن . وفى الصحيحين أن عمر رضى الله عنه خطب بمحضر من الصحابة فقال : « إن الله بعث محمداً بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان فيما أنزل الله عليه آية الرجم (٢) قرأناها ووعيناها وعقلناها ، فرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجمنا بعده ، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل : ما نجد الرجم فى كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله وإن الرجم حق فى كتاب الله تعالى على من زنى ، إذا أحصن من الرجال والنساء ، إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف » .

أما العقوبة الأخروية فقد جاءت بها الآيات الكريمة « والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا . إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا

---

(١) النور ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) النور ١٩ .

(٣) النور ٣ .

[١] إشارة إلى قوله تعالى : « أو يجعل الله لهن سبيلا » النساء ١٥ فقد نسخ الحكم الأول بالجلد أو الرجم والجمهور على عدم الجمع بين الجلد والرجم فى المحصن والاكتفاء بالرجم كما يدل على ذلك قصة ماعز والغامدية .

(٢) كانت قرآنا ثم نسخ لفظها وبقى حكمها أبداً .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما »[1] أما القانون فلم يرتب على جريمة الزنا أى عقاب أخروى .

وجريمة شرب الخمر والمسكرات لها عقوبتان دنيوية وأخروية ، أما الدنيوية فالحد وهو ثابت بالأحاديث الصحيحة المتكاثرة ، وأما الأخروية فبالعذاب ، قال تعالى : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون »[2] والرجس الذى يصد عن الذكر وعن الصلاة والذى هو من عمل الشيطان من أعظم موجبات العقاب الأخروى .

وفى الحديث المتفق عليه « من شرب الخمر فى الدنيا ثم لم يتب منها حرمها فى الآخرة » وهو كناية عن الحرمان من الجنة ، وفى الحديث الذى رواه الإمام أحمد مرفوعا « لا يدخل الجنة عاق ، ولا مدمن خمر ، ولا منان » إلى غير ذلك من الأحاديث المتكاثرة ، أما القانون فلم يرتب على الخمر والمسكرات عقوبة فى حد ذاتها ، ولو دنيوية ، وإنما اعتبر العقوبة على ما يترتب على السكر من عربدة أو إخلال بالأمن والردة عن الإسلام لها عقوبتان : دنيوية وأخروية ، قال تعالى : « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب أصحاب النار هم فيها خالدون »[1] وفى الحديث المتفق عليه « من بدل دينه فاقتلوه » وذلك بعد الاستتابة والكشف عن شبهته وإمهاله مدة يراجع فيها نفسه عسى أن يرجع إلى صوابه على ما هو مفصل فى كتب الفقه .

وكذلك الربا له عقوبتان دنيوية وأخروية ، أما الأخروية فذكرها الله فى قوله سبحانه : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا : إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله

(١) الفرقان ٦٨ ـ ٧٠ .

(٢) المائدة ٩١ .

(١) البقرة ٢١٧ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لا يحب كل كفار أثيم »[1] وأما الدنيوية فقد أشار إليها الحق تبارك وتعالى بقوله : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولاتظلمون »[2] .

روى عن ابن عباس فى تفسير هذه الحرب: « من كان مقيما على الربا لا ينزع عنه كان حقا على إمام المسلمين أن يستتيبه فإن نزع وإلا ضرب عنقه » وروى عن الحسن وابن سيرين نحو ذلك[3] .

وفى تفسير الألوسى أن المرابى يحبس حتى تظهر توبته ولا يمكن من التصرفات وما لم يتب لم يسلم له شىء من أمواله[4] ، وإنه لتشريع حكيم فالمرابون محاربون لله ولرسوله ، ومفسدون فى الأرض ومقطعون لأرحام البشرية والروابط الإنسانية .

وهكذا نجد أنه ما من أمر محظور شرعا إلا ورتب عليه الشارع الحكيم العقاب الأخروى ، ولقد بلغ من أمر الشريعة الإسلامية أن الأمور المباحة إذا نوى بها المكلف الخير والقربة أثيب عليها فالأكل إذا قصد به التقوى على الجهاد ، أو السعى على المعاش فهو مثاب عليه والنوم يقصد به التقوى على التهجد وقيام الليل مثلا عبادة يؤجر عليها ، حتى اللقمة يضعها الرجل فى فم امرأته على سبيل المباسطة معها والمؤانسة لها أمر يؤجر عليه فاعله .

وغير خفى ما لهـــذا الجانب الروحى فى التشريعات من أثر عظيم فى إصلاح القلوب ، وتقويم السلوك والحض على فعل الخير والمعروف والكف عن الشرور والآثام ، وفى تربية النفس البشرية على مراقبة الله والخوف منه . وفى إيجاد نوع من الوازع الدينى يعجز عن تكوينه أى قانون وضعى .

وهذا هو السر فى أن بعض المسلمين فى العصر الأول كان إذا اقترف ذنبا أو ألم بمعصية جاء إلى الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ راغبا فى إقامة الحد عليه بصدق وإخلاص وعزيمة وإصرار ، وذلك كما حدث من ماعز والغامديه وغيرهما . روى مسلم فى صحيحه عن بريدة أن ماعز بن مالك الأسلمى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا رسول الله : إنى قد ظلمت نفسى وزنيت ،

---

(١) البقرة ٢٧٥ ـ ٢٧٦ .

(٢) البقرة ٢٧٨ ـ ٢٧٩ .

(٣) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٤ القرطبى ج ٢ ص ٣٦٣ .

(٤) تفسير الألوسى ج ٣ ص ٥٣ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وإنى أريد أن تطهرنى ، فرده ، فلما كان من الغد أتاه فقال : يا رسول الله إنى قد زنيت فرده الثانية ، فأرسل إلى قومه فقال أتعلمون بعقله بأسا تنكرون منه شيئا ؟ فقالوا ما نعلمه إلا وفى العقل من صالحينا فيما نرى ، فأتاه الثالثة فأرسل إليهم أيضا فسأل عنه فأخبروه أنه لا بأس به ، ولا بعقله ، فلما كان الرابعة حفر له حفرة ثم أمر به فرجم قال : فجاءت الغامدية فقالت : يا رسول الله إنى قد زنيت فطهرنى وإنه ردها ، فلما كان الغد قالت : يا رسول الله لم تردنى ؟ لعلك أن تردنى كما رددت ماعزا فوالله إنى لحبلى ، قال : إما لا فاذهبى حتى تلدى ، فلما ولدت ، أتته بالصبى فى خرقة قالت . هذا قد ولدته قال اذهبى فأرضعيه حتى تفطميه ، فلما فطمته أتته بالصبى فى يده كسرة خبز فقالت . هذا يا نبى الله قد فطمته وقد أكل الطعام فدفع الصبى إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها [١] وفى رواية أنه صلى عليها فقال له عمر . تصلى عليها يا رسول الله وقد زنت ؟ فقال : لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم . وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى ؟ وروى قصة ماعز والغامدية أيضا الإمام البخارى فى صحيحه[١] وقد روى أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم صار يستوضحه ويستفصل منه عسى أن يكون اشتبه عليه الزنا الذى يوجب الحد بغيره مما يسمى زنا فى اللغة فقال له : لعلك قبلت ، لعلك لمست ، وكان للرجل مندوحة فى الإفلات من العقوبة لو أراد ، ولكنه الوازع الدينى الذى كان مسيطرا على النفوس آنذاك ، والذى تربى فى النفوس بفضل التشريعات الإسلامية الحكيمة التى لم تقتصر فى الجرائم على العقوبات الدنيوية ، بل رتبت عليها أيضا أجزية أخروية ، ولن تجد فى تاريخ الدنيا مثيلا لهذه المثل التى سقناها إليك فى الاعتراف بالذنب والرغبة فى التطهر من الإثم عن صدق وإخلاص ؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

[١] صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١١ صـ ٢٠٢ ، ٢٠٥ .

[١] فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١٢ صـ ١٠٣ وما بعدها .

الاســـلام فى الملايا

للأستاذ عطية صقر

فى الجنوب الشرقى من قارة آسيا تقع شبه جزيرة الملايا Malaya بين خطى عرض ١ ، ٧ شمالا ، وخطى طول ١٠٠ ، ١٠٥ شرقا . وتحدها شمالا مملكة تايلاند ، وجنوبا جزيرة سنغافورة ، وشرقا بحر الصين ، وغربا مضيق ملقا والمحيط الهندى . وتبلغ مساحتها حوالى ٥٠٫٦٨٠ ميلا مربعا ، أربعة أخماسها غابات كثيفة ، وهى تشتهر بالمطاط والقصدير والصفيح ، وجوز الهند والأرز والتوابل .

وأول من سكن هذه المنطقة مهاجرون من وسط آسيا منذ سبعة آلاف سنة ، ثم وفدت إليها موجات من الصين والهند وغيرها . والملايا الآن اتحاد يتكون من تسع ولايات هى : جوهور Johor وباهنج Pahang ونيجرى سمبلان Negsi Sembilan وسلانجور Selanggar وقدح Kedah وكلانتان Kelantan وترنجانو Teringganu وبرليس Perlis وبيرق Perak ، وهناك ولايتان أخريان هما : ملقا Malacca وبنانج Benang . وفى الطرف النهائى من جنوب الملايا مستعمرة سنغافورة Singapur التى يبلغ سكانها مليونا أو يزيدون ، وأكثرهم من الصين ، ولكل ولاية من ولايات الاتحاد حكومتها الخاصة ويرأسها سلاطين مسلمون ، وهناك حكومة مركزية فى عاصمة الاتحاد كوالا لامبور Kuala Lampur التى يسكنها حوالى ١٥٠ ألف نسمة .

ولم يعرف الغربيون هذه البلاد إلا عندما مر عليها ماركوبولو الرحالة الإيطالى Marco Polo (١٢٥٤ - ١٣٢٣ م) فسال عليها لعاب الاستعمار ، ووقعت تحت حكم البرتغال سنة ١٥١١ م ، ثم الهولنديين سنة ١٦٤٠ م ، ثم استولى الانجليز على جزيرة بنانج فى الشمال سنة ١٧٨٦ م ، واحتلوا ملقا سنة ١٨٢٤ م ، واشتروا جزيرة سنغافورة سنة ١٨١٩ م . ثم استقلت البلاد أخيراً ضمن مجموعة الممتلكات البريطانية « كومنولث » فى ٣١ أغسطس سنة ١٩٥٧ م . وذلك بعد كفاح طويل كان للأمير Tunhu عبد الرحمن دور كبير فيه .

يسكن الاتحاد حوالى ستة ملايين نسمة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بخلاف سنغافورة . وهم يتكونون من أجناس مختلفة ، فالملايويون وهم السكان الأصليون يبلغون نحو ثلاثة ملايين ، والصينيون الذين زادت هجراتهم منذ ٤٠٠ سنة يبلغون نحو مليون ونصف ، وهناك حوالى ستمائة ألف من الهند وباكستان ومائة ألف من الأجناس الأخرى : من أوربا أكثرهم انجليز ، ومن المولدين من أوربا وآسيا ، أوراسيين ، . وفيهم جماعات من سيلان من السنغال والتاميل ، وجماعات من تايلاند وإندونيسيا . وبين السكان نحو أربعة آلاف عربي من حضرموت .

ولا يعرف بالضبط متى دخل الإسلام هـــذه البلاد ، فإن الثابت أنها كانت لها علاقات تجارية قديمة مع الهند التى انتشر الإسلام فيها فى وقت مبكر ، ومع جزر الأرخبيل المـــلايوى ، ومن المؤكد أن الإسلام كان موجودا فى سومطرة المواجهة للملايا من الجهة الغربية فى القرن الثالث عشر فعندما زارها ماركوبولو الإيطالى سنة ١٢٩٢م وجد تجارا مسلمين فى برلاك Perlak وهى ميناء صغير على الساحل الشمالى لسومطرة ذات الصلة الوثيقة بالملايا ، وقد ثبت أن بنت حاكم برلاك تزوجت الملك الصالح المتوفى سنة ١٢٩٧ وهو أول سلطان فى باساى Pasa حيث كان الإسلام موجودا فيها وفى سامودرا Samudra .

وفى نهاية القرن الثالث عشر ذهب أحد كبار جاوة وأقام فى قرية ملقا Malacca على ساحل الملايا وصارت بعد ذلك مأوى التجار والعاملين فى البحار ، وتكونت أول مملكة فيها سنة ١٤١٤ م ، وكان أول حاكم لها يدعى ميجات اسكندر شاه Mcgat IS. Shah وكانت التجارة مزدهرة فى باساى فى ذلك العهد ، فانتقل منها إلى ملقا كثير من التجار الهنود والعرب ، وكانوا قد أحضروا معهم من بلادهم كثيرين من المـــلا Mulah أى المتفقهين فى الإسلام ، وقد سرهم اسكندر شاه سرورا عظيما ، وكرم العرب فأعطاهم أرضا يبنون عليها مساكنهم ومساجدهم ، واجتهد هؤلاء ، فأدخلوا الملك فى الإسلام فأسلم وسنه ثنتان وسبعون ، وتحققت بذلك رغبة ملك باساى الذى زوجه بنته وسمى الملك باسم عربى إسلامى محمد اسكندر شاه وأسلم معه آل بيته وجمع شعب ملقا .

وبهذا دخل الإسلام ملقا فى الربع الأول من القـــرن الخامس عشر ، وكان للتجار والهنود الوافدين من كجرات Guerat بالغرب فضل كبير فى نشر الإسلام فى ربوع المنطقة ، ومن ملقا انتقل الإسلام إلى جاوة وفى غضون نصف قرن صارت ملقا مركزا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يشع منه الإسلام على المناطق المجاورة ، فأسلمت باهانج وجنوبى الملايا، كما أسلمت مناطق كثيرة فى سومطرة وجاوة وجزر الارخبيل .

وتقول إحدى الروايات . إن ملقا دخلت فى الإسلام فى عهد أحد ملوكها سنة ١٢٧٦م فبعد سنوات قليلة من حكمه رست سفينة عربية بالميناء ، وكانت قادمة من جدة تحت قيادة سيدى عبد العزيز ، فاستطاع هو ومن معه أن يدخلوا الملك فى الإسلام وسموه سلطان محمد شاه، وتأسست بذلك مملكة سلطان إسلامية قامت بنشر الإسلام فيما جاورها من البلاد .

ويقول ريتنارد وينستد R,winstedt فى كتابه عن الملايا : إن الإسلام وصل إلى شمالى الملايا فى وسط القرن الرابع عشر ، كما يدل عليه وجود أول كتاب عربى فارسى فى ترنجانو . وأياما كان الأمر فإن الإسلام كانت له قدمه الراسخة فى الملايا قبل أن يلوثها الغرب باستغلاله واستعماره .

والدين الغالب فى هذه البلاد هو الإسلام فنسبته بين السكان ٥٥ ٪ ذلك أن الملايويين وهم سكان البلاد الأصليون ويبلغون نصف عدد السكان لا يعرفون غير الإسلام .

والصينيون وثنيون أو بوذيون ، وقد أسلم منهم ألف أخيرا ، والهنود ينتشر فيهم الدين البوذى والهندوكى ، وقد تنصر كثير منهم على يد المبشرين ، وقليل منهم أسلم ويلتزم مذهب الإمام أبى حنيفة .

والمأمول أن يكون الإسلام هو الدين الرسمى للاتحاد ، وقد ظهر كلام كثير حول هذا الموضوع ونوقش قبل الاستقلال فى المؤتمر الذى عقد بمدرسة الإحياء الشريف فى بيرق فى ٢٤ من مارس سنة ١٩٤٧ ، وتقرر فيه إنشاء المجلس الإسلامى الأعلى الذى يرمز إليه بهذا الرمز « ماتا » وكان من أغراضه فصل الدين عن الدولة ، كما هو الحال فى بلاد العالم الأخرى ، ذلك لأن الرسميين لا يهتمون بالتعليم الدينى ، كما كان من أغراض المجلس مطالبة السلطات الموجودة « أصحاب السمو السلاطين » بالتنازل عن سلطاتهم الزمنية والروحية للمجلس .

هذا ويوجد فى كل ولاية قسم للشئون الدينية ، يرعى المساجد ويشرف على القضاء الشرعى. ورؤساء هذه الأقسام من الإداريين الذين لم تسبق لهم دراسة الدين ، ولذلك يوجد لكل ولاية مفت خاص ، مهمته أشبه بمهمة الواعظ فى مصر ، وهذه الوظيفة تسمى مشيخة الإسلام فى ولاية قدح ، وفى بعض الولايات يحل محل أقسام الشئون الدينية مجلس استشارى دينى .

والملايويون - وكلهم مسلمون - يعتزون بدينهم إلى أقصى حد ، ويحج منهم كل عام نحو ستة آلاف ، بالرغم من بعد الشقة ورقة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حالهم المالية بالنسبة إلى الصينيين والهنود ، وإذا عاد الحاج حافظ على هذا اللقب واعتز به كما يعتز بالعمامة التي يلفها حول رأسه فتكسبه الشرف والاحترام . وهم يبدءون مجالسهم ويختمونها دائما بدعاء طويل ، ويكرمون شهر رمضان ، والأفكار الدينية هناك مختلطة بالخرافات الهندية ، ويبدو ذلك في حفلات الزواج على الخصوص . والمحاكم الشرعية لها قوانين وأحكام تختلف في كل ولاية عن الأخرى ، والقضاء في حاجة ماسة إلى مزيد من التفقه في الدين والدقة في معرفة الأحكام كما تقول التقارير . والمرأة الملايوية معروفة بولائها وطاعتها لزوجها . وهي تساوي الرجل في الحقوق والتعليم والانتخاب ، وفي الأحزاب السياسية شعب للنساء تسمى «قوم أيبو» ، والطلاق منتشر كتعدد الزوجات ، ولا يشيع بين الملايويين استعمال ألقاب الأسرة ، فالفرد يسمى فلان بن فلان ، وكفى ، ولا ينسب إلى جده ورئيس الأسرة.

والمذهب الشافعي سائد في الملايا، والهنود يلتزمون المذهب الحنفي ، وهم جميعا يقدسون المذاهب إلى حد أنهم يعتبرون تقليد غير المذهب أقرب إلى الكفر ، بالرغم من أنهم يأخذون في كثير من المسائل بالمذاهب الأخرى ، وذلك تبعا لمصالحهم ، كإجبار المسلمين على دفع الزكاة نقودا لأقسام الشئون الدينية ، وعدم صحة الجمعة في مسجد إلا بإذن من السلطان .

والمساجد منتشرة في المدن والقرى ، وصلاة الجمعة مقصورة على المساجد الكبرى إذا أذن السلطان ، وتوجد هناك طائفة الإسماعيلية وفرقة القاديانية ، ولأنصار السنة جماعة في هذه البلاد .

هذا والمسلمون عامة بين اتجاهين ، اتجاه قديم يتزعمه المثقفون على مناهج الحجاز وحضرموت ، ويسمون أنفسهم «قوم تواه» واتجاه جديد يتزعمه المثقفون على مناهج الأزهر ، ويسمون أنفسهم « قوم مودا » ، ويلاحظ أن التقدميين العصريين في حاجة كبيرة إلى عمق الثقافة الإسلامية الصحيحة ، والحجازيون يتمسكون بالقشور إلى حد كبير ، وهم كثيرو الزواج والطلاق ، ويعتمدون في أكثر أحوالهم على الصدقات ، كما يقول المراقبون الأحوال هناك .

ومن الجمعيات الإسلامية : جمعية الدعوة الإسلامية ورئيسها السيد إبراهيم عمر القاف وجمعية الشبان المسلمين ، واتحاد علماء الدين الإسلامي ، واتحاد الطلبة المسلمين ، وجمعية الإصلاح في كوتا بهارو .

والتعليم في الملايا تابع لتعدد الأجناس واللغات ، وأهم أنواعه أربعة : ـ

١ ـ التعليم الانجليزي وهو التعليم الرسمي الحكومي وتدرس فيه العلوم بالانجليزية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كما تدرس اللغة الملايوية كلغة ثانية . ويلتحق بهذه المدارس التلاميذ من جميع الأجناس ، ولا يدرس الدين فيها للمسلمين إلا بقدر ضئيل ولا يدخل ضمن مواد الامتحان . وهذا التعليم ابتدائى وثانوى يؤهل لدخول جامعة الملايا التى أنشئت فى سنغافورة سنة ١٩٤٩ م .

ب ـ التعليم الصينى وهو تعليم حر «أهلى» ومنظم أكثر من التعليم الانجليزى ، وغايته إعداد التلاميذ للحياة العملية ، بخاصة التجارة وهـــذا التعليم خاص بأبناء الصين ولغته الصينية ، وهو منتشر فى شتى أنحاء الملايا . وهو ابتدائى وثانوى وعال ، ومناهجه كمناهج التعليم الانجليزى مع الاهتمام بالناحية العلمية .

جـ ـ التعليم الملايوى ، وهو تعليم حكومى ذو مرحلة أولية ، ويكاد يكون خاصا بالجنس الملايوى ، ولغة التعليم فيه الملايوية ، مع دراسة اللغة الانجليزية ، وتدرس فيه مبادئ الدين الإسلامى إلى جانب المواد الأخرى ، ومستوى التعليم فى هـذه المدارس منخفض لقلة الكفايات العلمية .

د ـ التعليم العربى . وهو تعليم حر شعبى بمعنى الكلمة يقوم به الغيورون على الدين ويتكسب به بعض من نالوا حظا من الثقافة الدينية والعربية ، وقليل من الثقافة العامة . وهذا التعليم منتشر فى الملايا ، وهو متأخر ومستواه منخفض إلى حد كبير لقلة الكفايات وضآلة الموارد المالية . وفى هذا النوع من التعليم ثلاثة اتجاهات ، أحدها يحاول تقليد التعليم الدينى فى الحجاز لأن المشرفين عليه درسوا هناك . وثانيها يحاول تقليد الأزهر ، وثالثها يحاول التجديد والاقتباس من التعليم الأزهرى والتعليم المصرى العام .

وفى الملايا ما يقرب من ستمائة مدرسة عربية ضعيفة المستوى إلا قليلا منها فهو شبه منظم لأن بعضها يشرف عليه فنيون مصريون كالمدرسة العنوية الإسلامية . ويلتحق بهذه المدارس التلاميذ المسلمون فقط من أبناء الملايو والعرب أما مسلمو الهند وباكستان والصين فيندر أن يلتحق أبناؤهم بهذه المدارس . وخريجوها يكملون تعليمهم فى مصر أو الحجاز .

هذا وقد أنشئت حديثا كلية إسلامية فى العاصمة الاتحادية كوالالامبور ، وتم افتتاحها فى فبراير سنة ١٩٥٥ بعد أن انتدب لها اثنان من أساتذة الأزهر ، وكان من أغراض هذه الكلية إصلاح المدارس العربية والإسلامية بعمل دراسات صيفية لمـــدرسيها . ونشر الثقافة الإسلاميـــة الصحيحة بين المسلمين والقضاء على الخرافات ، وتخريج طائفة ممتازة فى دراسة الدين لتوجيه البلاد توجيها سليما ، ومدة الدراسة فيها خمس سنوات على مرحلتين الأولى عامة لمدة ثلاث سنوات ، والثانيـة خاصة لمـده سنتين فيها شعب للغة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

العربية ، وللفقه ، وللتوحيد والفلسفة ، ولعلوم القرآن والحديث .

ومن المعاهد الدينية معهد ديني في ألورستار Alor Star بولاية قدح ويديره السيد / عبد المجيد نور من خرجي الأزهر .

واللغات في الملايا متعددة ، فالملايويون يتحدثون لغتهم وفيها من ١٥ إلى ٢٠ ٪ من الكلمات العربية ، وهم يكتبونها بالحروف العربية ، وإن كانت الحروف اللاتينية بدأت تزحف ، شأنها شأن كل دخيل جلبه معه الاستعمار . والهنود والباكستانيون يتكلمون لغة بلادهم ولغة التاميل Tamil ولغة التلجو Telego ، وللصينيين لغتهم ذات اللهجات الكثيرة التي أشهرها هناك الهوكية والكانتونية . كما توجد اللغة الانجليزية . ولهذا يقول بعض الكتاب : إنه لا يكاد يوجد واحد من عشرة آلاف من الملايويين يستطيع قراءة اللافتات الموجودة على واجهات المحال التجارية في شارع واحد من البلد . وقد فرضت الحكومة تدريس لغة الملايو في غير المدارس الملايوية تمهيداً لجعلها اللغة الرسمية في مدى عشر سنوات . كما فرضت تدريس الانجليزية في غير المدارس الانجليزية بحجة الحاجة إليها في التعليم العالي والعلاقات الدولية .

والصحافة الدينية حظها قليل في الملايا ، وهناك مجلة شهرية تصدر بالملايوية في سنغافورة واسمها (مجلة قلم) ورئيس تحريرها الحاج عيدروس . وتعتمد في كثير من آرائها على ما يصلها من الصحف الإسلامية في العالم ، كما توجد مجلة شهرية أخرى تصدر في العاصمة الاتحادية كولا لامبور واسمها (سوارا إسلام) أي صوت الإسلام ، وهي لسان حال حزب (اتحاد المسلمين في الملايا) ، وهناك مجلات أخرى غير منتظمة الصدور .

هذا وقد صرح السيد / إبراهيم عمر السقاف بأنه تقرر إنشاء دار للصحافة في الملايا وستصدر مجلة شهرية بالانجليزية تسمى العالم الإسلامي Muslem World ، وأخرى عربية شهرية تسمى (إسلام) كما ستصدر صحيفة يومية تسمى بالجاوية (سيمنا نجونج) تتحدث عن الإسلام .

ولكثرة الأجناس في الملايا أثر واضح في الحياة الاجتماعية ، فهي تكره بعضها بعضاً ، والملايويون يعتبرون غيرهم دخيلا غاصباً حتى لو كان مسلماً وعربياً ، والصينيون ذوو نشاط عجيب في كل شيء وتكاد الصناعة تقصر عليهم لأنهم فنيون فيها ، والهنود يعملون في التجارة وفي حقول المطاط وهم ناجحون ، والمولدون

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

(أوراسيون) قلوبهم مع بلادهم وولاؤهم للملايا ضعيف . والملايويون حظهم ضئيل من التجارة والصناعة ، وهم يكثرون فى القرى ويقلون فى المدن ، وأهم عملهم الزراعة ، وفيهم موظفون كثيرون فى الأعمال الكتابية وغيرها وهم يكثرون أيضاً فى البوليس والجمارك .

ويعزو المتحدثون عن أحوالهم الاجتماعية تأخرهم ماليا إلى كثرة خيرات بلادهم وقناعتهم بالقليل ، بينما كانت هجرة الهنود والصينين الكفاح من أجل العيش فى هذه البلاد. وقيل إن سبب سوء حالة الملايويين عدم فهمهم لمبادئ الإسلام فهما صحيحا فهم يتلقونها من متوسطى الثقافة فى ثوب يحبب إليهم الزهد وساعدهم على ذلك تشجيع المستعمرين لهذه المعانى، وجاء الانجليز فزحزحوهم عن المدن إلى القرى ، فصعب عليهم تعليم أولادهم فى المدارس التى تنشأ بكثرة فى المدن .

هذا ويدرس من طلبة الملايا فى الأزهر بمختلف مراحل التعليم ١١٠ طالب مائة وعشرة فى سنة ١٩٦١ وينتظر زيادة عددهم فى السنين المقبلة وقد تخرج عدد كبير منهم وتقلدوا مناصب هامة فى بلادهم منهم: السيد/ حسن يونس صالح رئيس وزراء فى ولاية جوهور ، ومحمد محي الدين وان وكيل عميد الكلية الإسلامية ، وإبراهيم الحاج ياسمين والحاج محمد الحاج أبو بكر واهيل ،المحاضران بالكلية . والحاج محمد صالح متفيه قاضى قضاة سنغافورة ، وعبد الجليل حسن نائب مفتى جوهور وغير هؤلاء كثيرون .

ونحن نأمل فى الطليعة المثقفة أن ترتفع بالمستوى الثقافى الدينى فى الملايا وأن يوجهوا المواطنين وجهة عملية بدافع من الدين الذى يحرص على القوة وعمارة البلاد بالخير ،وأن يحاولوا إزالة الجفوة بين الجنسيات،وينبهوهم إلى الخطر الذى يكمن من وراء هذا الاختلاف وأن تكون سياستهم فى جميع أنواع نشاطهم نابعة من أنفسهم وبوحى من حاجة وطنهم لا أن تستمد من التيارات التى تتدافع من حولهم ، والتى تكاد تجرفهم لو لم يحسنوا تنظيم أنفسهم ، وإذا كانت الأخبار تؤكد أن هناك حركة شيوعية تعتمد على العنصر الصينى وهو غالب بنفوذه ونشاطه ، وعدده يقارب نصف عدد السكان فكيف لو تم لهم الأمر وكيف يكون مصير الإسلام ؟ أملنا كبير فى بعوث الملايا فى الأزهر وغيره من معاهد الجمهورية العربية المتحدة أن يؤدوا رسالتهم الدينية الوطنية وعلى أكمل وجه عندما يعودون إلى بلادهم موفقين ، وإنا لمنتظرون.

عطية صقر
مفتش الوعظ بالأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

السمات الفنية في شعر محرم

للأستاذ محمد ابراهيم الجيوشي

لا يلبث الدارس لشعر أحمد محرم أن يسترعي انتباهه ما يفيض به هذا الشعر من موسيقى عذبة ساحرة تنبعث من كل بيت فيه وتتراءى في كل لفظ نغما مشجيا، ثم ما يتفجر خلاله من عاطفة عاتية تملؤه بالقوة وتبعث الحياة في نواحيه دافقة زاخرة.

على هذين الأساسين يعتمد شعر محرم. لا يكاد يفترق واحد منهما عنه في كل ما قال، ولكن حظه من الخيال محدود ونصيبه منه قليل.

ومما يسجله الدارس لشعر أحمد محرم أيضا تلك الديباجة المشرقة، وهذه الجزالة السامية والقافية المحكمة، والنفس الطويل في غير إملال ولا سقط.

ويقول الأستاذ الزيات في ذلك: «كان أحمد محرم من الشعراء المطبوعين على الديباجة المشرقة، والقافية المحكمة، وكان يطيل في غير سقط، ويبالغ في غير شطط، ويتأنق في غير تكلف وربما كان أقل معاصريه وقوعا على المعنى الطريف، والفكرة العميقة، ولكنه كان من أكثرهم احتفالا بحسن الصياغة ولطف التخيل [1] ولا يستطيع الباحث أن يتجاهل القرابة القوية التي يأنسها بين شعر شوقي وبين شعر محرم لما يحفل به كل منهما من موسيقى بلغت عند شوقي أرقى درجات السمو والسحر لما وشاها به من خياله المحلق الجواب.

وبحق ما يقوله الدكتور شوقي ضيف من أن شعر شوقي يقوم على ركنين رئيسيين: هما الموسيقى والخيال، وإن كان يسندهما العاطفة، وإن لم يكن لها وضوحهما ولا قوتهما [2].

وقد كان لهذا التشابه بين شوقي ومحرم صدى بعيد في البيئات الأدبية، وكثيراً ما قامت المفاضلات بين الشاعرين، وكان يتعصب لكل منهما فريق يخلع عليه لقب الإمارة، ويبذل له من حماسه كل ما يستطيع، ولا بأس من أن نستمع في ذلك لما كتبه

(١) الرسالة عدد ٦٣٥ ـ ٢٥ يونيو سنة ١٩٤٥.

(٢) انظر شوقي شاعر العصر الحديث ص ٥١.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أحد شعراء جماعة « أبولو » « إنى لأذكر أنه منذ أعوام كانت تقوم فى البيئات الأدبية مفاضلات بين شعر المرحوم شوقى بك ، وشعر الأستاذ أحمد محرم ، وفى الحق أن أنصار شاعرنا محرم كانوا على كثير من الحق حين أقاموا هذه الدعوى ، فإن بين شوقى ومحرم علاقة قوية وتقاربا بينا ، فقد امتاز شعر شوقى بموسيقيته العذبة الموهوبة ، وهذه الميزة التى نجدها فى شعر محرم ، ولست مغاليا إذا قلت : إنهـــا لن تفارق لفظا من ألفاظه ، فإنى لأقرأ البيت من شعر محرم فأحس كأن صدى أنغام عذبة تطوف على خاطرى فى حلم جميل ... وإلى جانب هذه الموسيقى التى يتساءل عنها فى قصيدته « وجودى » والتى يحس تأثيرها فى أنفس قرائه فيقول :

أمن أدبى تبيت الطير تبكى ؟
فما أدبى ، أشدوٌ أم رنين ؟

تتجلى تلك الديباجة العالية ، وتلك الجزالة السامية التى يقدرها فيه أدباؤنا ، ولن أكون إلا محقا حين أقول إنه يمتاز على المرحوم حافظ ابراهيم فى الرنين العذب الذى صحب شعره الناضج ولازمه [1] .

ومما لاشك فيه أن هذا الحكم على وجازته تؤيده دراسة شعر محرم وصاحبيه شوقى وحافظ ، ويستريح إليه الدارس المتأنى والباحث عن الحقيقة لذاتها .

وعلى أى حال ، فإنا نستطيع أن نخرج من دراسة شعر محرم بالخصائص الفنية التالية :—

١ - الموسيقى السارية فى بناء أبياته وألفاظه .

٢ - العاطفة المتدفقة التى تريك الألفاظ ذات إحساس وحركة .

٣ - الديباجة المشرقة والأسلوب القوى الرصين .

٤ - طول النفس طولا لا ضعف فيه ولا هبوط .

٥ - براعة التصوير براعة تثير الإعجاب ، لاسيما إذا كانت نتيجة لثوران عاطفته أو هياج مشاعره .

هذه هى السمات الفنية التى نراها فى شعر محرم أتينا بها موجزة وسنعرض كلا منها بالتفصيل .

الموسيقى :

لئن كان أحمد محرم لم يؤت من لطف التخيل ما أوتيه شوقى فإن موسيقاه العذبة ،

(١) مجلة « أبولو » سبتمبر سنة ١٩٣٣ م .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وروعة أنغامه لم تفارقه فى بيت أنشده حتى حين يتحدث عن تأملاته ، ويصور نظرته إلى الحيـــاة من خلال تجاربه ، وفى قصيدته « وجودى » تتجلى هذه الموسيقى حين يقول :

وجودى لست لى ، فلمن تكون ؟
أسر أنت عن نفسى مصون ؟
يصيب حقائق الأشياء علمى
وتعصف بى حواليك الظنون
أمن نفسى على نفسى غطاء ؟
فكيف أنا ؟ أشك أم يقين ؟

* * *

وجودى أين أنت ؟ ألا سبيل ؟
إليك فيهـــدأ العانى الحزين
ومن أنانى بنى الدنيا ؟ ومالى ؟
وللدنيا وما وعت القرون
ظمئت وفى فمى الأدب المصفى
وضعت وفى يدى الكنز الثمين
أمن أدبى تبيت الطير تشدو ؟
فما أدبى ؟ أشدو أم رنين ؟

وموسيقى بحرم تجمع إلى حلاوتها الاتساق التام مع المعنى الذى يريد أن يسوقه ، فهى قوية مصممة ، إن تحدث عن الكفاح ومعارك الوطن ، وثائرة مستنهضة إن طاف بها طائف من مجد الإسلام الضائع وأيامه الخوالى ، وناعمة حالمة إن تحدث عن وجدانه ، وتغنى بأشواقه . وحسبنا أن نشير إلى أبيات نجتزئها من قصيدة قالها على أثر الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ م قال فيها :

من يمنع الليث أن يعتز أو يثبا ؟
ما قيمة السيف إن جردته فنبا ؟
من يرفع العرش إن هدت دعائمه
هوج العظائم والأهوال فانقلبا ؟
من يمسك التاج إن هزته عاثية
من الخطوب تجيد اللهو واللعبا ؟
اليوم ينعم بالأوطان مغترب
ما هزه الشوق إلا أن وانتحبا
يفرق النفس فى شتى مفرقة
من البقاع ويطوى العيش مرتقبا
ورب ناشئة بالشام باكية
بأرض « أكولمب » أمابرة وأبا
ياأرض « كولمب » ردى من روائعنا
تلك النفائس إن الرد قد وجبا
وياعيونا أهان الدمع غاليها
أما كفى من دموع الصحب ما انسكبا ؟

ولقد كنت أعجب بقصيدة شوقى التى قالها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بمناسبة مشروع ٢٨ فبراير والتى يقول فى مطلعها :

أعدت الراحة الكبرى لمن تعبا
وفاز بالحق من لم يأله طلبا (١)

وكانت تأخذنى روعتها ، وتستولى على قلبى براعة شوقى وقوة إحكامه فيها وإشراق ديباجته ، فلما قرأت قصيدة محرم عدت بذاكرتى إلى ما كتبه شوقى ، فوجدت محرما قد سبقت قصيدته قرابة خمسة عشر عاما . وكان محرم ساحر اللفظ متين الأسر عذب البيان فى سهولة ويسر وإحكام .

ولقد كنت أطرب كلما رددت قول شوقى :

ولن ترى صحبة ترضى عواقبها
كالحق والصبر فى أمر إذا اصطحبا

ولكن هذا الطرب لم يعدله فى نفسى ذلك الأثر بعد ما قرأت بيت محرم .

ما أيد الملك ، واستبقى نضارته
كالرفق والعدل ما داما وما اصطحبا

ولا يحتاج الأمر لكثير من النظر كى يدرك القارئ مدى اعتماد شوقى على محرم فى معناه ، بل فى ألفاظه أيضا ، وهذه خاطرة أثارها ما بين القصيدتين من تشابه .

ثم يمضى محرم فى قصيدته يتحدث عن الشعوب ووثباتها والحكام وحاجتهم إلى العدل والمحافظة على مكاسب الشعوب .

تأبى العناية أن تبقى على دول
يلقى الخلائق منها الويل والحربا

ترى الشعوب عبيداً لاذمام لها
وتحسب الملك فى الدنيا لمن غلبا

لابد للشعب مهما لان جانبه
من وثبة تفزع الأفلاك والسحبا

ما أيد الملك واستبقى نضارته
كالرفق والعدل ما داما وما اصطحبا

ما أضيع التاج يرمى الشعب صاحبه
بالمحفظات ويؤذيه بما كسبا (١)

ويمضى محرم فى قصيدته فى قوة وعذوبة ، لا يهبط ولا تنبو به نغمة ، ولعلك لاحظت معى أن محرما يردد ذكر الشعب ، ويرى الحكم المتين الأركان الثابت الدعائم هو الذى يعتمد على إرادة الشعوب ويستمد سلطانه منها .

محمد ابراهيم الجيوشى

---

(١) الشوقيات جـ ١ صـ ٦٨ .

(١) ديوان محرم جـ ٢ صـ ٦ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نحو منهج رشيد في تطوير الفقه الإسلامي

للأستاذ فتحي عثمان

أحب أن أقرر أولا أننا نعرض هنا لتطوير « الفقه » الإسلامي ، وهو الفهم البشري للشريعة ، والفهم متغير متطور بطبعه ، يتأثر بظروفه وإمكانياته الفكرية والواقعية ، أما الشريعة نفسها فنها نصوص محكمة ثابتة محددة ، لكن يحتفظ العقل إزاءها بمجاله في الفهم والتطبيق ، ومنها قواعد كلية عامة ، تتعاقب عقول الأفراد والأجيال على فهمها وإعمالها في الجزئيات المتجددة وفق الظروف المتغيرة .

وقد كان للسلف الصالح « فقهه » لأحكام الشريعة ، وكان من العوامل المؤثرة فيه « واقع » المسلمين واحتياجاتهم ... فمجتمعهم البسيط لم يكن محتاجا لدراسات اقتصادية أو سياسية أو نفسية مثلا بالقدر الذي يحسه مجتمعنا الحاضر المركب ! ومن هنا كانت دراساتهم في هذه المجالات محدودة أو مجملة ، وإن تخللت دراساتهم الفقهية لمحات وإشارات تكون أحيانا لامعة موفقة إلى حد كبير .

واستيقظت مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة على احتياجات الواقع الضخمة ، وعلى دراسات العصر العميقة المتشعبة في الاقتصاد والسياسة ، والنفوس والمجتمعات وأجفل المسلمون من الفجوات الكبرى التي أحسوها في تكوينهم الفكري وبنيانهم الواقعي .. ! فمنهم من أحس في الدراسات العصرية قرباً من واقعنا ومزاجنا الثقافي ، وأحس في « تراث » الفكر الإسلامي بعداً عن كثير من احتياجاتنا المادية والفكرية والنفسية المعاصرة ، فأقبل ينادي بترك ثقافة الإسلام في أصوله وفروعه على السواء ! ! وكانت هذه هي النغمة السائدة في أوائل هذا القرن العشرين .

ولم يجد الناس في الثقافة « العصرية » القوة السحرية التي تبرئ الأكمة والأبرص ، وتحل كل العقد وتعالج جميع المشكلات ! ! .. وإن العقل الإنساني لابد أن يؤدي دوره المفروض الذي لا يعفيه منه فكر « معبأ » أو « معلب » سواء كان من صنع الأرض أم من وحي السماء ! ! فلابد أن يعالج الفكر بالفكر ، ولابد أن يعالج الفكر بالتطبيق . وحياة الفكر وحياة المجتمع في هذه الحيوية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الدافقة ، وهـذه الدورات العقلية والواقعية المتلاحقة .

« ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم » « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق » « وتلك الأيام نداولها بين الناس » « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

وإزاء التعثر الذى صادفته الثقافة العصرية وجزء كبير من أسباب هـذا التعثر راجع إلى المثقفين العصريين أنفسهم فى سطحيتهم وتحيزهم ، إزاء هـذا التعثر أتيحت الفرصة لـكى يعود الناس إلى مناقشة قضية « الدين » و « الفكر الدينى » ، ما دام دعاة الانصراف عن الدين لم يأتوا بالبديل السعيد المرغوب! ووجد دعاة الدين آذانا صاغية وقلوبا مهيئة لاستماع دعوتهم فى الرجوع إلى الله ، وكان بعض هؤلاء الدعاة ممن آتاهم الله إخلاصا وحماسا ، وآتاهم ذكاء عرفوا به طابع العصر الفكرى والعلمى ، فأقبلوا يعرضون الإسلام بما يوافق هذا الطابع ! ! فإذا كنا فى عصر المذاهب والنظم (ism) ، فليعرض الإسلام كنظام سياسى اجتماعى اقتصادى متكامل ، وليقدم للناس على أنه يحقق لهم مالا تحققه الديمقراطية أو الاشتراكية .

ولـكن ...

ولـكن الديمقراطية والاشتراكية فلسفة ونظام ، وقد اكتمل بناؤها الفكرى نتائج لاحتياجات متتالية أثبتتها تجارب العمل الطويل والـكفاح المرير ، حتى تبلورت فى أساسها الفلسفى وبنائها التنظيمى . وقد شهد العصر الحديث كثيراً من هذه التجارب فى وقت كان فيه الإسلام غائبا عن الحكم والتوجيه . وكان التطور الاجتماعى الذى يشهده واقع الغرب مخالفا للركود القائم فى واقع المسلمين فهناك فجوة كبيرة قائمة بيننا وبينهم فى الواقع وما ينبثق عنه من فكر . . . ولـكن تطلب المتحمسون أن يعبروا الفجوة ركضا ووثبا ! فليأتوا بخلاصة ما انتهى إليه الفكر الغربى نتيجة لاحتياجات واقع المجتمع الغربى ومطالبه وليضعوها تحت عنوانات ولافتات إسلامية تنتزع من آيات الله أو أحاديث رسوله المتداولة ! فإذا اتيح لأحد المتحمسين أن يعرف شيئا من أسماء مراجع الفقه الإسلامى ، أو يقرأ شيئا مما جاء فيه ، فزع إلى ما عرف فى التراث الإسلامى ليقدمه للناس فى (تعبئة) كانت قد راقته أهميتها ومزاياها ورواؤها فى الفكر الغربى الحديث ! !

ومن هنا طالعتنا كثير من الكتابات الفجة والعنوانات الخداعة عن « الاقتصاد فى الإسلام » أو « علم النفس فى الإسلام » . . . وأحيانا عن علوم الطبيعة والكيمياء ، والجيولجيا والمتيورولوجيا ـ فى الإسلام ! !

ـــ وصرنا نقرأ أن علم الإحصاء مثلا مقرر فى القرآن ، لأن الله تعالى قال فى محكم تنزيله « لقد أحصاهم وعدهم عداً » ! !

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

— وأن الطاقة الذرية قد أشار إليها القرآن فى قوله تعالى : « وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين » !!

— أما مشكلات النفس والمال والحكم فقد فرغ الإسلام من علاجها كلها فى كلمات ... أو فى جرعات !!

« إن طائفة أخرى وسعت بالقدر الذى ضيق به المتزمتون . . . وسعت حتى صار الإسلام ثوبا فضفاضا ، وعالجت القضايا الدقيقة والمشكلات المعقدة بتبسيط شنيع !!

نحن محتاجون إلى مدارسة تراثنا ، ومتابعة عصرنا ، وفحص ما عند غيرنا . . . وخلال هذه الدراسات ستتفاعل فى روسنا أصول الإسلام مع ثقافة العصر وواقع المجتمع ، فينتج عن هذا كله طابع لشخصيتنا أصيل .

وهذا كله يستدعى زمنا ، ويقتضى فترة حمل ووضع وحضانة . . .

علينا أن نكون صرحاء . . . فلا نتعجل اقتطاف الثمر قبل أوانه ، ولا نعبر عن فقهنا العصرى للإسلام قبل أن ينضج فى روسنا !

ونحن نحتاج إلى أن تحدد لنا خصائص الدين ومقومات شخصيته التى تميزه عن سواه ، بعد هذا التيه من تزاحم المبادئ ، والآراء التى كدسها المعاصرون داخل الإسلام ، حتى يستطيع الناس أن يزنوا ديننا ويقدروه قدره ويعطوه حقه ، ويعرفوا مكانه بين المذاهب والنظم !!

فلنخفف من اعتبارنا السائد أن تراثنا قد حوى ما هو كفيل بتعجيل الفصل فى كل قضية . فلن يشرف الإسلام أن يعرف جيل مضى من أجياله كل شىء ، ثم لا يبقى لمن بعده ما يدعو لبذل جهد أو طلب علم أو كد ذهن[1].

ويقتضينا الإنصاف أن نقرر أن من دعاة الإسلام المتحمسين المعاصرين من « أفادوا فى عرضهم الجميل للإسلام وإبراز محاسنه ، وأفادوا فى الدعوة إلى المبادئ الأساسية من أحكام القرآن والسنة بعيداً عن الدوامة الهائلة من التعريفات الفقهية والتشقيقات الكلامية ، وأفادوا فى محاولة تقديم الإسلام بأسلوب العصر كفلسفة شاملة ونظام متكامل لكن هذا كله يجب أن يعتبر نقطة بدء لا غير ، لانطلاق إسلامى رشيد » !![2]

* * *

كتب جون ديوى فى « الحرية والثقافة » يقول :

« يصحب كل حركة اجتماعية تسير فى اتجاه

---

(١) من كتاب : « الفكر الإسلامى والتطور » لكاتب المقال — فصل « النوافذ المفتوحة » ، « أسلافنا خلال النوافذ » .

(٢) من كتاب : « الفكر الإسلامى والتطور » لكاتب المقال — فصل « النوافذ المفتوحة » ، « أسلافنا خلال النوافذ » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

جديد، تبسيط كبير للأمور! فيتجاهل الخيال كل ما قد يخفي وحدة الهدف الذي ترمي إليه، وتغفل الخطط التي توضع لها كل ما قد يقف في سبيل تركيز الهمة وتعبئة النشاط.

ثم فيما بعد يعود الناس ويلاحظون الأشياء التي سبق أن أغفلوا إدخالها في تقديرهم، وعندئذ يتبين لهم أنها كانت من بين دواعي فشلهم في تحقيق خططهم الأصلية. فبعد فترة تفيض حماسة وتشتعل حمية يجيء الفشل وخيبة الآمال، وبعد الرجاء يحل دور النقد ومراجعة النفس والعودة إلى التروي.

وكثيراً ما تفتر الهمم وتثبط من حيث القيمة العملية لأية نظرة اجتماعية واسعة... وليس من شك في أن للتبسيط فائدته ما دام يمكننا من أن ندرك بشكل أجلى أثر أي اتجاه جديد فعال في شئون البشر، أما الأضرار فتنشأ من أن النظرية قد صيغت في عبارات عامة مطلقة كأنها تصدق على كل مكان وزمان، فإذا تغيرت الأحوال فيما بعد ولم تعد النظرية تعمل عملها وتؤدي وظيفتها حدث رد فعل، ويكون أيضا عاما مطلقا وعلى نطاق واسع! وعندئذ ترفض الفكرة الأصلية على أنها مجرد خداع ووهم، وتقوم حركة جديدة وكثيراً ما تصطبغ هي الأخرى بصيغة عامة مطلقة !!!.

ونحن نريد أن نتوقى النكسة الفكرية والعقدة النفسية نتيجة رد الفعل ... ونريد أن نسير في تطوير الفقه الإسلامي على «علم وهدى، وكتاب منير».

وفي هذا السبيل ... نضع هذه المعالم المتواضعة:

* لابد من التفرقة الذهنية الواضحة بين «مبادئ» الإسلام، التي تخلع على المفكر المسلم «سمتا» أو «مزاجا» فكريا معينا يضرب به في أعماق المشكلات ودقائق التفاصيل، وبين «تراث الفقه الإسلامي» الذي هو ثمرة تفاعل مبادئ الإسلام العامة مع واقع اجتماعي وثقافي معين.

فالإسلام يقدم فلسفة عامة، سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية ... أما تفاصيل التنظيم السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي فتروك للعقل البشري، وهذا هو دور «الفقه» ... وهو دور متجدد لكل جيل وبيئة، ومجال مفتوح أمام عقل كل فرد ... والفرد هنا يجتهد بخصائصه الفردية، وبإمكانيات بيئته الفكرية والواقعية، بعد أن يخلع عليه الإسلام هذا «السمت»، و«المزاج» الفكري العام، ويضع أمامه معالم «فلسفة»، ليبني بجهده الخلاق تفاصيل «النظام».

لا بد من التفرقة الذهنية الواضحة بين السير في «التطوير الفقهي» على منهج وأصول

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وبين معالجة « الواقع السريع » الذى لا بد أن نعترف بخلو يدنا إزاءه من وجود نظام مفصل محدد ، يكون ثمرة لتفاعل مبادئ الإسلام العامة مع واقعنا الفكرى والعملى ؛ لأن حركة الفقه الإسلامى عانت قرونا من التعطيل والتجميد . فليس أمامنا إزاء هذا الواقع السريع الذى لا ينتظر دراستنا المتعمقة وفقهنا المتطور ، إلا دراسة تجارب غيرنا واختيار أقرب ما يكون منها إلى واقعنا الفكرى والعلمى ، ومن التسرع أن نتحدى أنظمة نضجت عند غيرنا ، قبل أن ننضج نحن ما عندنا ... إن الصورة التطبيقية للماضى ، والأمانى البراقة الساذجة فى المستقبل ليست هى البديل الصالح !! إن البديل الصالح جهد ضخم نبذله فى التحضير للإسلام فى القرن العشرين » (١) !!

لا بد من التفرقة الواضحة إذن بين الدراسة العلمية المنهجية لإخراج فقه إسلامى جديد وبين علاج مشكلات الواقع التى لا تنتظر فهمنا ، لا بد من دراسة عميقة جادة لتجارب غيرنا الفكرية والعملية ، واختيار الأنسب لتفكيرنا وواقعنا بقدر الإمكان ، ولا جدوى فى الانصراف عن ثمار الجهود الإنسانية الكبرى القائمة بدعوى أن ثمار الجهود الإسلامية المترقبة سوف تكون أكبر وأجل ، إذ ليس العاقل من يعرف الخير من الشر ولكن العاقل من يعرف خير الشرين !! وما أصدق كلمات القائل : « هناك مشكلة الاستمرار فى العمل أثناء مراحل التغيرات... وكل تاجر يعرف مبلغ الصعوبة فى استمراره فى عمله فى فترة يعاد فيها بناء محله ! وإن القائمين بعملية تجديد محطة للسكة الحديدية عليهم ، وهم ينجزون مهمتهم ، أن يسمحوا للقطارات بالدخول والخروج يوميا ، كثير من الرءوس تمتلىء بالأفكار الحسنة للمستقبل ولكنا لا نستطيع أن نتوقف عن الحياة إلى أن تحقق هذه التغيرات !! إن الحكومة تواجهها المشكلات اليومية : مشكلات الطعام والعمل والأسواق ورأس المال والأمن ، وإذن فمن المحال أن تفكر حكومة فى هذه التغيرات دون أن تقيم وزناً للحاجة إلى استمرار الأعمال فى حين تنفذ هذه التغيرات » !!

يجب أن تستبين المعالم ... ليتضح الطريق ونحن نحاول فى سلسلة من المقالات بعون الله استجلاء المعالم .

وعلى الله قصد السبيل

فتحى عثمان

(١) من كتاب « الفكر الإسلامى والتطور » لكاتب المقال .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مع كتاب

النقد الأدبى من خلال تجاربى

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى

١ — يفصّل مصطفى عبد اللطيف السحرتى فى كتابه « النقد الأدبى من خلال تجاربى » أصول النقد ، ويتحدث عن منهجه فيه ، وتجاربه ، خلال حياته النقدية ، الطويلة . . والكتاب محاضرات ألقاها المؤلف على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية بمعهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية ، ونشره المعهد عام ١٩٦٢ .

٢ — أما من حيث أصول النقد فالسحرتى يتحدث فى كتابه عن التجربة الشعرية ، والوحدة الفنية ، وموسيقى الشعر ، والصورة الشعرية ، والعاطفة والفكر والخيال الشعرى ، وثقافة الناقد ، والذوق ، وغير ذلك من أصول النقد وقضاياه . . كما يتحدث عن عملية النقد ذاتها حديثا طويلا .

وأما من حيث منهج المؤلف فى النقد ، فإنه يوجب توافر الروح الإنسانى لدى الناقد ، وأن يتحلى بفضيلة التواضع ، فليس رأى ناقد مهما كان وأيا كان هو الرأى الفاصل فى الحكم الأدبى [١] . . ويتحدث عن سمات الناقد وأخلاقه الفكرية والنفسية ، وخاصة النزاهة ومحاولة البناء ، وذلك فى الفصل الرابع من الكتاب [٢] . ويفيض فى الحديث عن ثقافات الناقد فى الفصل الثالث منه [٣] ، سواء الثقافات الأدبية القديمة ، أم الثقافات النقدية الجديدة ، مع ضرورة المطالعة الواسعة لكل ما يتصل بالنقد من علوم : كعلم الجمال ، والموسيقى ، والتصوير ، والتاريخ ، وعلم النفس ، والفلسفة .

ويطلق المؤلف للناقد الحرية فى إثارة العمل الأدبى المنقود ، فله أن يرجع إلى التاريخ أو الفلسفة أو التحليل النفسى ليفهم العمل الأدبى فهما جيدا [٤] ، والحرية كذلك فى اعتناق المنهج النقدى الذى يروقه ، دون تقيد بمنهج معين . ويأخذ هو نفسه

[١] راجع ص ١٣ و ١٤ النقد الأدبى من خلال تجاربى .

[٢] ص ١٥١ وما بعدها .

[٣] ٤٦ — ١٥٠ المرجع نفسه .

[٤] ص ١٤٩ المرجع .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بمعيار نقدى يعتمد الجمالية والواقعية معا [١].

ويرى أن العمل الأدبى لابد أن يجمع بين العنصر الجمالى والعنصر القيمى ، وأن قيمة العمل الأدبى تحكمه ثلاثة مقاييس مميزة : المقياس الفنى للإبداع الشكلى ، والمقياس المعرفى للحقيقة ، والمقياس المعيارى للمحتوى أو المضمون ، وأن النقاد البصراء لاذوا بالمقياس الجمالى كما اعتمدوا المقياس القيمى فى تقويمهم [٢] ، ومن ثم رأى أن النقد التفسيرى نقد تصويرى ذاتى ، والنقد التحليلى الخارجى نقد كيفى قاصر ، والنقد التحليلى الداخلى نقد ثانوى لا يتضوأ روح العمل الأدبى من خلاله ، والنقد الاجتماعى أو المقصور على المحتوى والمضمون نقد غير كامل ومع هذا فلا يجوز أن نقلل من أهمية اتجاه من هذه الاتجاهات ، فليس شك فى أن النقد التاريخى ركيزة للناقد فى نقده ، والنقد السيكولوجى يلقى أضواء على مضمون العمل الأدبى ، والنقد التحليلى الداخلى يكشف عن مدى بناء العمل الأدبى ، والنقد الاجتماعى يكشف عن المضمون [٣] . ويؤكد السحرتى منهجه فى الرجوع بالنقد إلى الناحيتين الجمالية والقيمية فى مواضع متعددة [٤] .

ويرى أن فى النقد الجديد نزعه نحو التركيز على ناحية معينة من العمل الأدبى لأن النقد المتكامل العناصر يفقد - كما يقول هايمن - قوته [١] ويبدوا أن السحرتى فى ذلك ليس متناقضا مع منهجة فى النقد ، إذ يقول فى موضع آخر : إذا قدرنا العمل الأدبى من حيث جماليته المطلقة أو واقعيته المطلقة فهو تقدير من حيث الدرجة ، مع احتفاظنا بما أخذنا به أنفسنا من معيار نقدى يعتمد الجمالية والواقعية معا [٢] ويرى السحرتى أن التجربة أول مقياس للناقد فى رحلته الكشفية ، وأن الحكم على القصيدة لا يكون بالصورة ، إنما بالتجربة ومادتها وأدواتها ومن أبرزها الصورة والموسيقى [٣] والمقياس الفنى العام للحكم على قصيدة فى رأيه هو التوفيق فى تأدية التجربة الشعريه تأدية حية صادقة [٤] ويسير السحرتى فى أغلب نقده على نقده على المنهج العام الذى يكشف عن العمل الأدبى فى كليته لا المنهج الخاص الذى يسير على تفتيته والفحص عن كل جزء من من أجزائه [٥] .

---

[١] ص ٩ .
[٢] ص ١٦٣ ، ١٦٤ المرجع .
[٣] ١٦٤ المرجع .
[٤] ص ٨ ، ١٦٦ المرجع .

(١) ص ١٦٥ المرجع .
(٢) ص ٩ المرجع وقد ذكر ذلك أيضا فى موضع آخر ص ١٥٠ .
(٣) ص ٩٤ المرجع .
(٤) ص ٦١ المرجع .
(٥) ص ١ المرجع .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويدعو إلى عدم [١] الحكم على الأثر الأدبي من خلال القراءة الأولى وإلى تناول جميع أعمال المنقود [٢] وقد قصر أغلب نقده على الأدب المعاصر، وعلى الشعر خاصة دون نظر إلى كبير أو صغير بل كانت نظرته إلى الأعمال الشعرية في ذاتها، وكان أكبر اهتمامه موجها إلى إنصاف شباب الشعراء الموهوبين[٣]. ويحاول بكل وسيلة الوصول إلى حقائق العمل الأدبي وإلى جوهره [٤].

ويذكر السحرتي تفاقاته الأدبية وجهوده في تطعيم النقد المعاصر بكثير من الآراء والنظريات الحديثة: كالتجربة الشعرية [٥] والوحدة الفنية في القصيدة [٦]

ومادة التجربة من شعور وعاطفة وفكر [٧] والصورة الشعرية وموسيقى الشعر والشعر الحر [٨] الذي يرى أنه من الأساليب التحررية، وينقد الشعر التقليدي [٩] . . .

والشعر الحر الذي يدعو إليه بعض النقاد ويعيبه لمجلتهم، ومن بينهم العقاد حيث يرى أنه ليس شعرا على الإطلاق [١] نقول فيه:

إنه نوعان: نوع يسير على التفاعيل العربية دون التزام لعددها في البيت ودون حرص على مساواة شطر لشطر فيه، ومثله الشعر المنظوم على تفاعيل عروضية لم تنظم عليها العرب قصائدها؛ ونحن لا نرفض هذا النوع لأنه يجرى على الموسيقى الشعرية عند العرب مع نوع من التجديد فيها؛ ونوع يسير على موسيقى يتخيلها الشاعر الحر ولا قاعدة لها ولا وزن، ونحن نرفضه ولا نعده شعرا؛ وليس الشعر التقليدي ملازما للشعر الكلاسيكي وليس الشعر الجديد ملازما للشعر الحر، فقد يكون الشعر الحر تقليديا لا معنى له ولا تأثير فيه، وإلا فما الجدة في قول شاعر من شعراء هذا المذهب ـ الشعر الحر ـ :

أنا رجعت من بحار الفكر دون فكر
قابلني الفكر ولكني رجعت دون فكر
أنا رجعت من بحار الموت دون موت
حين أتاني الموت لم يجد لدى ما يميته
وعدت دون موت
أنا الذي أحيا بلا أبعاد
« « « أمجاد
« « « آماد [٢]

---

(١) ص ١٥ المرجع.
(٢) ص ٢٩
(٣) ص ٣٠.
(٤) ص ٣٤ المرجع.
(٥) راجع ٢٤ ـ ٣٥ الشعر المعاصر السحرتي، ص ٦١ ـ ٦٤ النقد الأدبي له أيضا.
(٦) ٨٢ ـ ٩١ الشعر المعاصر ٦٥ـ٦٧ النقد.
(٧) ٩٣ ـ ١٠٨ الشعر المعاصر ٦٨ ـ ٨٠ النقد.
(٨) ٩٤ ـ ١٠٨ النقد، ويذكره في موضع آخر (١٣٤ ـ ١٤١ النقد).
(٩) ص ٩ النقد.

( ) جريدة المساء عدد الأحد ٢٨ أكتوبر ١٩٦٢.
(٢) ص ٨٣ ديوان أقول لكم لصلاح عبد الصبور.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٣ — هذه هى أصول نظريات السحرتى النقدية . ومنهجه فى النقد فى كتابه الذى قدمه إلى القراء فى تواضع شديد ، وحياء جم ، والذى تناول فيه بالنقد والتطبيق ، أعمال أكثر من أربعين شاعراً معاصراً . . ويمتاز السحرتى بالإحاطة بآثار الشعر المعاصر العربى ، وبرهافة ذوقه ودقة تطبيقه للشعر على المناهج النقدية ، وتثير آراؤه فى النقد تقدير الأدباء والنقاد والمستشرقين لنزاهته وحبه للإنصاف.

ولكن كاتبا عرض للكتاب ، وللأسف لم يحاول إنصافه ، وهو غنيمى هلال ، فنقده مدفوعا بروح الكراهية والتعصب ، لا لشىء إلا لأن السحرتى نقد غنيمى هلال فى كتابه « المدخل » فذكر فى « النقد الأدبى من خلال تجاربى » بعض آرائه وخطأها (١) ، ولنناقش آراء الغنيمى فى الكتاب :

١ — يقول غنيمى : « إن هذا الكتاب دون مستوى إنتاج المؤلف فى تآليفه السابقة الغزيرة » . ولماذا ؟ لأن هذا الكتاب هو خلاصة آراء المؤلف فى كتبه السابقة : الشعر المعاصر ـ شعراء مجددون ـ شعر اليوم الفن الأدبى ـ أدب الطبيعة . وفى محاضراته وكتاباته وتجاربه النقدية ! !

٢ — ويقول : « لا نرى رأى المؤلف فى ترك الأعمال غير الجيدة بدون نقد . ومع أن صحة الأسلوب أن يقول « الغير الجيدة » : فإن للسحرتى رأيه ، وللغنيمى رأيه ، ولا يضيره أن يخالفه أحد فى رأيه . .

٣ — وينقد الغنيمى فى حدة وانفعال منهج الكتاب ، هذا المنهج الذى جمع بين الموضوعية والذاتية ، وفقا لموضوعه « النقد الأدبى من خلال تجاربى » ، وكلامه فى نقد المنهج لم يستطع أن يؤيده بدليل واحد يبين به خطأ السحرتى فى منهجه الذى سار عليه .

٤ — ويقول : إن السحرتى طاف بميادين كثيرة ولم يدخلها . وهذا ولا شك تحامل شخصى . يخص السحرتى فى مسألة إلا وشرحها ؛ دون اكتفاء بالتقرير ، بل اتخذ مع ذلك التطبيق مادة لشرحه .

٥ — ويقول : إن أكثر ما فى الفصل الأول مكرر فى الفصل الرابع . . والعجب أنه ليس فى الفصل الرابع كلمة واحدة ذكرت من قبل فى الفصل الأول الذى تحدث فيه السحرتى عن حقائق النقد ، من حيث وقف الفصل الرابع على سمات الناقد وميزاته .

ويعيب الغنيمى الشواهد المتعددة فى الكتاب للفكرة الواحدة ؛ ومع أن هذه الشواهد ميزة واضحة للكتاب ، فإن كل

---

(١) راجع ص ٨٧ ، ٩٠ النقد الأدبى ، ومن أجل ذلك كان نقد الغنيمى للكتاب » راجع المجلة عدد أكتوبر ١٩٦٢ » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

شاهـــد إنما جيء به لغرض خاص ولفائدة معينة .

٦ — ونقد غنيمي قول السحرتي عن التجربة الشعرية : « ومقياسها الفني العام إنها هي التوفيق في أداء التجربة صادقة حية قوية » . وهذا تحريف للنص وصحته كما جاء في الكتاب : « تحدثنا عن المقياس الفني العام للحكم على القصيدة ، وهو التوفيق في تأدية التجربة تأدية حية صادقة » . ويقول غنيمي : إن هذا المقياس عام لا يشرح شيئاً . . لا ياسيدي ، لعلك لو قرأت التطبيق الشعري الذي أتى به المؤلف إثر ذلك لعرفت أنه شرح كل شيء ، مع أنه أوضح التجربة أيضا في صفحتي ١٤٦ و ١٤٧ من الكتاب .

٧ — ويعيب عليه أنه ذكر أربع قصائد في كلامه على التجربة مع أحكام عامة لا تقفنا على معنى التجربة وعقب عليها تعقيبا موجزا ، وأنه قال عن قصيدة منها إن معناها مبتكر لم يسبق إليه شاعر عربي أو غربي . . أما ذكر أربع قصائد لأربع تجارب شعرية مختلفة فلا عيب فيه ، وأما القول عن قصيدة إن معناها مبتكر فما وجه الطعن عليه ، ولم يتقص الكاتب الحكم بدليل . . وأما التعليق على القصائد بإيجاز شديد فإن من الإنصاف أن نذكر أنه جاء بعد التعليق على كل قصيدة على أنه ليس هناك عيب في تعليق موجز على قصائد عدة . . أما أن السحرتي ذكر أحكاما عامة دون تعليل ، فهذا ما تنفيه دراسات الكتاب ، فما من حكم إلا علل له ، إلا ما كان مرجعه إلى الذوق ، فإن أحكام الذوق تنطوي بنفسها على التعليل .

٨ — ويعيب عليه أنه ذكر قسمين من مذاهب النقد ، وهما المذهب اللغوي والمذهب الفني ... وماذا ينكر غنيمي من ذلك ؟ هل أتى برأي ناقد من النقاد يؤيده في ذلك ؟ ويغالط غنيمي هنا مغالطة أخرى فيذكر أن الواقعيين جميعا يعنون بالتعبير اللغوي والبلاغي .

جميل جدا ذلك ، إن الواقعيين ياسيدي إذا نقدوا الشعر من حيث المضمون كان نقدهم وفق المذهب الواقعي في النقد وإذا نقدوه من حيث اللغة أو البلاغة كان نقدهم وفق المذهب اللغوي ، فالجانبان مختلفان تماما .

٩ — ويقول : إن المؤلف كرر نفس الفكرة الإجمالية المقتضبة حين قسم المذاهب الفلسفية ، ومع أنه ليس هناك تكرير إطلاقا ، فإن كلام السحرتي الموجز في عرضه للفلسفة وصلتها بالنقد كان وافيا بحاجات البحث كل الإيفاء .

١٠ — ويقول : كان الأولى أن يعتمد في عزل الشعر عن الدين والخلق على الجرجاني

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى الوساطة لا على قدامة ، لأن كلام قدامة فى قضية صدق الشاعر ومناقضته لنفسه . ، ومع أن كلام قدامة ليس فى القضية التى أشار إليها الكاتب ، لأنه يقول : يباح للشاعر أن يتناول المعانى الحميدة والذميمة على السواء فإنه لا عيب على المؤلف فى استشهاده بالاثنين معا .

١١ — ويرى السحرتى أنه يجب أن يكون للشاعر خط فكرى واحد لا يحيد عنه فينقد ذلك غنيمى بدعوى أنه يتناقض مع إعجابه بالنظرة الجمالية المحضة وأن تحتيمه على الشاعر أن يختار إما الناحية الاجتماعية أو الذاتية لا مبرر له . . وحديث التناقض عجيب ، وأعجب منه أن نقول إن السحرتى معجب بالنظرة الجمالية المحضة ، إذ أن أساس منهجه النظر إلى القيمة الجمالية والقيمة الواقعية معاً ؛ والسحرتى لم يقل للشاعر : اختر إحدى الناحيتين كما يزعم الكاتب ، ولكنه قال : إذا كان لك اتجاه معين إلى إحدى النواحى فانظر فيها ولا تظهر زيف مشاعرك بالنظم فى ناحية مناقضة لها .

١٢ — ويشك غنيمى فى أن يكون السحرتى قد قرأ كروتشه ورأيه فى كتابه علم الجمال الذى ذكر فيه أن الأدب إنما يجود فى وصف النقائص والآمال الجائعة والسحرتى الذى قرأ كروتشه ورجع إليه وذكره فى كتابه النقد الأدبى يصبح من غير دليل لم يقرأ الكتاب . ولماذا الرجوع إلى كروتشه ، وقد سبق الثعالبى فى كتابه « خاص الخاص » إلى كل ذلك ؟ إن الأمر كما يقول العقاد : إن هؤلاء الدكاترة بدأوا كتاباتهم النقدية بترديد شعارات وآراء مستوردة ، ثم انتهى الأمر إلى ما نرى ، حتى المذاهب الأدبية التى لا تكلفهم أكثر من نقلها من لغتها إلى لغتنا يتخبطون فى غرضها ولا يحسنونه لقد بدأوا تافهين حماسة الارتجال ، ثم تخلفوا لأنهم تنقصهم الأصالة والصدق والابتكار ، وأخيراً توقفوا وكان لا بد لهم من هذه النهاية [١] .

١٣ — ويعيب غنيمى ملحمة « عنوان الفشيد » للشاعر الكبير محمود أبو الوفا بزعم أنها ليست شعراً ، بل نظم . . وهذا حكم من أحكام ذوق غنيم وحده ، والحمد لله على أنه لا يشاركه فى ذلك ذوق آخر . والتغنى بالقيم النبيلة ليس معياراً فنيا فى مذهب الواقعيين عند السحرتى كما يقول غنيمى ، لأن السحرتى لم ترد كلمة الواقعيين فى كلامه [٢] ، وإنما تبرع بها الكاتب من عند نفسه ، والسحرتى لم يقل أكثر من أن الذين يعتنقون الفلسفة الإنسانية يركزون اهتمامهم على مواقف الإنسان وتجاربه [٣] .

---

(١) المساء عدد ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٦٢

(٢) راجع ص ١١٢ النقد الأدبى .

(٣) ص ١٠٧ المراجع .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

١٤ — ويعرض الكاتب لما ذكره السحرتي من نقد قصيدة لشاعر معاصر . مع أن السحرتي نقد عدة قصائد لهذا الشاعر ويذكر الكاتب أن السام معنى إيجابي ، ولا أدري كيف جعله إيجابيا ، ثم كيف فهم أن السحرتي جعل شاعرية القصيدة مع أنه لم يصرح بحكم فني عليها ، ومعيار السحرتي في تقويمها أنها تخالف اتجاهه الواقعي لأنها تدعو إلى السأم والملل ، وقد قال السحرتي : إن المضمون الذي ينبثق منها لا يساير الاتجاه البناء ، فأخطأ الكاتب في فهم ذلك وقال : إن المؤلف اعترف بأنها تشف عن المعنى البناء بالإيحاء لا بالتصريح ؛ وفاته أن يعرف الفرق بين « ينبثق منها » و توحي : والسحرتي لم يعترف بأنها تشف عن المعنى البناء ، ولو قال الكاتب « لغير البناء » لأصاب .

١٥ — ويذكر السحرتي أن ثقافة الجاحظ عن الحيوان أفادته حين قرأ كتابه « الحيوان » . فيقول غنيمي : إن نفس الكتاب يحفل بآراء عميقة في النقد . وكأنه ينفي أن تكون هذه الآراء مما قرأها السحرتي وأفاد منها .

والعجب أن السحرتي سكت عن آراء « الحيوان » النقدية ، والمسكوت عنه لا يحكم عليه بنفي ولا إثبات ، وإثباته يجيء من قرائن أخرى ، ولكن الكاتب يحكم عليه بالنفي قطعا لأن له منطقه .

١٦ — وحين أعجب السحرتي برأي لصاحب كتاب « سر الفصاحة » في الاعتداد بالحروف ومخارجها في بلاغة الكلام يقول غنيمي : لم يفد السحرتي من الكتاب غير ذلك . تعسف ما بعده من تعسف في المنطق . إذ يحكم على المسكوت عنه بحكم لا يحتمله منطق الكلام .

ويذكر السحرتي رأيا للعسكري حول اللفظ والمعنى ، فيقول الكاتب : إن أبا هلال ردد رأي من قبله . . وماذا في هذا ما دام أبو هلال قد آمن بهذا الرأي .

ويجعل السحرتي للنقاد العرب فضل الاهتداء إلى الوحدة الفنية في العمل الأدبي ، ولعبد القاهر فضل فهم التجربة الشعرية فيكون ذلك خطأ عند غنيمي . وإذا أعجب برأي لعبد القاهر في بلاغة التشبيه في الحركات كان ذلك عند الكاتب هو حصيلة قراءاته في عبد القاهر .

وبعد فلا داعي لمناقشة هذه الآراء التي لا تحفل بغير الانفعال والتحامل والعصبية : وحسب السحرتي في نظر المنصفين من النقاد أن يتوج جهاده الأدبي والنقدي بكتاب مثل « النقد الأدبي من خلال تجاربي » الذي يستحق كل تقدير وإنصاف ؟

محمد عبد المنعم خفاجي

علم من أعلام الأدب العربي :

أبو بكر الخوارزمي

للأستاذ عباس طه

— ٢ —

سبق بنا أن كشفنا لقراء هذه المجلة فى عهدها الزاهر وعصرها الفريد الفاخر عن حقيقة متغلغلة فى التاريخ ضاربة فى بطونه وزواياه وفى شرايينه وخباياه تلك هى سيرة ونشأة العلامة الكبير والأديب الخطير من علق ذكره بمناط الجوزاء وحف اسمه بأبواب السماء الشاعر الذى لا يحاول ولا يطاول والناثر الذى لا يجارى ولا يبارى هو صاحب الترجمة كان الخوارزمى ولعاً بمناصرة العرب وزعمائهم وكان قريبا من قلوب الأمراء والوزراء حتى ملأ ذكره الأسماع وعم صيته البقاع فكثرت حساده شأن العظيم فى ناحية من نواحى الحياة إذا عظم شأنه ونبه ذكره تألب عليه منافسوه وتجمهم قرناؤه ومعاصروه

حدث أن بديع الزمان الهمذانى حين قرعت أسماعه أنباء الخوارزمى ونباهة ذكره وعلو شأنه بين معاصريه فى الشعر والنثر وروائع الأمثال وبوالغ الحكم ونوابغ الخصال رحل إلى نيسابور ونزل وشيكا على الخوارزمى ليكون من بين رواده والناهلين من عذب قراته ، وكان بديع الزمان يمثل الثقافة الفارسية كما كان الخوارزمى يمثل الثقافة العربية — فالخلاف الذى نجم بينهما كان خلافا بين ثقافتين ثقافة الفرس التى يتعصب لها البديع وثقافة العرب التى يتعصب لها الخوارزمى بل خلافا بين سياستين سياسة العرب وسياسة الفرس التى أخذت مظاهر عدة ولا بأس أن نورد هنا لمعاً يفيد منها القارئ الحصيف عن مصدر هذا الخلاف ومكمن دائه .

١ — كان هناك صراع عنيف بين العرب والفرس ، وكان هذا الصراع قبل الإسلام لأن الفرس والروم كانتا تتنازعان الاستيلاء على أطراف البلاد العربية فقد كانت الحيرة تدين لفارس وسوريا تدين للروم والأحباش حلفاء الروم لهم نفوذ على اليمن .

٢ — حدثت حروب عديدة طاحنة بسبب هذا التنافس فى الجزيرة العربية بين أشياع هذه الدول فى الجاهلية ثم ظهرت حركات تحررية فى الجاهلية أيضا أظهرها وأبرزها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الحركة التى كان يقودها هانئ بن مسعود وهزم فيها الفرس فى - يوم ذى قار - فلما قام الإسلام استولى على بلاد فارس بأكملها وعلى الأجزاء المهمة من إمبراطورية الروم البيزنطية الشرقية وكان العرب ينظرون إلى الأمم الأخرى نظرة استعلاء وتكبر كما ينظر السكسون إلى غيرهم من الشعوب فكانوا يسمون الأمم الأخرى بالأعاجم (معنى الحيوان الأعجم الذى لا يبين) ، ومع أن الإسلام قد سوى بين الأجناس والألوان وآخى بين الشعوب والمذاهب والنزعات إلا أن الحكم الأموى كان متشيعاً للعرب ويأبى أن يعهد بأية ولاية للأعاجم فانحاز الفرس إلى الشيعة لمقاومة النفوذ الأموى وحكمه ثم انضموا إلى العباسيين وأقاموا دولتهم على أنقاض بنى أمية بقيادة أبى مسلم الخراسانى .

٣ - احتضن العباسيون الفرس لأنهم أسس الدولة ولما رأوا أن نفوذهم بدأ يمتد فوق نفوذهم ويعلو ناجزوهم ثم نكبوهم فبطش أبو جعفر المنصور بأبى مسلم الخراسانى ونكل الرشيد بالبرامكة ويروى أن المأمون كان سبباً فى اغتيال الفضل بن سهل .

٤ - الخلاف بين الأمين والمأمون فالأمين أمه هاشمية والمأمون أمه فارسية فانضم الفرس إلى المأمون ونصروه على الأمين وشوهوا سمعته .

٥ - ظهر الفرس بفكرة جديدة فى تاريخ الحكم العربى تلك هى الشعوبية ، ثم نادوا بهذه الدعوة لإظهار أن الفرس أفضل من العرب سواء من ناحية العلم أم من ناحية القيادة ، وظهرت الشعوبية بمظاهر عدة من أبرزها الدعوة الإلحادية ومن زعمائها المقنع الخراسانى ثم الدعوة السياسية ومن زعمائها البويهيون وآل سلجوق والديلم ثم نزعة لغوية لمحاربة اللغة العربية واستعادة اللغة الفارسية وقد نجحوا فى هذا أخيراً إلى حد ما .

فكل من يرجع إلى الماضى يجد فى أبرز صفحاته هذا الخلاف بين البديع الذى كان يشايع الفرس وبين الخوارزمى الذى كان يشايع العرب مع فارق بعيد الغور بين الرجلين .

وقد وقعت مناظرة بين البديع وبين الخوارزمى أو إن شئت فهى المؤامرة التى دبرها أشياع البديع من الفرس وحاكوا خيوطها ثم أعداء الخوارزمى من منافسيه وجاحدى فضله فحشدوا لها الحشود وجمعوا من أجلها الجموع بعد أن وضعوا لها الأسس والقواعد من خلف ظهر الخوارزمى ثم مشى سفراء السوء بينهما بالوقيعة حتى حملوا صاحب الترجمة على قبول هذه المناظرة أو المؤامرة فوقعت على استعداد من البديع وترقب منه لها وعلى غفلة عنها من الخوارزمى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وإذ ذاك أشاعت ألسنة الإفك والبهتان مليئة بالحقد والسخائم واللدد بتفوق البديع على أستاذه الخوارزمى .

فليس عجيبا أن يقضى الخوارزمى بعد عام واحد متأثراً بنكران الجميل وجحود الفضل وتجاهل النبل من أعدائه والمتربصين أولئك الذين نهلوا من معين عرفانه وفيض أدبه ومعارفه والذين كانوا يجلسون القرفصاء فى حضرته ويحبسون أنفاسهم خجلا من هيبته .

ونظرة فاحصة من القارئ الحصيف إلى رسالة البديع ورد أبى بكر عليه فى رسالته البلقاء تكشف عن مدى الغلظة والتحدى اللذين وردا فى رسالة الهمذانى إلى أستاذه الخوارزمى وعن مدى الملاينة والترفع عن اللدد والإسفاف اللذين وردا فى رسالة الخوارزمى رداً على رسالة تلميذه وصنيعته بديع الزمان الهمذانى .

ومن نافلة القول أن الرسالتين المتبادلتين بينهما كانتا فاتحة الخصومة والشرارة الأولى التى أوسعت رقعتها وشيدت قواعدها وأرستها على أسس من اللدد كانت غاية فى التحدى والحرج ولا بأس أن نضع بين رأى القارئ الحصيف صورتين بارزتين للرسالتين المتبادلتين بين البديع وأستاذه الخوارزمى .

رسالة بديع الزمان الهمذانى إلى أستاذه أبى بكر الخوارزمى

الأستاذ أبو بكر - والله يطيل بقاءه ! أزرى بضيفه (١) أن وجده يضرب إليه آباط القلة فى أطمار الغربة ، فأعمل فى رتبته أنواع المصادفة ، وفى الاهتزاز له أنواع المضايقة من إيماء بنصف الطرف وإشارة بشطر الكف ودفع فى صدر القيام عن التمام ، ومضغ الكلام ، وتكلف لرد السلام ، ولقد قبلت توجيهه صعراً ، واحتملته وزراً ، واحتضنته نكرا ، وتأبطته شراً ، ولم آله عذراً ، فإن المرء بالمال وثياب الجمال ، ولست على هذه الحال وفى هذه الأسمال أتقزز خف النعال . فلو صدقته العتاب ، وناقشته الحساب ، لقلت بوادينا ثاغية صباح ، وراغية رواح ، وناس يجرون المطارف ولا يمنعون المعارف .

وفيهم مقامات حسان وجوههم
وأندية ينتابها القول والفعل

ولو طوحت بأبى بكر أيده الله طوائح الغربة لوجد مغنى البشر قريبا ومحط الرحل رحيبا ووجه المضيف خصيبا .

فأجاب الأستاذ الكبير الخوارزمى على رسالة تلميذه البديع برسالته التالية .

(١) رحل البديع إلى الخوارزمى فى أسمال بالية تبدو عليه المسكنة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

رسالة أبي بكر الخوارزمى إلى بديع الزمان

« وصلت رقعتك ، وعرفت من خشن خطابه ومؤلم عتابه فصرفت ذلك منه إلى الضجر الذى لا يخلو منه من مسه عسر ، وبنا به دهر ، والحمد لله الذى جعلنى موضع أنسه ومظنة مشتكى ما فى نفسه . أما مشكاه من مضايقتى إياه فى القيام فقد وفيته حقه سلاما وقياما على قدر ما قدرت عليه ووصلت إليه ، ولم أرفع عليه إلا السيد أبا البركات العلوى أدام الله عزه وما كنت لأرفع أحداً على من جده الرسول ، وأمه البتول ، وشاهداه التوراة والإنجيل ، وناصراه التأويل والتنزيل ، والبشير به جبرائيل وميكائيل . فأما القول الذى صور سيدى عنهم ، فكما وصف حسن عشرة وسداد طريقه وكمال تفصيل وجملة ولقد جاورتهم فأحمدت المراد ونلت ما يراد .

فإن كنت قد فارقت نجدا وأهله

فما عهد نجد عندنا بذميم

والله يعلم نيتى للإخوان كافة ، ولسيدى من بينهم خاصة ، فإن أعانى الدهر على ما فى نفسى بلغت إليه ما فى الفكرة ، وجاوزت مسافة القدرة . وإن قطع علىّ طريق عشرتى بالمعارضة وسوء المؤاخذة صرفت عنانى طريق الاختيار بيد الاضطرار .

فما النفس إلا نطفة بقرارة

إذا لم تكدر كان صفوا معينها

وبعد فهذا عتاب سيدى إذا استوجبنا عتباً واقترفنا ذنباً ، فأما أن يسلفنا العربدة فنحن نصونه عن ذلك ونصون أنفسنا عن احتماله ، ولست أسومه أن يقول استغفر لنا إنا كنا خاطئين ، ولكنى أسأله أن يقول لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين .

الصفات الخلقية لأبى بكر الخوارزمى

كان الخوارزمى رجلا حديد الذكاء ، حضور الروية ، موفور البديهة ، ينأى بجانبه عن الإسفاف ولغو الحديث ، فهو يختار العفاف ويعاف الإسفاف ، وقد يدع الطعام طاويا ويزر الشراب صادياً إن بدا له أن فى ذلك دفعاً لشائنة أو بعداً عن لائمة ، فقد أبى أن يتجر بشعره أو نثره شأن الكتاب والشعراء فى عصره أمثال المتنبى والبديع وأبى فراس حيث كانت له مدرسة يلقن فيها أبناء المياسير روائع الحكم ويوالغ المواعظ ويتقاضى منهم على ذلك أجراً ، وكذلك الأديب الرفيع لا يتجر بلسانه ولا يقامر ببيانه بل يضع نفسه مواضع الجوزاء من أديم الغبراء حتى يخطبه أهل العلياء وطلاب المجد والثناء .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولم يكن عربيداً كبعض الشعراء الذين اشتهروا فى عصره بمعاقرة الطلى والوقوف على أبواب الأمراء والعذراء وذوى الكلمة النافذة والمجد الأشم بل كان رجلا مؤمنا بالله صبوراً على النوائب إذا غالته ، راضيا بالقضاء والقدر وأحداث الدهر إذا نابته .

وكان رجل جلاد ونضال إذا حزبته الخطوب ونزلت بساحته فوادح الكروب ، ولم يكن شيعى المذهب بل كان مدافعاً عنهم يوم رأى أن خصوم الشيعة قد علا نجمهم وطار فى الأنام صيتهم حيث كانوا من ذوى اليسار استطاعوا بالمال أن يكونوا له عصبة من الخوارج الذين خرجوا على على ابن أبى طالب وسفهوا أحلامه وهجنوا رأيه وبسطوا فيه ألسنتهم بالمنديات من بذىء القول وهجين الحديث .

من أجل ذلك بسط الخوارزمى لسانه فى طائفة منهم ببعض الهنوات والعورات كان أخفها لذعاً فى عقولهم أنهم انحدروا من نطف السكارى إلى أرحام القيان . فرسالة صاحب الترجمة إلى الشيعة فى نيسابور تبدو لمن يجيل النظر فيها رفيعة القدر جليلة الذكر فى بابها ومنحاها والتى يقول فيها مجالدا خصوم الشيعة ومناجزا لهم « فإن أصابتنا نكبة فذلك ما قد تعودناه ، وإن رجعت لنا دولة فذلك ما قد انتظرناه ، وعندنا بحمد الله تعالى لكل حالة آلة ، ولكل مقامة مقالة ، فعند المحن الصبر والأجر ، وعند النعم الذكر والشكر » .

مؤلفاته

١ ـ رسائله إلى أبنائه وأصدقائه والناهلين من ذخائره .

٢ ـ مفيد العلوم ومبيد الهموم وهو يشتمل على قواعد الشرع وقانون المالك ونصرة المذهب ورد الخصم وتذكرة الآخرة وقاعدة العدل إلى غير ذلك .

٣ ـ كشف الظنون .

وفاته

ورد فى يتيمة الدهر لأبى منصور الثعالبى أن قضاء الله تعالى نفذ فى أبى بكر محمد بن العباس الخوارزمى فى شوال سنة ٣٨٣ هـ .

عباسى طه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ما يقال عن الإسلام

تأثير الديانة الإسلامية في العبادة اليهودية

" تأليف نفتالي فيدر "

للأستاذ عباس محمود العقاد

الآداب الصوفية في الأغلب الأعم آداب فردية يستقل فيها كل عابد متصوف بطريقته في السلوك الديني أو الدنيوي كاستقلاله فيها بما يؤثره من نوافل العبادة وتفسيرات النصوص والمعتقدات التي يجوز فيها الاجتهاد بالرأي لأهل الاجتهاد ، فإذا وجدت الجماعات الصوفية فإنما توجد من قبيل الأخوة التي تنتمي إلى أب روحي واحد ويشترك فيها التابعون جميعاً في اتباع الشيخ والاقتداء بمسلكه ومنهج تفكيره وتفسيره : وهو على جميع حالاته منهج اختصاص يستقل به فرد متبوع أو طائفة تابعة ولم يعهد فيه من قبل ، ولا نتنظر أن يعهد فيه من بعد ، أن يكون منهج عموم يشيع بين جميع الناس شيوع الإيمان بالعقائد والفرائض التي لا محل فيها للاجتهاد بالرأي والاستقلال بالعادة

فإذا أراد المؤرخ أن يبحث عن سريان التصوف من اتباع ديانة إلى اتباع ديانة أخرى فإنما سبيله في هذا البحث أن يتعرف الصوفية المنتقلة من نحلة إلى نحلة في سيرة علم واحد من أعلامها البارزين أو أقوال مفكر واحد من أئمة الفكر بين أبنائها المجتهدين ، وربما كان المفكر الديني الذي ينهج في النسك منهجاً لم يسبقه إليه أحد من أبناء ملته أعظم استقلالا بالرأي ممن يبتدع ذلك المنهج لنفسه من غير سابقه ، لأن التغلب على العصبية المذهبية والتحيز القومي أحوج إلى الاستقلال من ابتداع رأي لا مقاومة فيه ولا حاجة به إلى التغلب على معارضيه أو منكريه .

وقد أراد مؤلف هذا الكتاب — عن تأثير الإسلام في اليهودية أن يتتبع أثر التصوف الإسلامي في اليهودية فاختار لذلك سيرة متقدمة من سير الأئمة الصوفيين الذين لم يسبقوا إلى منهجهم بين أبناء عقيدتهم ، والذين عرفت لهم صلة بالثقافة الإسلامية وأثرت عنهم أقوال منقولة عن العربية ولم تكن لها سابقة في اللغة العبرية ، وقد بدأ المؤلف كتابه ببيان الآداب الإسلامية التي دعا إليها الإمام اليهودي الحكيم موسى بن ميمون ثم لخص الشعائر التي قررها ابنه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إبراهيم من بعده فى الوضوء وفى الصلاة الجامعة وهى السجود والركوع واستقبال القبلة والاصطفاف وبسط اليدين ، وانتقل من الشعائر « البدنية » إلى الشعائر الصوفية الروحية فكانت خلاصة بحثه فيها « أن النسك الشرقى نتاج مدرسة إبراهيم الميمونى وزميله الحبر إبراهيم الحسيد ، وجذوره مستمدة من البيئة الإسلامية ومتأثرة بالمتصوفة المسلمين » .

وتساءل : من هو الحبر إبراهيم الحسيد ؟ فقال إن كتاب كفاية العابدين لإبراهيم الميمونى هو مصدر الأخبار التى نعرفها عن ذلك الناسك الذى يكتنف الغموض سيرته والذى يقول عنه الميمونى إنه أخوه فى سبيل الله ، ومما يلفت النظر فى هذا التعريف كثير من العبارات التى نقلت عن المسلمين وهى الإخوة فى سبيل الله وتسمية الله برب العالمين وتسمية المسالك الصوفية بالحالات والمقامات والاقتداء بالإمام الغزالى فى تعريف المتصوفة كما عرفهم فى كتابه المنقذ من الضلال بأنهم هم الذين يسيرون فى طريق الله » وإشارة الميمونى إلى الحسيد حيث يقول : « سيدنا وحبرنا إبراهيم الحسيد بن أبى الربيع كرم الله وجهه » وأشباه ذلك من الصيغ التى اقتبسها الحكيم اليهودى من أقوال المسلمين.

ويتخلل وصف الإمام الحق كلام يؤخذ منه أن أناسا من أبناء الطريق الإسرائيليين كانوا يلبسون الصوف ويعكفون على الصوامع ويتسمون بالفقراء ؛ لأن الكاتب يفرق بين المتصوف الحق وبين المتصوفين الأدعياء فيقول إن التصوف لا يكون بلبس الصوف ولا بملازمة الصوامع ولا باتخاذ أزياء الفقراء ولكنه طهارة وزهد وإخبات إلى الله .

وينتهى المؤلف من تلخيص هذه التعريفات إلى قوله : « فى الختام يتضح التأثير الصوفى أيضا فى تنويه الميمونى بالبكاء التعبدى ، فإن غزارة الدموع علامة يتميز بها الصوفى المظيم . وقد سمى الزهاد الأوائل فى الإسلام بالبكائين ، وإن البكاء كما قال الميمونى هو غاية فى التهيؤ للصلاة ، وبفضله تلقى صلاة المصلى قبولا حسنا كما قيل لحزقيال: قد سمعت صلاتك . قد رأيت دموعك » .

ولولا الثورة الصاخبة التى أثارتها شيعة الجمود على هذا التجديد « الأجنبى » كما وصفوه لتعذرت الشواهد التاريخية التى يستدل بها على انتفاع اليهود بالقدوة الإسلامية فى كل إصلاح من هذا القبيل أدخله حكماؤهم على آداب الدين وشعائر العبادة عند القوم ، ولكان من الممكن أن يقال إن الأمة اليهودية أخذت بهذا الإصلاح على سنة الأنبياء الأولين ممن جاءوا فى رواية العهد القديم وفى رواية التلمود ببعض الوصايا التى أحيتها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الديانة الإسلامية ، ولكن هذا الإصلاح لم يمض بسلام بين القوم فى حينه ، ولم يلبث أكثرهم ومعهم أناس من قادتهم أن قابلوه بالإنكار الشديد مقابلتهم للبدع الدخيلة التى تفسد العقيدة وتبدل السنن وتخالف أمر الإله الذى نهاهم عن التعود بعادات الأمم كما جاء فى التوراة .

وكان المصلحون منهم يوافقونهم على تحريم التعود بعادات الأمم وإنكار البدع التى يدخلها المقلدون للشعوب الأخرى على جوهر الدين ، ولكنهم يقولون إن عادات المسلمين هى عادات الشريعة الموسوية فى لبابها وإن بنى إسرائيل هم الذين خالفوا تلك الشريعة الموسوية وهجروها ، ولا يعقل أن تنهى التوراة عن إعادة الأمة الإسرائيلية إلى سنن أنبيائها لمجرد ظهور هذه السنن فى أمم أخرى تتبع من أوامر الإله ما لم تتبعه أمة التوراة ، ويقول المؤلف نقلا عن الحكيم الميمونى : « إن حبرنا يرفض البتة ادعاء محاكاة الأمم أو القرائين ، لأنه لا وجه لتحريم العادات الإسرائيلية القديمة التى اختفت من اليهودية أثناء النفى ... وإذا شئنا أن نحرم الأمور التى دانت بها الأمم الأخرى فإننا سنضطر إلى التخلى عن كثير من وصايا التوراة كالصلاة والزكاة اللتين أصبحتا من أركان الإسلام ... وإذا ادعى أحدهم أن فى هذا ما يوجب المنع رددنا عليه بأن النصارى أيضا يستقبلون جهة أورشليم فى صلاتهم فليس من أجل هذا يحرم علينا استقبال جهة القدس فى صلاتنا ... وهو — رأى الحبر الميمونى — يوجه هذا الرد إلى معارضيه من الأحبار المقيمين فى أقطار النصارى ، وهو نفسه الحكم فيما يختص بمحاكاة القرائين ، فإن اتباع خطاهم لا يجوز ، ولكن فى البدع الحديثة لا فى الأمور التى لها أصولها وجذورها فى شريعة إسرائيل » .

ولم ينفرد الأحبار المقيمون فى الأقطار المسيحية بمعارضة هذا الإصلاح بل كان له معارضون متشددون بين كبار أحبار المشرق ومنهم هوديا الناسى من آل الناس بدمشق وهو الحبر الذى كان الميمونى يرد عليه حيث قال : « لست أخشى هذه الأباطيل ، فماذا يمكن أن يقال عنى ؟ هل أفرطت فى إخافة الجمهور من سلطان أحد غير الله ؟ هل جرت فى الحكم ؟ هل قبلت الرشوة ؟ هل ابتغيت الربح ؟ هل أقسمت باطلا ؟ إنهم لا يستطيعون أن يقرفونى بشىء من هذه التهم ، اللهم الا أننى مثابر على عبادة رب إسرائيل تبارك اسمه بكل قلبى وروحى ، وإننى أطيل الركوع والسجود ، وبمثل هذا يتحدثون عنى ، ولا أخفيه » .

على أن دعوة الحكيم الميمونى لم تلبث أن شاعت بين الطوائف اليهودية بالمشرق والمغرب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حتى أستجاب لها أناس من أحبار اليهودية فى نبتها الأول وهو أرض فلسطين ، ومن حافظ على تقاليده الموروثة فإنما كان تأويله لذلك أنه يجرى على سنة تغيير الروح وإبقاء الجسم ، ويقول المؤلف إنه « إذا كان نساك فلسطين أنفسهم قد استمروا يستمسكون بصورة إكفاء الوجه التقليدى ، فإن أحبار فرنسا الذين أكبروا الحبر إبراهيم الميمونى - وهم المقيمون فى مدينة عكا قد اتبعوا نظامه، وهو ما نفهمه من بضعة سطور بقيت لنا فى إحدى صفحات كتاب الجنيزة جاء فيها أن المقيمين اليوم فى عكا حفظهم الله وهم الحبر يوسف بن الحبر ستاتيا والحبر يهودا والحبر صمويل - هؤلاء يركعون ويسجدون على وجوههم وليس جانبا بل على ركبهم وجباههم على الأرض ... » .

• • •

وفيما أوردناه من هذا الكتاب كفاية لما أردناه من تفنيد خرافة القائلين بأن الإسلام شعبة من اليهودية ، أو أن الإسلام مدين لها بشائره وأحكامه .

فالواقع أن اليهودية بعد الإسلام قد استفادت من آدابه وشعائره كما استفادت فى ثقافته فى علم من الأصول وفى نحو اللغة وعروضها وأوزان شعرها.

أما قبل الإسلام فمصادر اليهودية فى المسائل المتفق عليها هى مصادر الإسلام من الديانات التى سبقتهما بين النهرين وعنها أخذ اليهود عقائدهم التى لم يعرفوها قبل منفاهم إلى العراق فإذا اختلفت اليهودية والإسلام فالفضل للإسلام فى الارتقاء بالعقيدة الإلهية التى جعلها اليهود مشيخة قبيلة ، وفى عقيدة النبوة التى جعلوها ضربا فى التنجيم ، وفى المسئولية الإنسانية التى جعلوها ضرباً فى محاباة العصبية الجهلاء لغير سبب ولا فضيلة ؟

عباس محمود العقاد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مختارات من الشعر القديم والحديث

من روائع الشعر الإسلامي

للأستاذ الصاوي علي شعلان

عهدت المجلة إلى الأستاذ الصاوي شعلان أن يقدم إلى قرائها في كل عدد بعض روائع الشعر الإسلامي مترجما إلى اللغة العربية والأستاذ يلم بعدة لغات منها الفارسية وهو من الأزهريين الذي عناهم أمير الشعراء أحمد شوقي بقوله :

والله ما عذري لعل كفيفهم ... يوما يكون أبا العلاء المبصرا

المؤمن الحر في نظر إقبال

كن مخلصا مثل الكريم نية وفعلا ... تسمع نداء لا تخف إنك أنت الأعلى

(إقبال)

المؤمن الحر هو الذي جرى فيض إيمانه من مورد (لا تخف إنك أنت الأعلى) .

إننا حين نواجه المشكلات ، وقد انطوت منا الرءوس في الجيوب ! يقبل المؤمن الحر إلى الميدان ورأسه على كفه !

لقد اشتعلت جذوة ضميره بنور لا إله إلا الله!

وأمام عبودية الله القدير ، لن يقبل الخضوع لسلطان أو أمير ؛ ما أشبه المؤمن الحر بالإبل الصابرة ؛ التي تحمل الأثقال ، وتصبر على قطع المسافات بين الأغوار والأنجاد ؛ تأكل الشوك ؛ وتصبر على وهج الشمس ؛ وسهر الليالي !

لقد أبت روح هذا الحر أن يفنيها الموت ؛ وإن تكبيره الحي فوق تعبير الحرف والصوت !.

إن الذي يحطم بقوة إيمانه أحجار الطريق ، كبقايا الزجاج ، خليق به أن يفرض على القياصرة الضريبة والخراج !!

إن كان فيك حرارة مؤمن فهي قبس من جمره ؛ وإن جرى نهرك متدفقا فهو من فيض بحره ، إن جبابرة الملوك في أقبية الحرير لتصفر وجوههم رهبة من سهم ذلك العريان الفقير ! . . .

إن الدين لدى هذا المؤمن الحر بصيرة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ونظر ، أما نحن فى أمر الدين فما زلنا ننشد الخبر ! وبينما العميل يبيع المسجد ، ويتملق المستعمر ! نرى المؤمن الحر ثملا بكأس التوحيد ، والثقة والإيمان من معين المصطفى !!

* * *

المؤمن الحر

أقبل الحر على يوم الفـــدا
ومضى يرمى على النجم الهدف !!
فكأن الوحى القاه النداء
من سماء الله أقدم لا تخف !!

أشرق التوحيد نوراً فى هداه
وسرى التحرير منه فى الضمير !!
أترى من لم يخف غير الآله
يرهب السلطان أو يخشى الأمير !!

روحه تكشف أسرار الخلود
عن حياة مالها فى الدهر موت !!
يرسل التكبير من قلب الوجود
لغة تغنيه عن حرف وصوت !!

سل ملوك الأرض عن دنيا الغرور
فى الملاهى خلف أستار الحرير !!
زلزلتهم بين أبراج القصور
ضربة من سهم عريان فقير !!

ضرب البحر « كموسى » بعصاه
ورمى الصخر حطاما من زجاج !!
ذلك الأواب فى ثوب تقاه
ألزم التيجان تقديم الخراج !!

قد جرت أنهارنا من بحره
وأضاءت نارنا من خمره !!
بسمة الورد شذى من سحره
شعلة المجد سنا من فكره !!

شأننا فى الدين لا يعدو الخبر
وهو فى الدين شهود ونظر !!
نحن عند الباب فى ظل الشجر
وهو فى الدار وفى مجنى الثمر !!

لبنى الإفرنج فى الدنيا عبيد
فى قيود من حرير أو جديد !!
كم تغنى بسجايا « بايزيد »
ذو رياء وهو للورد مريد !!

فى حديث المصطفى شمس الهدى
كل أرض مسجد للمؤمنين !!
كيف تبنى فوق أرض معبدا
إن تركت الأرض للمستعمرين !!

ليس حيا من يرى مستعبدا
لسوى من فى يديه رزقه !!
سيد من ليس يرضى سيداً
ما خلا ربى فكل عبده !!

فى ضمير الحر تكبير الإله
فى جبين الحر تقدير الأمم !!

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إعانة الشتاء

الأستاذ العوضى الوكيل

من ذلك السارب تحت الظلام
يبحث عن مأوى له أو طعام
مهلهل الثـــوب هضيم الحشا
يكاد يبدو كومة من عظام
ويكتم الآلام فى صدره
آلام جـــوع قاتل أو سقام
تذهب فى الظلمـــاء أناته
مخنوقة تشـــبه همس الكلام
بنفحة الـــبرد فلا ينثنى
رحمى له من ساهر لا ينام
دوامة الإعصار ترمى به
حتى غـــدا مثل بقايا الحطام

يا أيها السارى على جـــوعه
كفى بكاء بالدموع السجام !

* * *

الله فى أم دهاها الشتـــاء
وحولهـــا أطفالها فى العراء
بكوا من القر ولكنما
هل يدفـــع القر مرير البكاء ؟
من كل طفل مثل وجه الضحى
أحاله الفقر كوجه المساء
إن ملكت يوما رداء مضت
تكسو بنيها كلهم بالرداء

بقية المنشور على الصفحة السابقة

موته أعلى مقامات الحيـــاة
يرفع النصر لذكراه العلم !!

هـو يوم السلم فى نهضته
بيد الإصلاح يبنى عصره !!
ويذيع الخير فى أمتـــه
مثل ما ينشر روض عطره !!

وهو يوم الحرب فى ساحتـه
ســـيفه يحفر فيها قبره !!
يتحـــدى الموت فى جلوته
أو يتم فيها نصره !!

إن غرس الحق فى نور القلوب
غير شأن الزرع فى ماء وطين !!
فالتمس للمجد أحرار الشعوب
إنهم فى الدهر أعلام اليقين !!

الصاوى على شعلان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تقسمه ما بينهم قسمة
تعلل الباكى ببعض الرجاء
والليل مقرور الدجى راجف
يعصف حتى بالنجوم الوضاء
أيتها الأم وأطفالها
ما نسيتكم رحمات السماء !

* * *

يا أيها السارى بأسماله
يستقبل الليل بأهواله
يهرأ جنبيه نسيم الصبا
ويفعل القر بأوصاله
واهاً له من شارد فى الدجى
قيده الفقر بأغلاله
لم يلق ما يحميه من قره
فراح ينعى كل آماله
فى نظرة غشى عليها البكا
تشكو إلى الله بهطاله
ودمعة منحدر فيضها
على قميص ضج من حاله
أشهد لو قد رآه باخل
لجاد عن طوع بأمواله

* * *

يا شيخ ، قد ودعت عهد الصبا
ما أنضر العهد ، وما أطيبا
وصرت صفراً من صباباته
فلم تك الآمال إلا هبا
جلست أسوان حليف الشجى
ورحت تبكى دهرك القلبا
يا قسوة الأيام ، يا عنفها
حين تصيب الواهن الأشيبا
يصطك فكاه وأوصاله
حين يلاقى العاصف المرعبا
كم يبتغى ثوباً يرد الأذى
لا مخملا يبغى ولا مذهبا
هل راحم شيبته عاطف
يحبوه بالثوب ، وقل الحبا

* * *

أخوك من بات على القارعه
وأختك العريانة الجائعه
والشارد الضارع بعض الحمى
وبعضه الشاردة الضارعه
أبوك هذا الشيخ ، ما أفلحت
فى رفع ما يكسى به الراقعه
وهذه الأطفال ذخر الحمى
لمقبل أيامه رائعه
أحل عبوساً فى محياهمو
لبسمة آلقة ساطعه
يا غارس الخير بأرض الحمى
غداً ترى أزهاره يانعه !

العوضى الوكيل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الكتب

الحسبة فى الإسلام

للدكتور سعد الدين الجيزاوى

تعليق على كتاب للأستاذ إبراهيم دسوقى الشهاوى

١ ـ كنت أزور صديقى الأستاذ ابراهيم محمد الأصيل صباح يوم بإدارة مجلة الأزهر الشريف ، فلفت نظرى كتاب على مكتبه عنوانه . الحسبة فى الإسلام .

تناولت هذا الكتاب مبديا إعجابى بهذا الاتجاه السديد فى تغذية المكتبة الإسلامية بموضوعات تبرز ما فى تشريعات الإسلام من قوة وحيوية ، وتبين للناس عناية هذه الشريعة الغراء بصيانة حقوق الأفراد والجماعات ، وبالتقنين لقيام مجتمعات سليمة تسودها العدالة والطمأنينة . ثم أخذت أنظر فى صفحات الكتاب ، فقال صديقى إبراهيم أما وقد وافق هذا الموضوع ميولك ، فهل لك فى أن تقدمه بكلمة إلى المجلة ؟ . حاولت الاعتذار . . . غير أن جلستنا انتهت بأن أقدم الكتاب .

إن مثل هذا الكتاب يقدم نفسه بنفسه لطرافة موضوعه وأهميته ، ولمنزلة مؤلفه الذى يقوم بتدريس مختلف أبواب الفقه الإسلامى لطلاب كلية الشريعة ، وهو بحكم ثقافته ومنصبه متصل أتم الاتصال بمناهل الشريعة الإسلامية ، خبير بمواردها ومصادرها يعرف إذا أراد أن يعرض موضوعا كيف يعرضه ، وقد سبق لى أن قرأت له كتاب «السرقة فى التشريع الإسلامى مقارنا بالقانون الوضعى» . وقد كان لهذا الكتاب أثره فى نفوس المهتمين بالدراسات الإسلامية ، المدافعين عن تشريعات الإسلام لنفى ما ألصق بها ظلما وزورا من اتهام بالقصور . وإن قوة تلك المبادىء وخلودها قد اضطرت كبار المشرعين الأوربيين فى عصرنا الحديث أن يعترفوا مرغمين فى المؤتمر الدولى للقانون المقارن الذى عقد إحدى جلساته فى باريس عام ١٩٥١ ـ بأن مبادىء القانون الإسلامى ذات قيمة لا تقبل الجدل ـ وأن تعدد المدارس والمذاهب داخل هذا النظام

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

القانونى الكبير ، إنما يدل على ثروة من النظريات القانونية ، والفن البديع ، وأن كل هذا يمكن القانون الإسلامى من تلبية جميع حاجات العصر (١) .

والآن : نعرض فصول الكتاب :

تضمن كتاب « الحسبة فى الإسلام » عشرة فصول وخاتمة .

قدم الأستاذ المؤلف كتابه بافتتاحية قصيرة بين فيها هدفه من تأليف هذا الكتاب وقد تناول الفصل الأول « تعريف الحسبة » . وقد اكتفى سيادته بتعريف الحسبة شرعا ، وأورد فى هذا الفصل كثيرا من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الدالة على ضرورة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، مبينا آثار ذلك فى وقاية الأفراد والجماعات من الشرور والآثام .

وربما كان الأفضل ألا يقتصر فى التعريف - وهو أول ما يطالع مختلف طبقات القارئين - على المصطلح العلمى ، ويا حبذا لو توسع فى شرح هذا التعريف فى الطبعات التالية إن شاء الله .

وتناول الفصل الثانى : « حكم الحسبة » . وقد بين فى هذا الفصل أن حكم الحسبة هو الوجوب بنص الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة وما انعقد عليه إجماع الأمة . وذلك لأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من دعائم إصلاح المجتمع ، فوجب أن يكون القيام بهما محل اعتبار ، وألا يترك للظروف ، ومن هنا اعتبرت ولاية الحسبة ضمن ولايات القضاء فى الإسلام .

وتناول الفصل الثالث : « مراتب الحسبة » .

وفى هذا الفصل بين المؤلف أن الحسبة باعتبار المحتسب عليه - ثلاث مراتب ، لأن أصلها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهو أمر شامل لا يقتصر توجيهه على فريق دون فريق أو فرد دون فرد ، بل إن التكليف به يقتضى - أولا - أن يدعوا المحتسبون سائر الأمم إلى الإسلام ويبينوا لهم ما فيه من مزايا ، ويرشدوهم إلى ما فيه الخير باعتبار أن رسالة محمد عليه الصلاة والسلام عامة تشمل البشر جميعا . وقد أشار الأستاذ المؤلف إلى ما ينبغى أن يتصف به من يتصدى لدعوة الأجانب بخاصة .

ويقتضى - ثانيا - تخصيص طوائف من علماء الأمة ، لنشر تعاليم الإسلام بين المسلمين وتذكيرهم بما أحل الله وما حرم ...

ويقتضى - ثالثا - أن يكون هناك وعى إسلامى عام بين الأفراد حتى يكون بعضهم رقيبا على بعض ، وينصح كل فرد من يعاشره من زملائه وأفراد أسرته وعشيرته وغيرهم

---

(١) راجع مجلة « المسلمون » العدد الأول ديسمبر سنة ١٩٥١

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من أفراد الأمة . حتى تعم الجميع رحمة الله ، ولا يكونوا مثل بنى إسرائيل إذ «كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون» .

وقد فصل الأستاذ طبقات من يوجه إليهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والأسلوب الذى ينبغى أن يتخذه المحتسبون إزاء كل طبقة ، مؤيداً شرحه من الآيات والأحاديث ، وقد أشار فى هذا الفصل إلى نقطة هامة فى وظيفة المحتسب ، وهى التدرج فى الوعظ وتوجيه الإرشاد ، ومراعاة حال كل طبقة من المخاطبين .

وفى الفصل الرابع تناول «شروط المحتسب» .

وهذا الفصل من الأهمية بمكان إذ كانت تقوم الشروط المطلوبة فيما مضى مقام المؤهل الدراسى فى أيامنا هذه مع فارق الصفات الدينية والخلقية التى لم تعد تحل اعتبار إلى جانب «الشهادة الدراسية» . وقد شرح المؤلف هذه الشروط وبين ما هو متفق عليه منها كالإيمان ، والتكليف ، والمقدرة ، والعلم بأحكام الشرع فيما يقوم به ، ثم ما فيه خلاف بين الفقهاء كاشتراط العدالة فى المحتسب على رأى فريق من العلماء وعدم اشتراطها عند فريق آخر منهم الإمام الغزالى إذ لا مانع عند هؤلاء من وجوب الحسبة على الفاسق . وقد رجح المؤلف هذا الرأى ، وأنا أوافقه أيضا ، لأن فى قبول الحسبة من الفاسق اعترافا بآدميته ، ومعاونة له على إبراز ما قد يكون كامنا فى نفسه من خلال حميدة ، وفى ذلك استعلاء بنفسه ، وحث له على أن يبتعد عن مواطن النقص ، وفوق ذلك فإن فيه ضمانا لرعاية المجتمع ، إذ لو حرمنا قبول حسبة هذا الفاسق لسبينا فى تشجيع الجريمة ، إذ يرى من العبث تقويم ما رآه من منكر قد يكون هو يأباه .

وكذلك الخلاف فى وجوب الإذن من ولى الأمر ، أو عدمه ، وقد خرج الأستاذ المؤلف بعد عرض الخلاف ومناقشته بأن الأصل العام فى الحسبة هو عدم اشتراط الإذن (وسيشير المؤلف فى الفصل الخاص بولاية الحسبة إلى الفرق بين المحتسب المتطوع وفقا للأصل العام إذ لا يجب اشتراط الإذن والمحتسب المعين المأذون له) .

وتناول الفصل الخامس «آداب المحتسب» .

وقد شرح المؤلف ما ينبغى أن يتصف به المحتسب سواء أكان معينا أم متطوعا من صفات تجعل عمله مثمراً . وأهم ما فى هذا الفصل أن وظيفة المحتسب تخلق منه شخصية قوية تجعله لا يخشى فى الحق لومة لائم ، لا يبالى إن نصح كبيراً أو صغيراً ، ولا يخشى فى الحق قويا أو عظيما أو غنيا أو فقيراً بل يسعى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لإرضاء الله تعالى مهما لاقى من سخط الناس . وهذه هى الشخصية التى ينشدها الإسلام .

وفى الفصل السادس تناول « الولايات فى الإسلام » .

وهنا عرض المؤلف ثلاثا من تلك الولايات هى : ولاية القضاء ، ولاية الحسبة ولاية المظالم وذلك لما بين هذه الولايات من أوجه الشبه أو الاختلاف .

ولقد برهن السيد المؤلف فى هذا الفصل على دقة فى التفصيل ، وأبرز مهمة والى الحسبة وخطورة منصبه ؛ وبين الفرق بين المحتسب المعين بأمر ولى الأمر وما يشترط فيه ، وضرورة الإذن له لمباشرة عمله باعتبار أن الحسبة قد صارت من ولايات الدولة العامة كولاية القضاء — وبين المحتسب المتطوع ، الذى يقوم بمهمة الإرشاد تطوعا دون اشتراط إذن .

وأهم ما فى سلطة المحتسب أنه يراعى تطبيق الأحكام الشرعية ويراقب ما هو حلال أو حرام ، وله حق غشيان مجالس الحكم ، ووعظ الحكام ، وتنبيه الرؤساء إلى ما قد يراه من أخطاء فى تنفيذ أحكام الشرع إذ إن الرؤساء والحكام والقضاة من البشر ، وهم ليسوا معصومين .

ثم أخذ فى الموازنة بين ولاية القاضى وولاية المحتسب وما بينهما من أوجه الاتفاق والاختلاف ، وأهم ما فى ذلك أنه يجوز للمحتسب أن يباشر مهمته فى إزالة المنكر وردع الظالم . . بنفسه ، ومن غير أن يرفع الأمر إليه ، وأن يظهر بما يرهب ويقوى سلطانه ، بخلاف القاضى .

ومهما قيل من أن ولاية الحسبة قد وزعت اختصاصاتها فى أيامنا هذه على مصالح كثيرة كالبلدية وإدارة المرور ومراقبة الموازين وغيرها ، فإن شيئا من ذلك لم يقم بوظيفة المحتسب قياما كاملا ؛ لأن سلطة المحتسب تتعدى زملاءه ومرءوسيه وعامة الجماهير وأصحاب المصالح المخالفين إلى الرؤساء والمسئولين — ثم إن أساس مهمته أن ينظر فى كل ما هو مخل بأحكام الشرع من منكرات يأباها الذوق السليم ، ويرى ما يرتكب من محرمات أو يؤدى إلى فساد . . فهل يوجد الآن مثلا من يحكم على المناظر التى تعرضها دور الخيالة ، وفيها ما فيها من نشر الخلاعة التى كان يقاومها — باسم الشرع — المحتسبون فيما مضى ؟ إلى غير ذلك .

ثم تحدث الأستاذ الفاضل فى الفصل السابع عن « نشأة الحسبة » .

وقد أوضح أنها نشأت فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تولاها عليه الصلاة والسلام بنفسه ، ثم سار عليه خلفاؤه الراشدون ثم ولاة المسلمين من بعدهم ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وصارت من ولايات الدولة الرسمية فى مختلف العصور .

وقد ذكر السيد المؤلف فى الفصل الثامن عند ما تحدث عن : « نظام الحسبة فى مصر وتطوره التاريخى » . أن نظام الحسبة ظل ساريا فى مصر إلى عام ١٨٠٥ م حين قام بولاية مصر محمد على .

وفى هذا الفصل ـ الثامن ـ أوضح المؤلف ما كان للمحتسب من منزلة فى الديار المصرية ، وما كان يقوم به من رقابة عامة على الآداب الإسلامية ، ومراعاة تعاليم الإسلام .

وبمراجعة الأمثلة التى أوردها لأعمال المحتسب ، يشعر القارئ حقا بفضل هذا النظام ، ويتمنى من صميم فؤاده لو يعود .

ولما كان لوالى الحسبة أن يعزر فى المنكرات الظاهرة التى ليس فيها حدود مقدرة ، ولما كان التعزير هو « عقوبة غير مقدرة ، تجب حقا لله تعالى أو لآدمى ، فى كل معصية ليس فيها حد ولا كفارة » . فقد ناسب أن يكمل الأستاذ بحثه ، فجعل التاسع : فى « التعزير » .

وقد أورد المؤلف فى هذا الفصل أدلة مشروعية التعزير من الكتاب [1] والسنة ، وشرح الحكمة فى ترك أنواع من العقوبات بغير حد مقدر تمشيا مع تطور الزمن ، واختلاف البيئات . ثم اذكر أنواع التعزير وهى : الهجر ، والتوبيخ ، والحبس [1] ، والنفى ، والضرب ، والقتل [2] ، والغرامة المالية ، وقد ذكر أدلة كل نوع ، وأغراضه وكيفيته .

وفى الفصل العاشر عقد المؤلف « مقارنة بين التعزير والحد » أوضح فيها ما بينهما من فروق بتفصيل دقيق .

أما الخاتمة ، فقد اشتملت على ترجمة لاثنين من كبار المحتسبين فى الديار المصرية ، وهما : المقريزى والعينى .

* * *

وبعد : فهذا هو عرض سريع لكتاب « الحسبة فى الإسلام » ، وإن أهم ما يلفت نظر القارئ لكتاب ما إنما هو موضوعه ، ثم منهجه فى البحث .

وموضوع كتابنا ـ كما رأينا ـ يتعلق

---

(١) الآية الواردة بصفحة ١٢٥ سقط منها « أو كفارة طعام مساكين » فتكون « يحكم به ذوا عدل منكم ، هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين ، أو عدل ذلك صياما . . » .

(١) ص ١٢٢ « واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم .. » الآية قيل إن حكمها كان أول عهد الإسلام وأنها نسخت . (راجع تفسير الكشاف والناسخ والمنسوخ لابن حزم) .

(٢) لماذا لا نعتبر « أو فسادا فى الأرض . » الواردة فى آية المحاربة دليلا على جواز القتل تعزيرا ؟ فقد رأيت المؤلف يقتصر فى جوازه على السنة والمعقول .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بناحية هامة من النظم الإسلامية التى ظلت محجوبة فترة من الزمن طويلة ، فقد مر بنا أن نظام الحسبة ظل قائما بمصر إلى أول عهد ولاية محمد على ، أى أنه ألغى من أكثر من قرن ونصف قرن .

ومنذ ذلك التاريخ أخذت تشريعات الإسلام بعامة تبتعد رويدا رويدا عن دور الحكم ، ثم كانت الطامة الكبرى عند ما رزئت بلادنا بالاحتلال الانجليزى إذ حاول الانجليز جاهدين أن يمسخوا كل ما هو إسلامى ، غير أنهم ارتدوا فى كل مساعيهم خائبين .

وخلال ذلك الزمن صار أكثر الناس لا يعرفون من الفقه الإسلامى إلا ما يتعلق بالعبادات التى يمارسونها من صلاة وصوم وحج ، وكأن تشريعات الإسلام لم تأت بغير هذه الأمور ؛ فهى التى يسمعونها فى الدروس بالمساجد ، وهى التى يقرءون عنها إذا أرادوا التفقه فى الدين ، وقليلا ما كانوا يسمعون عن الجهاد فى الإسلام ، أو عن نظام المعاملات والقضاء عند علماء المسلمين . وأوشكت المكتبة الإسلامية أن تخلو من كل ما يشير إلى أن فى الإسلام قوانين تستطيع أن تحكم ، وأنها خير من القوانين السارية .

ولكن بعد أن أخذ الوعى الإسلامى ينتشر بفضل دعوة الإمامين جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ، ثم ظهور مجلة المنار وما تلاها فيما بعد مثل « الفتح » وغيرها . . تنبه الناس ، وأخذ بعض أفاضل العلماء فى إحياء بعض التراث الإسلامى .. وفى الأيام الأخيرة - بعد قيام الثورة ، وبعد جلاء الانجليز . . اطمأنت النفوس وأقبل العلماء على التراث الإسلامى يبعثونه ويذيعونه ، وأخذت المكتبة الإسلامية تعمر بصور من رجال الفقه الإسلامى فى مختلف أبوابه ، وفى فترة وجيزة ظهر الكثير من الكتب التى تحمل الطابع الإسلامى .

بقيت ناحية واحدة هامة ما يزال التأليف فيها قليلا ، هى أبواب المعاملات الإسلامية ونظم الحكم فى الإسلام .

وقد آن الأوان لأن تبرز هذه النواحى ، فإنها خير ما أخرج للناس من قوانين ، تفى بجميع الحاجات العصرية ، وتحمل بين طياتها بذور النماء والقوة والمقدرة على التطور .

وموضوع الحسبة كما رأينا من أهم تلك الموضوعات الجديرة بالدراسة والتطبيق العملى إذ لا يوجد فى وظائف الدولة ما يطابقها تمام المطابقة ، مع مسيس الحاجة إليها .

ومادة الموضوع مستوفاة سليمة مستقاة من أوثق المراجع لا غموض فيها .

أما منهج هذا الكتاب : فإنه يدل على صبر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المؤلف وسعة اطلاعه ودقته فى الفهم ودقته فى الفهم والتلخيص . إن هذا الموضوع قد ورد بتفصيلات مستفيضة فى مثل كتاب الإحياء للإمام الغزالى وبعض مؤلفات ابن تيمية وغيرهما ، وتظهر مقدرة المؤلف هنا فيما قام به من تلخيص لأهم النقط وتنسيقها ، وترتيب فصول الكتاب من غير خلل أو قصور ، وهى مهمة ليست باليسيرة .

والقدر الذى استخلصه من هذا الموضوع المتسع الجوانب كاف بأن يظهر الكتاب فى هذا الحجم المناسب لطاقات جمهور القراء الذين قصد المؤلف إلى إفادتهم : فلا هو فى اختصار مخل ، ولا فى تطويل ممل . وإنه بتنسيقه وحسن تبويبه يستهوى القارئ ، ويجعله يلم إلماما مفيداً كافياً بهذا الموضوع القيم الخطير

وفقنا الله جميعا إلى طريق السداد .

دكتور سعد الدين الجيزاوى

٢ — البهائية :

الأستاذ عبد الرحمن الوكيل

نشرت مكتبة أنصار السنة بعابدين هذا الكتاب ، والمؤلف هو فضيلة الشيخ عبد الرحمن الوكيل ، الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية ، وكتابه دراسة واسعة عن البهائية ، تلك الطائفة المعروفة بخروجها عن دائرة الإسلام ، وبمزاعمها العقيدية التى تفضح نفسها بنفسها .

وبعد أن يمهد المؤلف لكتابه بتمهيد يقع فى أكثر من عشرين صفحة ، أوضح مظاهر الشرك فى هذه النحلة ، وجنايات التصوف وعلم الكلام والمذهبية فى قضيتها . بعد هذا التمهيد المسهب ، قسم دراسته إلى فصول ستة :

من السبئية إلى البابية : وهو الفصل الأول ، الذى حاول فيه أن يرد البهائية إلى السبئية التى تزعمها (عبد الله بن سبأ) الذى وضع الخطوط الأولى لفكرة الشيعة وحركتها ، والمؤلف يجول بنا جولة تاريخية ، يعرض المجتمع الإسلامى الأول سليم البناء قوى الأساس ، ثم كيف استطاعت الأحقاد تتآمر عليه ، وكيف أوجد كل من الشيعة والخوارج ، فتنة الحسين ، أسطورة المهدى المنتظر ، الدولة العباسية ، البرامكة . .

وفى الفصل الثانى : « الباب والبابية » تناول نشأة الباب (ميرزا على محمد) وحركته فى أواسط القرن الثالث عشر الهجرى ، ادعاءه المهدية ، شريعة حركته ، نهايته المؤسفة والأساطير التى ابتدعها الخيال حولها بعد أن خر صريع الرصاص ، وألقيت جثته فى العراء .

وفى الفصل الثالث : « البهاء والبهائية »

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يواصل المؤلف دراسته ، فيقدم لنا البهائية كوريث للبابية ، وامتداد لها ، والبهاء هو (حسين على) ابن الميرزا عباس ، المولود بطهران عام ١٢٣٣ هـ ويكشف عن أساطير هذه النحلة ، وحركاتها ، واستنادها إلى المؤامرات والدسائس الدموية ، إلى أن هلك البهاء المذكور بحرثومة الحمى ، بعد أن صنع منه الاستعمار الروسى واليهودى إلها و بطلا .

وفى الفصل الرابع : « عبد البهاء والبهائية » حدثنا المؤلف عن ابن البهاء ، وكيف استطاع بدراسته للفلسفة اليونانية ، وكتب الباطنية والصوفية المنحرفة ، أن يسيطر على والده سيطرة واسعة ، ثم استمرأ هذه السلطة فى ظل الكفر والإلحاد ، فواصل نشاطه فى خدمة الاستعمار الانجليزى والفرنسى ، وجمع المال والثروات بغير حساب ، إلى أن انتهت حياته عام ١٣٤٠ هـ وخسرت الإمبراطورية الانجليزية أخلص عبيدها .

والفصل الرابع : « الحقيقة الإلهية فى رأى البهائية » مناقشة دقيقة لعقيدة البهائية - إن جاز أن تسمى عقيدة - ويرى المؤلف أنها على زندقتها مسبوقة بزندقة الفلسفة والصوفية والباطنية والإسماعيلية والدرزية ، وهى زندقة حيرى بين عبدة عدم وعبادة صنم فالمجرد الصرف ، والكلى البحت ، وجوده ذهنى لاعينى ، أى لا حقيقة له خارج الأذهان .

وللبهائية آراء على قمة الفساد ، هم يرون الرسول - أى رسول ربا وعبدا ، ويؤمنون بوحدة الوجود ، ويفسرون « ختم النبوة » تفسيرا يحقق أن الوجود لا و لن يخلو من رسل ، ويكفرون بالمعجزات و بإعجاز القرآن ولا يرون معجزة إلا فى النسخ وحده .

والفصل الخامس : « عقيدة البهائية فى البهاء » تؤمن البهائية بربوبية البهاء ، وتطعن على أدلة الرسل ، وبراهين الإسلام ، وتزعم أن نحلتها ناسخة للإسلام .

أما الفصل السادس والأخير « دين البهائية » فهو عرض مسهب لهذا الدين المبتدع ، فالبهائية كفر جبان ، والتوحيد عندها هو : معرفة الأجساد البشرية التى حلت فيها الحقيقة الإلهية ، ولابد من وسائط فى الدين هم شيوخه ، وللبهاء وحده يصلى البهائيون ، وإلى قبره وحده يحجون ، وقد قال لهم : (من توجه إلى ، فقد توجه إلى المعبود) والصلاة تسع ركعات فقط ، والقبلة هى قصر البهاء ، والزكاة ١٩ ٪ ، وأشهر السنة ١٩ شهرا والشهر ١٩ يوما ، والميراث تشريع جديد ، والربا مباح ، والجهاد محرم ، وعقوبة الزنا دية مسلمة إلى بيت العدل أى بيت ماله . .

وبعد - فهذا عرض سريع لهذه الدراسة الجيدة ، ولا ريب فى أن الأستاذ عبدالرحمن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الوكيل بذل جهداً يشكر عليه ، فقد جعلنا نلم إلماما شاملا بالبهائية ومفترياتها ، فى أسلوب فيه روعة البيان ، وإن لم يخل من الحدة التى كنا نود أن يجنب أسلوب منها فى هذه الدراسة العلمية الموضوعية ـ ولست أدرى لم أتعب نفسه وكتب الفصل الأول فى حدود أربعين صفحة ، استعرض الإسلام منذ نشأته إلى الخلافات التى نشبت فى أساليب دموية بين الشيعة والأمويين ، ليبرر مسلك الأمويين فى كثير من أحوالهم ، وجنوح آل البيت إلى الفتنة والهوى ، كان من الممكن أن يركز لنا فى صفحات قليلة محدودة المنابع الأصيلة للبهائية ، دون أن يحاول إلصاقها بالحركة السبئية والحركة الشيعية والحركة اليهودية منذ ضحى الإسلام .

ولقد استعمل من أول دراسته ـ وهو يحدثنا عن الفتنة فى عهد عثمان ـ كلمة « الصهيونية » وهى كلمة مستحدثة معاصرة ، وكان الأحرى أن يستعمل مكانها « اليهودية » مثلا ، والمعروف أن مؤسس البابية التى كانت فيما بعد « البهائية » ولد عام ١٨١٩م ، فكيف نربط حركته بالسبئية المنتمية إلى عبد الله ابن سبأ المعاصر للخليفة الثالث ـ رضى الله عنه ، إنى أرى بعداً عن المقاييس الصحيحة للدراسة العلمية المنهجية ، وإن كان من السهل مثلا أن نرد هذه النحلة إلى فكرة الشيعة الباطنية فى مسألة المهدى المنتظر .

وإنى لأحمد بعد ذلك للمؤلف اتجاها جديدا هو عدم المساس بأقدار على وبنيه ، وتأويله لكل ما حدث فى فتنة الحسين وغيرها ، بأن الخطأ فى اجتهاد الرأى ، وأحمد له أيضا ، أن قلمه قد أمتعنا بدراسة قيمة عن هذه النحلة الخبيثة التى لا زالت تستهوى بعض المأفونين من الشباب الذى يجد لذة فى التحلل والانحلال .

* * *

٢ — الدين فى موقف الدفاع :

للأستاذ فتحى عثمان

هذا كتاب جديد للأستاذ فتحى عثمان ، نشرته مكتبة وهبة بالقاهرة ، قدم لهذه الدراسة بمقدمة جاءت بمثابة تمهيد له . فهو يقرر أن خير دفاع عن الدين أن يكون فى موقف الدفاع ، ووقوف الدين موقف الدفاع مشحون بالمعانى الكبيرة منها أن الله جعل الدين موافقا لسنن الكون ، وفطرة الإنسان ، فكما أن كلا من الكون والإنسان فى حركته ، كذلك الفكر لا بد أن يتحرك .

أما فصول الكتاب الرئيسية فهى : الدين والفلسفة المادية ، الدين على فطرته ، الدين فى حركته . ولقد تحدث فى الفصل الأول عن الدين والإنسان على الأرض ، الديانات الجديدة ، وناقش « جوليان هكسلى » فى كتابه : (دين بغير وحى) الذى يحاول

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إيجاد دين منشود يستمد أصوله من الطبيعة الكونية والإنسانية ـ لا مما وراء الطبيعة ، كما ناقش الأستاذ فتحى فى هذا الفصل : الحضارة والأزمة ، الطاقة الدينية ، الإسلام والشيوعية .

وفى الفصل الثانى : قرر أن الدين حرية ، وأصول الحرية فى منهج التفكير الإسلامى ، ورأى أن يعرض الإسلام ـ كنظام ـ مرتبطا بأساسه العقيدى ، كما ناقش فى هذا الفصل : إنسانية الرسول ، وموقف الإسلام من الموسيقى ، ومباهج الحياة فى نظر الإسلام .

وفى الفصل الثالث : تحدث المؤلف عن مقومات الشخصية الإسلامية الإيجابية الفعالة وترجم مقالا لمسعود الندوى عن الحركات الإسلامية المعاصرة ، ثم عرض فكرة (الدين والقومية) فناقش مدلول القومية ، وإلى أى مدى يصطدم بالدين ، ولماذا انفصلت القومية عن الدين فى الغرب ، الدولة القومية ، والدولة العقيدية . وختم الفصل بالترحيب بالجزائر المناضلة كأمة أسلمت فى جد ، ووفت للإسلام فى صدق .

وبعد هذا العرض الموجز لدراسة الكتاب التى كانت فى أكثر من ثلثمائة صفحة من القطع المتوسط ، والتى جاءت دراسة على مستوى رفيع كما عودنا المؤلف فى دراساته الإسلامية السابقة التى نشرت فى كتب تارة ، ومقالات بمجلة الأزهر الغراء وسواها . . بعد هذا العرض أود أن أقول أو أقرر ملاحظات لابد منها .

أولا : الأستاذ المؤلف كتب بحثا عن « الإسلام والموسيقى » فى حوالى خمس وأربعين صفحة ، ولست أدرى أى مكان متواضع لهذا البحث فى هذه الدراسة ، وأخرى به أن يكون كتابا مستقلا .

ثانيا : كذلك كتب بحثا عن « الرسول الإنسان » ولا أرى له مكانا أيضا فى هذه الدراسة ، لا سيما أنه كتب فى حوالى تسع صفحات .

ثالثا : ترجم المؤلف عن الانجليزية مقالا فى خمس عشرة صفحة عن الحركات الإسلامية المعاصرة ، الأستاذ مسعود الندوى ، دون التعليق عليه أو ربطه بموضوع الكتاب .

رابعا : اهتم فى بحثه عن القومية العربية والدين بمناقشة جرت على صفحات روزاليوسف دون أن يكون له فى هذه المناقشة مكان واضح .

خامسا : موضوع الترحيب بالجزائر فى سبع صفحات خارج عن موضوع الكتاب .

سادسا : المؤلف المبجل لم يعن عناية دقيقة بالتفصيل الداخلى لما أثار من موضوعات ، ففى البحث الذى عنوانه (أصول الحرية فى منهج التفكير الإسلامى)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لم يبرز عناصر هذه الأصول لتكون سهلة التناول ، والمفهوم من العنوان التحديد .

سابعا : موقف الإسلام الدفاعى فى الإطار السياسى لم يهتم به المؤلف ، وهو وثيق الصلة بموضوع الكتاب .

هذه ملاحظات عابرة ، ويبقى بعد ذلك للكتاب تقديره من حيث مناقشة المؤلف للآراء الغربية الاستشراقية وغيرها ، وهى كثيرة فى الكتاب ، وقد ناقشها المؤلف مناقشة جدية اتسمت بنضوج العقل ، وسعة الأفق .

٣ — دور الكلمة فى اللغة :

للبستر ستيفن أولمان

قام بنقل الكتاب إلى العربية والتعليق عليه والتقديم له الدكتور كمال محمد بشر المدرس بكلية دار العلوم ، أما المؤلف فهو أستاذ علم اللغة بجامعة ليدز بانجلترا .

الكتاب دراسة على جانب من الأهمية ، ويذكر لنا الدكتور بشر فى تقديره للكتاب، أن الحضارة الإنسانية تراث مشترك بين أمم الأرض جميعا ، وأن الثقافة وعامة هذه الحضارة وركيزتها الأولى — ليست ملكا لجنس من الناس دون جنس ، وبهذه الروح أقدم على ترجمة الكتاب .

وقد جعل المؤلف دراسته القيمة هذه فى أربعة أبواب :

اللغة والمعنى ، فتحدث عن العلامات والرموز ، والكلام واللغة وعن أن للكلمة صورتين إحداهما منطوقة والأخرى مكتوبة، وعن الكلمة والمعنى العاطفى والمشترك اللفظى . وفى الباب الثانى (المعنى والغموض) تحدث عن المعنى البسيط، والتقليدية، والتوليد الصوتى، والنحوى، والمعنوى، والمعنى المتعدى مدلول واحد وألفاظ عدة ، والعكس ، وفى الباب الثالث (حركة الثروة اللفظية) تحدث عن أربعة مصادر خلاقة : الابتكار ، أو صوغ الكلمات ، أو الاقتراض أو التغيير فى معانى الكلمات الموجودة ، كما تحدث عن أسباب تغيير المعنى اللغوية والاجتماعية والتاريخية ، وعن كيفية تغير المعنى ، وعن انقراض الكلمات ، وفى الفصل الرابع والأخير (الكلمات والأشياء) تحدث عن تأثير الكلمات وقصورها .

ولنا أن نقول بعد ذلك :إن هذه الدراسة العميقة على مستوى رفيع من البحث ، وتدل على أن المؤلف عالم له مكانته الرفيعة فى البيئات اللغوية ، وقد استطاع الدكتور كمال بشر الذى قام بالترجمة أن يثبت وجوده فى التعليق على الكتاب وتذرعه بالأمانة العلمية ، فهو لم يجامل المؤلف ولم يتجن عليه، بل استطاع أن يخفف من حدة دسامة البحث بشروحه الكثيرة ، وهو وإن كان يختلف مع المؤلف فى بعض جوانب البحث ، إلا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أنه لم يهضمه حقه من الإجلال والإكبار، والدكتور بشر يقرر أن الكتاب قدم وجهة نظر جديدة فى معالجة المعنى اللغوى، لا يتفق مع المؤلف فيها، ولذلك أفرد بحثا فى كتاب لمناقشة هذه الوجهة تحت عنوان: (دراسات فى علم المعنى) حتى لا يرحم بحث المؤلف بكثير من التعليقات، وهذه هى الأمانة العلمية، والأفق الواسع، اللذان نتطلبهما ممن يتصدون لترجمة الدراسات الغربية والتعليق عليها.

٤ — الزيتون:

للاستاذ صالح آدم بيلو.

هذا ديوان الأديب السودانى الشاعر المتخرج فى كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف وهو ديوان يهتم بالإسلام دينا ودولة، فى معظم قصائده فالشاعر تمتزج أحاسيسه ومشاعره بكل ما يتصل بالإسلام والقضايا الإنسانية والاجتماعية، ويهدى ديوانه إلى الشباب المؤمن الذى روى بدمائه أرض القناة وفلسطين والجزائر التى ظلت زمانا عطشى لدماء الشهداء وإلى شباب الإسلام فى كل مكان من أرضهم المديدة الطاهرة. وقد اقتبس عنوان ديوانه من الآية الكريمة (الله نور السموات والأرض) القصيدة الأولى (أوحال وطين) أهداها إلى روح شاعر الإسلام (إقبال) يستحثها أن تنهض وتعود لتأخذ بيد المعايير والمقاييس التى تنكبها الناس:

قم أخى فالكون حيران المرام
ضارب فى التيه يضنيه الظلام
فارغ القلب ظمىء الصدام
هاجر للروح منثور النظام
جعل الله وأسباب الظلام ...
قم بنا فالأرض أوحال وطين
نغرس الدرب (بزيتون وتين)

وتحت عنوان (شرف) يعلن الشاعر اعتزازه بالإسلام مهما لقى فى سبيله وتحت عنوان (التيه) يتحدث عن حيرة الشرق فى متاهات الضلال وتحت عنوان (هولاكو) يذكرنا بهذا الطاغية الذى دوخ العالم:

لارشد. لا أفكار. لا وعى. لا ثوار بل
طائش فوار، غنى له زمار. ة. أنهك الأوتار.

الحق أن الديوان تضمن قصائد فيها ثورة وألم، وفيها دعوة إلى المبادئ والمثل، وإن كنا نأخذ على الشاعر أنه خرج قليلا على قواعد اللغة مما لا تحتمله ضرورة الشعر، ومما لا يخدش كثيرا فى قيمة الديوان. واعتباره نفثة قوية ممتزجة بإيمان الشاعر الأديب.

* * *

٥ — العرب عبر العصور:

الأستاذ محمد حسن عبد الله

هذا الكتاب الذى نشرته مكتبه وهبه بالقاهرة — عابدين دراسة شاملة مستفيضة عن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عز الدين بن عبد السلام بائع الملوك، جاءت في ستة فصول : الصور السياسية والاجتماعية والعلمية في عصر العز بن عبد السلام، وسيرته وحياته، وشخصيته السياسية، وشخصيته العلمية، وشخصيته الاجتماعية، ثم الفصل السادس والأخير، الدولة الباطنية حيث تحدث عن العصر المتصوف، وتصوف العز، ورأيه في التصوف.

المؤلف بذل مجهودا مشكورا في الكتابة عن شخصية إسلامية وعالم فذ لم يبع دينه بدنياه بل واجه طغيان الحكم في عنفوانه، وأثبت جدارته بلقب العالم الديني العالم.

إلا أن المؤلف، وهو شاب مثقف في أول مرحلة حياته، سار في ترجمة للعز بن عبد السلام على المنهج القديم في الترجمة للشخصيات الفذة، وكأنما التزم المراجع القديمة في سوق القصص والأحداث، وكنت أود أن تبرز عظمة الشيخ في إبراز مبادئه ومثله الرفيعة.

وهذا هو الهدف الأساس من الترجمة للعظماء كما أن رأي الكاتب في الدراسة لم يكن له مكان ملحوظ. وقد أضاف بحثا إلى الكتاب تحت عنوان (حياة فكر) عرض الإسلام فيه منذ نشأته، واستغرق زهاء ثلاثين صفحة. وكان يكفي الإلمام السريع بالفترة التي سبقت العز ليعطي صورة ناطقة عن عصره.

ولكتاب المؤلف بعد ذلك تقديرنا.

٦ — الإرشاد والتطريز.

لليافعي.

هذا الكتاب الذي نشرته مكتبة القاهرة بالأزهر عنوانه (الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله تعالى وتلاوة كتابه العزيز) على الطريقة القديمة في الإسراف في العنوان، مع المحافظة على السجع المعهود، والمؤلف هو شيخ الحرمين أبو محمد عفيف الدين عبد الله ابن أسعد اليافعي المتوفى عام ٧٦٨ هـ وقد راجع الكتاب وقدم له الأستاذ الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف المدرس في كلية الشريعة.

الكتاب يقدم نماذج من الأذكار والأدعية المأثورة في الأوقات المختلفة، وبعض المأثور على بعض رجال التصوف كأبي الحسن الشاذلي، ثم يعرض منزلة بعض العلماء المعروفين وآثارهم العلمية الدينية، كالإمام الغزالي والشيرازي والنواوي وبعض كبار المتصوفين كالخواص وابن عربي.

أما مراجع الكتاب الشيخ عبد الوهاب، فقد قام بواجبه في تصحيح الكتاب ومراجعته وإن كان فاته التعليق على بعض آرائه لاسيما ما فيه من بعض الشطط، وهذا التعليق كان ضروريا لتتم فائدة الكتاب.

محمد عبد الله السمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

آراء وأحاديث

سافر إلى بيروت عبر البحر :

يقع مثل هذا التعبير فى الصحف بين حين وحين ، وقد اختلف أهل اللغة المعاصرون فى صحة هذا الاستعمال ، ولكنى وقفت على شاهد له فى (تاريخ الإسلام وطبقات الأعلام للذهبى ج ١ ص ١٢٣ المطبوع حديثا بالقاهرة) وهو قول سواد ابن قارب :

فشمرت عن ساق الإزار ووسطت
بى الذعلب الوجناء (عبر السباسب)

الذعلب : الناقة السريعة ، السباسب جمع سبب وهى المفاز .

على برهان

ضبط الرصافة :

يتمسك كثير من أولئك بوجوب ضم راء (الرصافة) واقفين عند نص الفيروزابادى ولو أنصفوا لحولوا أعينهم إلى ما كتبه شارح القاموس على هامش المادة وإذا لعلموا أن الفتح والضم سيان ، وفى ظنى أن الفتح فى مثل هذه الكلمة أرق وأجمل ، وما أحسب (على بن الجهم) طيب الله ثراه قد نطق بها إلا مفتوحة الراء حين قال بيته الخالد :

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث ندرى ولا ندرى

عمر لطفى

أسماء غير ممنوعة من الصرف :

جرى النحاة على اعتبار كلمة (أشياء) ممنوعة من الصرف والتمسوا لذلك الحكم عللا غريبة ، فمنهم من اعتبرها اسما مفردا منتهيا بالألف الممدودة ليبرر منعها من الصرف ، وهذا غريب جداً ؛ لأن قصد الجمع واضح كل الوضوح فى هذه الكلمة ، ومنهم من قرر أنها محولة عن (شيئاء) ، ومنهم من تعسف فادعى أنها جمع (شيء) على وزن (سيء) وقال إنها فى الأصل (أشيئاء) على وزن (أدعياء) ثم حصل فيها ما ادعاه من قلب وحذف مما لا محل لعرضه على القارئين .

والذى استطعت أن أهتدى إليه بعد روية وتأمل أن الكلمة جمع (شىء) ووزنها أفعال ومثالها جمع (فىء) وهو أفياء وحقها أن تكون مصروفة كما صرفت (أفياء) وأمثالها ولاحجة لمن منعها الصرف بورودها غير منونة فى الشعر لأن الضرورة الشعرية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تبيح صرف الممنوع والعكس ، ولكنهم وجدوها فى القرآن الكريم فى سورة المائدة غير منونة .

فقد جاءت فى قوله تعالى : « لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » ويخيل إلى أن عدم تنوينها ليس نتيجة علة من العلل التى أوردوها ولكنه نتيجة القاعدة العامة التى اتفق عليها النحاة وهى جواز صرف الممنوع من الصرف وصرف الممنوع للتناسب والضرورة وما التناسب إلا مراعاة الانسجام فى جرس الكلمات وائتلاف النغم بين أجزائها ، ولذلك قرئ فى المتواتر « سلاسلا وأغلالا وسعيرا » وكلمة سلاسل ممنوعة من الصرف لأنها صيغة منتهى الجموع ولكنها صرفت لتنسجم مع أغلالا وسعيرا) وقرئ « ولا يفوت ويعوقا ونسراً » و (يفوت ويعوق) ممنوعان من الصرف للعلمية ووزن الفعل ولكنهما صرفا فى هذه القراءة المتواترة لينسجم جرسها مع (نسرا) وكذلك « كانت قواريرا ، قواريرا من فضة قدروها تقديرا » فإن قواريرا الأولى نونت لتناسب فواصل الآيات ، فالمحافظة على حسن الجرس والانسجام من عادة العرب والقرآن الكريم نزل على رسول الله بلسان عربى فلم لا نقول إنّ كلمة (أشياء) لم تنون لظرف خاص فى محيطها فى الآية الكريمة إذ لو نونت لتوالى مقطعان من لفظ واحد يحدث منهما شىء واضح من النقل الذى يأباه تآلف النغم فى القرآن الكريم . وهذا التآلف من أسرار الإعجاز ، فقرئت كلمة (أشياء) غير منونة لأنها مرتبطة بجملة الشرط بعدها ارتباط الموصوف بالصفة وذلك يقتضى وصلها وهذا يوجب تكرار لفظ (إن) مرتين متواليتين ، فمن أجل ذلك لم تنون (أشياء) ومن هنا جاءت فروض النحاة ، والحق أنها مثل كلمة (أفياء) فى الوزن والإعراب .

مصطفى شبل

نشر فى اللغة لا موجب له :

علم الله أنى حريص على سلامة اللغة ، ولكننى أكره التزمت فيها ، وأبغض شىء إلى نفسى الإمعان فى الجدل إلا جدلا يكشف حقا ، أو يدحض باطلا ، أو يهدى إلى الرشد وقد ضقت ذرعا بمسائل كثيرة يتعلق بها بعض من حسنت نيتهم أو ضاق أفقهم ، أو استولى عليهم الغرور ، وأحب أن يتسع نطاق البريد بمجلة الأزهر الغراء لنشر هذه المسائل ، فمنها :

١ - يحرص كثير من أهل الفضل والدراية على تغيير لفظ العلم الكنيه المصدر بأب إذا كان مضافا إليه ، فيقولون مدرسة أبى حفص ، ومدرسة أبى المطامير ، جريا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

على قاعدة جر المضاف إليه بالياء إذا كان من الأسماء الخمسة ، وقد يقعون بحسن نية فيما يدعو إلى السخرية فيقولون : مدرسة بنى أبى الريش يريدون مدرسة البنين ببلدة أبوالريش ، ولو علموا أنه يجوز حكما إثبات الكنية على أشهر أوضاعها ، وهو صيغة الرفع بالواو لأراحوا واستراحوا .

وأظن الإمام الشيخ حمزة فتح الله قد عقد بحثا لذلك فى كتابه (المواهب الفتحية) وقرأ أحد الصحابة (تبت يدا أبو لهب) كما فى تفسير العلامة (أبو السعود) .

٢ ـ يتشبث بعضهم بوجوب جر كلمة (أثناء) فيقولون مثلا (يلمع البرق فى أثناء السحاب) ، وهم يعتمدون فى هذا التزمت على ورود الكلمة فى جميع المراجع اللغوية التى بأيدينا على هذه الصورة ، ويقول النحاة إن اسم المكان لا يقبل النصب على الظرفية إلا مبهما لانحصار حدودها فيما أضيفت إليه وهذا بلا شك كلام صحيح ، ولكن لم لا يكون نصب الكلمة جاريا على نزع الخافض ، وهو كثير جدا فى كلام العرب وجعله بعض العلماء قياسيا فى المصادر المؤولة من (أن) وما دخلت عليه بل فى غير المصادر من الأسماء الصريحة ؟ .

٣ ـ ما زال بعض الأدباء ينكرون كلمة (الهناء) لعدم ورودها مجردة من تاء التأنيث فى أشهر الموسوعات اللغوية ، وقد غاب عنهم ورودها فى (المخصص) للعلامة (ابن سيده) فى باب ألوان العيش والنعيم (أو كمال قال) ويعلم الله كم جرى قلمهم الأحمر والأزرق على كلمة الهناء شامخين مزهوين وكم نال (ابن نباته) الشاعر الظريف من الزراية والاستخفاف حين طرق أسماعهم ببيته الرشيق :

هناء محا ذاك العزاء المقدما
فما عبس المحزون حتى تبسما

محمد برهام

أحسن ما رأى قبل :

كثيراً ما يعترض القارئين ويجرى على ألسنة المتحدثين هذا الأسلوب ـ ومنهم من يكتفى بفحواه وما يتبادر إلى الذهن من معناه ، غير باحث فيما بنى عليه من أساس لغوى ، أو قاعدة نحوية ، ومنهم من يحرف الكلم عن مواضعه فيزعم أن اللفظ الأخير منه وهو (قبل) بفتح الباء لا بسكونها ، ويتسى أن هذا الضبط يفضى إلى قصور فى المعنى وتعسف كبير ، إذ القبل كل شىء فى مستهل وجوده على حد تعبير المعجمات : وما زلت أبحث فى هذه المسألة وأدير الحوار حولها مع الثقات من أهل البصر باللغة حتى انتهت إلى ما أعتقده فيها . والخلاصة أن كلمة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

(قبل) ظروف مبنى على الضم لحذف المضاف إليه ، ونية معناه كبقية (الغايات) وهى ظروف محصورة فى كتب النحاة منها :

بعد ووراء وخلف إلخ . . وأن كلمة (ذى) ليست بمعنى صاحب كما يتبادر إلى الذهن ولكنها اسم لوصول يستعمل فى لغة طيء للمفرد وغيره مذكراً ومؤنثاً كما هو منصوص عليه فى المصادر النحوية كشرح (ابن عقيل) وحاشية الخضرى ، وأنها قد تأتى مبنية بلفظ واحد وهو (ذو) رفعاً ونصباً وجراً ، وقد تعرب بالواو رفعاً وبالألف نصباً وبالياء جراً عند قوم من طيء فتكون فى أحوال الإعراب مثل (ذى) بمعنى صاحب التى هى من الأسماء الخمسة ، وعلى هذا الوجه يمكن توجيه الأسلوب ، ويكون الظرف المبنى على الضم صلة الموصول باعتباره شبه جملة حسب ما شرحه النحاة .

وإذاً يكون المعنى : هذا الشيء خير من الذى كان قبله ، أو هذه الحالة أحسن من التى سبقتها وهكذا . وبذلك يستقيم اللفظ وينسجم مع المعنى المراد والسلام .

حسين البشبيشى

فى محيط النحو :

اشتهر بين المتأدبين أن الضمير المسبوق بها التنبيه يخبر عنه وجوبا باسم الإشارة الذى يناسبه ومثاله قول الله تعالى (ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا) وقوله وقوله جل وعلا (ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم) وقول الشاعر :

إن الفتى من يقول ها أنذا

ليس الفتى من يقول : كان أبى

وقد غلا كثير منهم فى تطبيق هذا الحكم غلوا كثيراً مع تخلفه فى مواطن شتى من كلام البلغاء والعلماء الذين يقتدى برأيهم . كالعلامة (ابن هشام) فإنه أورد هذه القاعدة فى (المغنى) ولكنه جريا وراء فطرته فرق بين ما يجب فيه ذلك وما لا يجب فقال فى مقدمة الكتاب قوله :

(وها أنا بائح بما أسررته) بدون أن يخبر باسم الإشارة وقال (البحترى) وهو من هو فى صفاء الأسلوب .

ها هو الشيب لائما فأفيق

واتركيه إن كان غير مفيق

ولا يمكن وقوع (البحترى) فى هذا الخطأ إن كان الحكم السابق مطرداً فى جميع الأحوال . والحق أن النحاة لم يوجبوه ولكن كثيراً من الواقفين على شاطئ العلوم لا يفرقون بين أسلوب وأسلوب ، ولا يتعمقون المباحث العلمية حتى يقفوا على أسرارها ، فيقضوا فى الأمور على بينة ، وإنى — ولا أزكى نفسى — أستطيع أن أعرض على القارئ ما أراه سببا لتخلف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هذه القاعدة فى بعض الحالات ، يبدو لى أن الأساليب المقرونة بالتحدى هى التى لا تخلو من أسماء الإشارة ، فالآيتان الكريمتان فيها إنكار شديد وعتاب لاذع للمؤمنين الذين لا يزالون يوادونهم ويحبونهم مع استبانة البغضاء فى أفواههم ، وتماديهم فى معاندة الإسلام والكيد للمسلمين ، ولما كان اللوم شديداً على نفوس المؤمنين ومظنة لمحاولة التنصل منه حسن الإخبار باسم الإشارة زيادة فى تصوير موجب اللوم حتى كأنه مصور محسن لا يمكن التنصل منه ، وكذلك الشأن فى البيت فإن معنى التحدى واضح فيه كل الوضوح (وزيادة فى الفائدة يحسن الإشارة إلى أن بعض المفسرين يعتبر اسم الإشارة فى الآيتين منادى مع حذف حرف النداء) ثم نرجع إلى صميم البحث فنقول : أما إذا خلا الكلام من معنى التحدى فقد حسن (أو جاز على الأقل) تجديد الكلام من اسم الإشار ، وبهذا يكون (البحترى) على العهد به فى تفهم مقتضى الحال ، والإتيان بما يطابقه من الكلام فيكون كلامه جاريا على سجيته : من الجودة والرصانة كما كانت الآيتان الكريمتان فى الذروة من البلاغة لأنهما طابقتا كل المطابقة مقتضى الحال .

الأسكندرية — منصور عامر

تعقيب . وافتتاح

الأستاذ العبقرى مدير ورئيس تحرير مجلة الأزهر .

تحية طيبة مباركة . وبعد فإن المجلة التى شرفت برياستكم طلعت علينا فى عدد جمادى الأولى سنة ١٣٨٢ هـ تحمل نقداً وتحليلا لكتاب (فلسفة تاريخ محمد للأستاذ محمد جميل بهم) بقلم الكاتب الأستاذ محمود الشرقاوى وقد عقب عليه الأستاذ الجليل عبد الرحيم فوده — (بلفت نظر) الكاتب إلى بعض هنات وقعت للمؤلف ثم جاء فى العدد الذى يليه — استدراك وتعقيب ، ولفت نظر ، وحول (لفت نظر ، وكلها تدور حول تحديد معنى المعجزة ، وكان حرياً بهؤلاء جميعاً ألا يعيروا مثل هذه المسألة اهتماما ، لأن الإحاطة بالأسماء علم لا ينفع وجهل لا يضر ، ولله در محمد بن سيرين التابعى الجليل حيث يقول : (العلم أكثر من أن يحاط به ، فخذوا من كل شىء أحسنه) وأحرى بهم أن يطلعوا على تفسير الآية : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون » — فى تفسير المنار لتلميذ الشيخ محمد عبده السيد رشيد رضا (عليهما الرحمة والرضوان — ص ٣٣٦

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

جزء أول . هنالك يجدون ماكان يقرره الشيخ محمد عبده لتلامذته فى الدرس - أن الكلام فى الأمم المؤمنة بأنبيائها واتبعت شرائعهم قبل أن يبدل دينهم وأن ينسخ شرعهم ، فالله يقول : إن الفوز لا يكون بالجنسيات الدينية ، وإنما يكون بإيمان صحيح له سلطان على النفوس ، وعمل صالح يصلح به حال الناس . وعلى هذا فلا إشكال فى عدم اشتراط الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فى الآية على أن القرآن حلقات متصل بعضها ببعض ، والله يقول : (١) « فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما هم فى شقاق . . . » .

هذا وإنى أنصح لرجال الأزهر وخاصة الذين لهم مكانتهم الرسمية أن يتقدموا بأفلامهم وجاههم إلى أصحاب السلطان فى الأزهر أن يدرسوا كتب السنة بدلا من المذاهب فإن فى هذا تيسيرا للمسلمين وخيرا كثيرا وحتى تكون الفتوى صادرة من معدنها الصافى .

(٢) إن الفقه قانون الحياة ، والحياة فى تطور ، فيجب على الباحث أن يكون حراً فى حياته العملية لا يلتزم مذهباً معيناً ، بل يتوخى المعنى الصحيح يسير مع الحق حيث سارت ركائبه) أقول بصراحة إن الأزهر قد خطا خطوات فى اتساع دائرته ، ولكنه لا يزال فى عزلته القديمة بالنسبة لتقليد المذاهب وترك السنة ، أسأل الله أن ينير بصائرنا جميعاً ، ويوفقنا إلى اتباع كتاب الله وسنة رسوله وأن يعصمنا من الخطأ والسلام على من اتبع الهدى .

محمد عبد الرحيم القناوى
جامعى سابقاً

دخول امتحانه الإعدادية والثانوية

الأزهرية من الخارج

وافق فضيلة الامام الأكبر على إباحة دخول امتحان الشهادتين الاعدادية والثانويه الأزهرية المعادلة من الخارج تيسيراً على الطلاب الذين فصلوا لاستنفاذ مرات الرسوب وتمكينا للذين حالت ظروفهم الخاصة دون الاستمرار فى الدراسة، وذلك بشرط أن يكونوا حاصلين على الشهادة السابقة عليها وأن يكون قد مضى على حصولهم على هذه الشهادة مدة الدراسة المقررة للمرحلة المراد نيل شهادتها ، وأن يكون امتحانهم فى كل مواد هذا القسم .

وافق فضيلة الامام الاكبر على إباحة

(١) سورة البقرة ١٣٧ .
(٢) لابن القيم .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

دخول امتحان الشهادة الثانوية الأزهرية المعادلة هذا العام لطلبة المعاهد الأزهرية الذين نجحوا ولم يحصلوا على درجات تؤهلهم لدخول الجامعات وعددهم ٥٠٠ طالب .

وسيكون امتحان هؤلاء الطلاب على نظام المنتسبين كفرصة أمامهم هذا العام .

الإمام الأكبر يستقبل رئيس الشئون الإسلامية في توجو :

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر السيد / محمد بل الفوتى رئيس الشئون الإسلامية فى توجو ، وقد تناول الحديث شئون المسلمين فى إفريقيا ، وجهود الأزهر فى التعريف بالإسلام والدعوة إليه ، وإمداد البلاد الإسلامية بالعلماء والكتب الدينية والعلمية واستقبال الطلاب الوافدين من شتى الأقطار الإسلامية .

ثم قال فضيلة الإمام الأكبر : إن جهود الأزهر وقف على الدعوة إلى الله والمحافظة على تراث الإسلام ، وإعداد الرواد فى العالم الإسلامى الذين ينهضون بأوطانهم ويقودون حركات التحرير .

ثم استطرد سيادته قائلا : إن الأزهر ليضع يده فى أيدى زعماء العالم الإسلامى لنعود بالأمة الإسلامية إلى مجدها السابق ، وعزها الضائع .

الإمام الأكبر يستقبل سفير النيجر في لاوس

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر السيد / حميدو ليجا سفير النيجر فى لاوس وضيف السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، وقد حمل الضيف إلى فضيلة الإمام الأكبر تحيات المسلمين فى النيجر وتقديرهم الكبير للرسالة التى ينهض بها الأزهر والجهود التى يبذلها خلال أكثر من عشرة قرون فى المحافظة على التراث الإسلامى ، والدعوة إلى الله فى كل مكان .

وقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إن الله قد ربط بين المسلمين بحبله المتين وأمرهم بالاعتصام به ، والتعاون على البر والتقوى ، ونحن جميعاً متضامنون فى الدعوة إلى الله والمحافظة على دينه ، وإن أفريقيا التى تلقت الإسلام بقلب خالص وعزم صادق فى العصر الأول للإسلام لا تزال فى حيويتها الدينية وتمسكها بشريعة الله ، وسيكون لها أثره الطيب إن شاء الله بعد أن تحرر أكثر دولها من نير الاستعمار ، وأن الأزهر ليسره

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

دائما أن يلبي مطالب المسلمين وأن يسعى إليهم فى سبيل نشر الدين .

امتحان الشهادات العامة بالمعاهد الأزهرية

أصدر فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر قراراً بمواعيد امتحان الشهادات العامة بالمعاهد الأزهرية . وقد تحدد يوم السبت أول يونيو سنة ١٩٦٣ لامتحان الشهادة الإعدادية الأزهرية وامتحان شهادة المرحلة الأولى بمعهد البعوث الإسلامية ، كما تحدد يوم السبت ١٥ يونيو سنة ١٩٦٣ لامتحان الشهادة الثانوية الأزهرية المعادلة وشهادة المرحلة الثانية بمعهد البعوث الإسلامية .

المثالية :

يرى القراء فى هذا العدد مقالا عن المثالية فى نظر الإسلام لفضيلة الأستاذ محمد المدنى وفضيلته من كتاب المجلة ومن عمداء إحدى كليات الجامعة الأزهرية ، ولهذا لم يكن بد من نشر المقال وإلقاء تبعة كلامه عليه دون غيره .

غير أن الأمانة العلمية تستوجب لفت النظر إلى ما فى هذا المقال من أخطاء لا يمكن غض النظر عنها ، ومن ذلك إقحامه آية « ولله المثل الأعلى » فى الحديث عن المثالية .

ثم تفسيره المثل بأنه ما يحتذى به ويقاس عليه ، فقد أغفل أو أهمل ما ذكره المفسرون من أن المثل هنا بمعنى الصفة ، ونسى أو تناسى قول الله « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » ولو ذكر ذلك أو شيئا مما قيل فى ذلك لاستقام فى تقديره ما قاله بعض العلماء فى تفسير المثل الأعلى بأنه « لا إله إلا الله » فإن معناها ينفى أن يكون الله مثالا أو مثلا . وينفى أن يكون المثل فى الآية بمعنى النظير والمثيل ...

وقد ذكر الزمخشرى فى تفسير المثل الأعلى أنه الغنى عن العالمين ، والتنزاهة عن صفات المخلوقين

على أن كلمة المثالية من الكلمات الوافدة المستوردة ، وهى من المصادر الصناعية التى تشير إلى خصائص جنس ما تدل عليه الكلمة ، وليس بينها وبين الإسلام نسب أو سبب وإنما هى تنسب إلى نظرية المثل وبلاد التماثيل ، ولو كان المثل هو الرسول كما يقول الله « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » لكان لنا أن نعتذر عنه لتبرير ما قيل ...

عبد الرحيم فودة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

باب الفتاوى :

من أضابير لجنة الفتوى

يشرف عليه : ابراهيم محمد الأصيل

السؤال :

١ — رجل له على آخر دين وطالبه بسداده فاقترض المدين من البنك بفائدة وسدد الدين فهل على الدائن حرمة ؟

٢ — هل فى الدخان أو الزرع زكاة ؟

٣ — رجل لا تكفيه غلة أرضه فهل عليه فى الخارج زكاة ؟

عبد الفتاح يلدشن ـ تركيا

الجواب :

نفيد عن الأول : بأنه إذا كان للمدين طريق يوفى بالدين كان موسرا ولا حرمة على الدائن حينئذ فى مطالبته واستيفاء دينه ، أما إذا لم يكن له طريق آخر يسدد منه غير طريق الاستدانة بالربا فإنه فى تلك الحالة يعتبر معسرا ، وعلى الدائن حينئذ أن يمهله إلى ميسرة (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة) . والظاهر فى مسألتنا أن البنك لم يقرضه إلا وقد أمنه على دينه ، فالمدين موسر فى تلك الحالة فلا تنطبق عليه الآية . وبالتالى فلا حرمة على الدائن فيما فعل .

وعن الثانى : نفيد بأنه يجب الزكاة فى كل ما جاز استنباته من الأرض ، قليله وكثيره ، ومن ذلك الدخان ، لأن استعماله لا يحرم إلا إذا أضر بالجسم أو المال

وعن الثالث : نفيد بأنه إذا كانت عشرية فعليه العشر إن كانت الأرض تسقى سيحا أو بماء الأمطار وعليه نصف العشر إن كانت تسقى بمعالجة وتكاليف .

السؤال :

هل يجوز اعتبار الأموال المدفوعة للحكومة أى (مصلحة الضرائب) عن قيمة الأرباح التجارية من أصل المطلوب منى من زكاة المال أم لا يجوز ؟ .

عوض بسيونى فيوض

تاجر بفيشا ـ سنهور بحيرة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الجواب :

لا يغني دفع الضرائب التي تفرضها الحكومة عن الزكاة الشرعية ؛ لأن الضرائب ليس لها مقدار محـــدود شرعا بل يرجع الأمر في تقديرها إلى ما يراه المسئولون في الدولة استجابة لمصالحها ، وليس لها أيضا مصرف معين شرعا بل مصرفها مصالح الدولة . أما الزكاة فهي مقدار من المـال محدود شرعا بأنه ربع العشر في النقدين وعروض التجارة . والعشر أو نصفه في لزروع والثمار ، وفي المواشي سن مخصوصة في كل عدد منها تجب فيه الزكاة ، وللزكاة مصارف معينة في قوله تعالى : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين الآية » والخلاصة أنه لابد من إخراج الزكاة ولا يغني عن ذلك دفع ضريبة الأرباح التجارية .

السؤال :

أولا : تاجر له أموال عند أناس أصبحوا في حالة عجز عن السداد . هل يجوز اعتبار هـذه الأموال أو جزء منها من الزكاة المفروضة عليه شرعا ؟

ثانياً : لهذا التاجر ابن يعول أسرة . وقد غدا في حالة إملاق بعد أن أفلست تجارته . هل يجوز إعطاؤه من الزكاة التي يخرجها أبوه؟

محمد محمد عباسي

الجواب :

يجوز شرعا احتساب الدين المذكور من الزكاة المفروضة على ما ذهب إليه بعض الأئمة كما جاء في شرح المهذب للإمام النووي رحمه الله في صفحة ٢١٠ ج ٦ ونصه : « إذا كان لرجل على معسر دين فأراد أن يجعله عن زكاته وقال له جعلته عن زكاتي ، فوجهان حكاهما صاحب البيان أصحهما لا يجزئه ، وبه قطع الصيمري ، وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد ؛ لأن الزكاة في ذمته فلا يبرأ إلا بإقباضها ، والثاني يجزئه وهو مذهب الحسن البصري وعطاء لأنه لو دفعه إليه ثم أخذه منه جاز ، فكذا إذا لم يقبضه ، كما لو كان له عنده دراهم وديعة ودفعها عن الزكاة ، فإنها تجزئه سواء أقبضها أم لا .

وترى اللجنة الأخذ بالقول الثاني تيسيراً على الناس ـ كما تفيد أن لهذا التاجر أن يعطي ابنه المذكور من زكاة ماله .

السؤال:

دارت بين بعض المتعلمين منـــاقشة بخصوص الزكاة وتفرق رأيهم فيها فأردت أن أتقدم إلى الجهة التي رأيها القاطع وقولها الفصل للاستنارة في ركن من أركان الإسلام وها هو نص السؤال :

استأجر رجل أرضا من آخر فأنتجت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

زرعا يزيد على النصاب ولكن إيجار الأرض يستغرقه ولا يبقى للمستأجر شيء ، فعلى من تجب زكاة الزرع : على المؤجر أو المستأجر ؟ وإذا كان الناتج يزيد على الإيجار المقرر ، فهل تجب الزكاة فى الزائد فقط أو الزرع كله ؟ وإذا لم يقدر المستأجر على دفع الزكاة فهل تصبح دينا عليه يخرجه عند المقدرة ؟ وهل يغنى المال الأميرى الذى تجبيه الحكومة عن الزكاة ؟ وإذا كان ما ينتج من الأرض المستأجرة لا يزيد عن الإيجار وقوت الأولاد فى العام فهل تخرج الزكاة ؟ وإذا زاد الناتج عن الإيجار وقوت الأولاد وكان على المستأجر دين فما الأفضل دفعه : الزكاة أم الدين ؟

محمد محمد النادى

ناظر مدرسة الشيخ درغام الابتدائية للبنين بدمياط

الجواب :

مذهب الإمام أبى حنيفة أن زكاة الزرع على مالك الأرض لا على المستأجر ، وأنه لا يجمع عنده بين عشر وهو الزكاة وبين خراج وهو ضريبة الأرض ، فالزرع فى الأراضى المصرية المستأجرة لا زكاة فيها على مذهبه ؛ لأنها لا تجب على المستأجر ولأن المالك يدفع الخراج للدولة .

ومذهب الإمامين مالك والشافعى أن زكاة الزرع على المستأجر ولا تسقطها أجرة الأرض ولا الخراج مهما بلغا ولو استغرقا الزرع ، وإذا لم يقدر المستأجر على إخراج الزكاة لأى سبب من الأسباب تبقى دينا عليه يخرجها عند المقدرة ، ولا عبرة باحتياج الزارع إلى الزكاة ولو فى قوته وقوت عياله .

ومذهب الإمام أحمد أن زكاة الزرع على المستأجر ، وأن الدين يسقطها إذا لم يوجد مال آخر للزارع يسدد منه الدين ، ومن الدين الذى يسدد أجرة الأرض والنفقات التى أنفقت عليها .

هذه هى آراء الأئمة وترى اللجنة أن الأرفق بالعباد فى هذا الزمان هو الأخذ برأى الإمام أبى حنيفة .

السؤال .

كثيرا ما نسمع من الناس قسما (وحياة النبى محمد أفعل كذا) فهل هذا قسم له كفارة ؟ وإذا كان ليس له كفارة فما جزاء الحانث فى هذا القسم ، وهل يعتبر قسما أو لا ؟ .

محمد السيد الخواص

شارع سوق العطارين رقم ٥ اسكندرية

الجواب .

قال صلى الله عليه وسلم من كان حالفا فليحلف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بالله أو ليصمت ،ومفاد هذا أن القسم بغير الله لا يجوز، ولا يلزم به كفارة ؛ لأنه ليس يمينا شرعية .

فليستغفر الحالف بغير الله ربه سواء برفى يمينه أم حنث .

السؤال :

مجلة شهرية مصورة ترصد جوائز شهرية للقراء بعضها مالية والبعض الآخر حق اشتراك سنوى بالمجان فى المجلة فما حكم هذه الجوائز ؟

سيد أحمد حسانين

الجواب :

هذه الجوائز مكافآت تشجيعية تتبرع بها المجلة لأغراض نافعة ليس فيها شيء من المفاسد التى يمنعها الدين فلا مانع من قبولها.

السؤال :

يريد أن يهب حجة لوالده المتوفى ويسأل هل الأفضل أن يحج بنفسه أم ينيب فقيرا ؟

على أبو سيف

الجواب :

يجوز شرعا أن يحج الإنسان عن غيره إذا كان الغير قد توفى إلى رحمة الله ولم يحج حجة الإسلام ، ويراعى فيمن يحج عن غيره أن يكون قد أدى فريضة الحج عن نفسه وإلا فلا يصح حجه عن غيره .

والأفضل أن يحج السائل هنا بنفسه عن والده ليكون ذلك أضمن فى أداء النسك على الوجه الأكمل .

السؤال :

أولا : هل يجوز تربية الكلاب لحراسة الدار وغيره أو لا يجوز ؟ .

ثانيا : هل إذا لمس الكلب أحدا أو مسه وهو مبلول بالماء أو غيره ، ولم يغسل محل اللمس والمس مقلدا للإمام مالك رضى الله عنه فى طهارته وطهارة ريقه ، ويتوضأ ويصلى على مذهب الإمام الشافعى ، ويقلد من يجوز التلفيق فى القضيتين ، هل يجوز ذلك أو لا يجوز ؟ .

ثالثا : هل قول الإمام مالك بطهارة الكلب مخالف لدين الإسلام وخارج منه أولا ؟ .

راج كانتين رئيس المجلس الدينى

الجواب

عن السؤال الأول : تربية الكلاب واتخاذها لمنفعة شرعية كالصيد وحراسة الدور وغيرها جائز شرعا ، فقد جاء فى صحيح مسلم وسنن ابن ماجة وأبى داود والنسائى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أن النبي صلى الله عليه وسلم رخص فى كلب الغنم والصيد والزرع .

عن السؤال الثانى : تلفيق المصلى فى الحادثة المسئول عنها ، وأخذه من كل مذهب شيئا من أحكامه جائز على الراجح من مذهب الإمام مالك رضى الله عنه .

عن السؤال الثالث : مسألة طهارة الكلب من المسائل التى ليس فيها نص قاطع ، بل هى من المسائل الفرعية الاجتهادية التى اختلف فيها الأئمة رضوان الله عليهم ، فمنهم من رأى طهارة الكلب ، ومنهم من رأى نجاسته ، وقد ذهب كل منهم إلى رأيه لدليل ترجح عنده ، فلا يصح أن يعتبر قول الإمام مالك بطهارة الكلب خروجا عن الدين ، أو مخالفا للإسلام .

السؤال :

ماحكم الشرع فى الشراب المعروف بالبوظة؟

الجواب :

الشراب المعروف بالبوظة سواء أكان متخذا من القمح أو الشعير أو غيرهما إذا أسكر كثيره فقليله حرام ؛ إذ هو حينئذ خمر فإن الخمر ما خامر العقل وهو يشمل كل مسكر من أى نوع كان وقد قال تعالى : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » . وهذا عام فى كل ما يخامر العقل أى يغطيه ويحدث به نشوة وطربا. وقد وردت الأحاديث النبوية بما يفيد أن الخمر عام فى كل مسكر من ذلك ما جاء : عن النعمان ابن بشير قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام إن من الحنطة خمراً ، ومن الشعير خمراً ، ومن الزبيب خمرا ، ومن التمر خمرا ، ومن العسل خمرا ، وإنما أنهى عن كل مسكر. رواه أحمد. ومنها ما جاء عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام. ومنها كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام ، كما جاءت الأحاديث بتحريم القليل مما يسكر كثيره . من ذلك ماجاء عن سعد ابن أبى وقاص أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن قليل ما أسكر كثيره . ومما تقدم يعلم أن كل ما يخامر العقل فهو خمر ، وهو من مشمولات النهى وإن عمله الناس بغير اسم الخمر . فقد جاء عن أبى مالك الأشعرى أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول ليشربن أناس من أمتى الخمر ويسمونها بغير اسمها وعن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليستحلن طائفة من أمتى الخمر باسم يسمونها إياه .

وخلاصة هذا أن البوظة من الخمر وأنها حرام قليلها وكثيرها إذ من شأنها الإسكار . خصوصا إذا لاحظنا مع هذا أنها مضرة بالصحة تالفة للمال .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

السؤال :

هل شرب الحشيش أو أكله حرام ؟

إسماعيل مرسى

الجواب :

لا ينبغى لمسلم أن يشك أو يرتاب فى أن تعاطى الحشيش على أى وجه ، حرام لأنه يؤدى إلى مضار جسيمة ومفاسد كثيرة فهو يفسد العقل ويفتك بالبدن إلى غير ذلك من المضار والمفاسد فلا يمكن أن تأذن الشريعة التى جاءت بما يحفظ العقل والبدن والدين والعرض والمال بتعاطيه مع تحريمها لما هو أقل منه مفسدة وأخف ضررا . ولذلك قال بعض علماء الحنفية — إن من قال بحل الحشيش زنديق مبتدع — وهذا دلالة على ظهور حرمته ووضوحها . ولأنه لما كان الكثير من الحشيش يخامر العقل ويغطيه ويحدث من الطرب واللذة عند متناوليه ما يدعوهم إلى تعاطيه والمداومة عليه ، كان داخلا فيما حرمه الله تعالى فى كتابه العزيز وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الخمر المسكر . قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتاب المبايعة الشرعية ما خلاصته : (إن الحشيشة حرام يحد متناولها كما يحد شارب الخمر وهى أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج حتى يصير فى الرجل تخنث وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة ولذا فهى داخلة فيما حرمه الله ورسوله من الخمر والسكر لفظا أو معنى .

وقد تكلم رحمه الله عنها أيضاً غير مرة فى فتاواه فقال ما خلاصته (الحشيشة الملعونة هى وآكلوها ومستحلوها الموجبة لسخط الله تعالى وسخط رسوله وسخط عباده المؤمنين المعرضة صاحبها لعقوبة الله تشتمل على ضرر فى دين المرء وعقله وخلقه وطبعه وتفسد الأمزجة حتى جعلت خلقاً كثيراً مجانين وتورث من مهانة آكلها ودناءة نفسه وغير ذلك مالا تورث الخمر ، ففيها من المفاسد ما ليس فى الخمر فهى بالتحريم أولى . والكثير والقليل منها حرام أيضاً بالنصوص الدالة على تحريم الخمر وتحريم كل مسكر) انتهى وقد تبعه تلميذه الإمام المحقق ابن القيم رحمه الله فقال فى زاد المعاد ما خلاصته : (أن الخمر يدخل معها كل مسكر مائعاً كان أو جامداً عصيراً أو مطبوخا فيدخل فيها لقمة الفسق والفجور (هى المعاجين المعروفة الآن بالمنزول) (فالحشيشة خمر بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيح الصريح الذى لا مطعن فى سنده ولا إجمال فى متنه ، (إذ صح عنه قوله كل مسكر خمر) وصح عن الصحابة رضى الله عنهم الذين هم أعلم الأمة بخطابه ومراده : أن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الخمر ما خامر العقل - على أنه لو لم يتناول لفظه صلى الله عليه وسلم كل مسكر لكان القياس الصحيح الصريح الذى استوفى فيه الأصل والفرع من كل وجه حاكما بالتسوية بين أنواع المسكر. فالتفريق بين نوع ونوع تفريق بين المتماثلين من جميع الوجوه) انتهى- وقال صاحب سبل السلام (يحرم ما أسكر من أى شيء وإن لم يكن مشروباً كالحشيشة) ونقل عن الحافظ ابن حجر (أن من قال إن الحشيشة لا تسكر وإنما هى مخدر مكابر فإنها تحدث ما تحدثه الخمر من الطرب والنشوة) ونقل عن ابن البيطار من الأطباء (أن الحشيشة التى توجد فى مصر مسكرة جداً إذا تناول الإنسان منها قدر درهم أو درهمين ومفاسد كثيرة. عد منها بعض العلماء مائة وعشرين مضرة دينية ودنيوية ومفاسد موجودة فى الأفيون وفيه زيادة مضار.

ومما ذكرنا يتبين أن الحشيش قليلا كان أو كثيراً حرام على أى وجه كان، سواء أكان أكلا أم شرباً.

السؤال:

هل كلمة سيدنا فى شهادة أن محمدا رسول الله واردة بصيغة الآذان الواردة أم لا؟.

عبد الفتاح سعد - البدرين

الجواب:

الأذان من الشعائر الدينية التى بين الرسول صلى الله عليه وسلم كيفيتها وصيغتها وليس فى هذه الصيغة كلمة «سيدنا» فى الشهادة بأن محمدا رسول الله، وقد مضى على ذلك عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين وجميع الصحابة التابعين. لم ينقل مخالف لذلك فى هذه العصور.

وترى بعض الشافعية - مع تسليمه بأن لفظ «سيدنا» فى الأذان لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أن الأفضل زيادة هذا اللفظ فى الأذان مراعاة للأدب مع الرسول عليه الصلاة والسلام.

واللجنة ترى الاقتصار على الوارد من غير زيادة هذه الكلمة ولا غيرها لأن الأذان سنة متبعة لا يزاد عليها ولا ينقص منها شيء.

بين الباب وقرائه

إلى السادة الأخوة الأفاضل الذين كتبوا للباب يطلبون خاصة على رسائلهم نذكر أن الردود ستصلهم قريبا إن شاء الله، وسيقوم الباب بنشر بعض ما تحويه هذه الردود مما له صبغه عامة.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بين الصحف والكتب

إختيار وتعليق

عبد الرحيم فوده

الجامع الأزهر

أنشيء أول ما أنشيء ليكون مسجداً جامعاً ، ثم بدأت الدراسة فيه بعد إنشائه بعدة أعوام فصار مسجدا ومعهدا معا ، ثم أقبل عليه العلماء وطلاب العلم من شتى أنحاء العالم الإسلامى ، فصار جامعة تدرس فيها علوم الدين والدنيا ، ثم امتحن العرب والمسلمون بالغزو الفكرى ، والاستعمار الأوربى ، فكان منبر ثورة ، وحصن مقاومة ومقر قيادة . . ثم هو من قبل ومن بعد القلعة التى قامت على حراسة علوم الدين واللغة حتى الآن ، وبعد أن عمرت أكثر من ألف عام .

ذلكم هو الأزهر الذى أنشأه جوهر الصقلى عام ٣٥٩ للهجرة (٩٧٠ م) ، بأمر الخليفة المعز لدين الله الفاطمى .

ولم يكن إنشاؤه فى قلب القاهرة استجابة لرغبة طارئة ، أو فكرة عابرة ، وإنما كان تنفيذا لخطة مرسومة ، وسياسة موضوعة ، جرى عليها الخلفاء والولاة والقواد المسلمون فما كانوا ينشئون من مدائن وأمصار ، فحيث كان يراد إنشاء مدينة كان المسجد الجامع يحتل مكان القلب منها .

كذلك أنشئت مدينة الفسطاط . فكان جامع عمرو حجر الأساس فيها ، ثم كان ما يحيط به خططاً للقبائل المختلفة تقيم كل قبيلة فى الخطة المخصصة لها مساكنها ومتاجرها .

وكذلك أنشئت مدينة العسكر بعد أن دالت دولة الأمويين وقامت دولة العباسيين فكان جامع العسكر كذلك حجر الأساس فيها .

وكذلك أنشئت مدينة القطائع فى عهد الدولة الطولونية فكان جامع ابن طولون فى مكان القلب منها أو حجر الأساس فيها .

ثم كان إنشاء القاهرة بعد ذلك . فكان الجامع الأزهر كذلك .

وهذه الخطة كانت سنة متبعة فى كثير من المدن التى قام بإنشائها الخلفاء والولاة والقواد المسلمون ، فإننا نجدها فى البصرة والكوفة وفى كثير من مدن الشام ، ويرى بعض المؤرخين أن هذه السياسة أو الخطة ترجع إلى عهد عمر رضى الله عنه . بدليل ما كان يكتبه إلى الولاة - ومنهم عمرو بن العاص فى هذا الشأن ، ولكن مد النظر إلى ما قبل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عهد عمر يرينا أن هذه الخطة ترجع إلى أبعد من هذا العهد بقرون وأجيال ، فقد كان أول بناء أنشىء بمكة هو بيت الله الحرام ، كما يفهم من قوله تعالى « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ، ثم كانت أول قبيلة نزحت إليه هى « جرهم » ثم تبعتها ولحقت بها قبائل أخرى فأقامت حول هذا البيت العتيق ، وأقامت حوله منازلها ومتاجرها فكانت مكة ، وكان بيت الله فى مكان القلب منها ، يحجه الناس من كل صوب وحدب « رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله »

فليس من البعيد - بل من المحتمل القريب - أن يرى المسلمون فى هذه المدينة نموذجا لما ينشئون من مدن وأمصار ، ولعل مما يرجح ذلك أو يؤكده ما نجده فى الفقه الإسلامى ، فإن مذهب الإمام مالك يشترط لصحة الجمعة أن تكون فى المسجد الجامع ، ويشترط فى المسجد الجامع أن يكون داخل البلدة أو قريبا منها بحيث يمكن أن ينعكس عليه دخانها ، كما يشترط لصحة الجمعة فيه أن يكون مبنيا ، وأن يكون بناؤه على الأقل مساويا للبناء المعتاد ولأهل البلد .

وهذا التفكير يلقى الضوء على هذه الخطة ، ويمكن أن نرى فيه التفسير لهذا النظام المعمارى ومدى أهمية المسجد الجامع فى كل مدينة إسلامية ، ولا يقلل من أهمية هذا الاتجاه أن بعض المذاهب الأخرى لم تشترط المسجد الجامع ، فإنها مع ذلك تشترط لصحة صلاة الجمعة أن تكون فى المصر أو فى الأبنية المجتمعة أو قريبا منها ، ولا شك أن الأمثل والأفضل مع هذا أن تكون فى المسجد الجامع .

« ع . ف »

من بحث فى تاريخ الأزهر
بكتاب الشعب « مساجد ومعاهد »

بعد المسجدين

واذكره بعد المسجدين [1] معظما
لمساجد الله الثلاثة مكبرا
واخشع مليا [2] واقض حق أئمة
طلعوا به زهرا [3] وماجوا أبحرا
كانوا أجل من الملوك جلالة
وأعز سلطانا وأفخم مظهرا
زمن المخاوف كان فيه جنابهم [4]
حرم الأمان . وكان ظلهم الذرا [5]

---

(١) يريد بالمسجدين . المسجد الحرام والمسجد الأقصى .

(٢) مليا . زمانا طويلا .

(٣) زهرا . جمع أزهر وهو النير ويسمى القمر الأزهر . والأزهران . الشمس والقمر ، فالمراد . شيوخه البيض الذين تألقوا فى سماء الشرق كأنهم كواكب .

(٤) الجناب فناء البيت . وماقرب من محلة القوم .

(٥) الذرا بفتح الذال . الملجأ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من كل بحر فى الشريعة زاخر
ويريكه الخلق العظيم غضنفراً (١)
لا تحذ حـــذو عصابة مفتونة
يجدون كل قديم شيء منكراً
ولو استطاعوا فى المجامع أنكروا
من مات من آبائهم أو عمرا
أحمد شوقى
من ديوان الشوقيات

عبر شيطانه :

ومن لطائف ما وقع للعارف الشيخ عبد القادر الجيلانى ما حكى عنه أنه قال : تراءى لى مرة نور عظيم ملأ الأفق ، ثم بدت لى فيه صورة تنادينى يا عبد القادر أنا ربك ، وقد أسقطت عنك التكاليف ، فإن شئت فاعبدنى ، وإن شئت فاترك فقلت له : إخسأ يا لعين ، فإذا ذلك النور قد صار ظلاما ، وتلك الصورة صارت دخانا ، ثم خاطبنى اللعين فقال : يا عبد القادر ، نجوت منى بعلمك بأحكام ربك . وفقهك فى أحوال منازلاتك ، ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق . فقيل للشيخ عبد القادر من أين عرفت أنه شيطان ... ؟ فقال : بإحلاله لى ما حرمه الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه تعالى لا يحرم شيئا على ألسنة رسله ثم يبيحه لأحد فى السر أبداً .

(١) الغضنفر . الأسد .

مجلة الاعتصام ـ من مقال للأستاذ محمد على أحمد فى الدس والافتراء على العلماء .

إله عمر يعلم

نهى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته عن مذق اللبن بالماء ، فخرج ذات ليلة فى حواشى المدينة . فإذا بامرأة تقول لابنة لها : ألا تمذقين لبنك ،فقد أصبحت؟ فقالت الجارية : كيف أمذق وقد نهى أمير المؤمنين عن المذق ؟ ! فقالت : قد مذق الناس فامذق ، فما يدرى أمير المؤمنين ، فقالت : إن كان عمر لايعلم فإله عمر يعلم ، ما كنت لأفعله وقد نهى عنه .

فوقعت مقالتها من عمر ، فلما أصبح دعا عاصما ابنه ، فقال . يا عاصم ، اذهب إلى موضع كذا وكذا فاسأل عن الجارية — ووصفها له ـ فذهب عاصم ، فإذا جارية من بنى هلال:فقال لهعمر : اذهب يا بنى فتزوجها ، فما أحراها أن تأتى بفارس يسود العرب ، فتزوجها عاصم بن عمر ، فولدت له أم عاصم بنت عاصم بن عمـــر بن الخطاب فتزوجها عبد العـــزيز بن مروان ، فأتت بعمر ابن عبد العزيز .

من كتاب قصص العـــرب تأليف الأساتذة محمد جاد المولى بك ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلى محمد البجاوى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حول معونة الشتاء :

إن لنا إعتراضا على الشكل الذى إتخذته حملة الدعوة إلى التبرع . فالشيء الذى يلفت النظر هو أن القائمين عليها من فرط حماستهم لعمل الخير ربطوا المشروع باشتراكيتنا وثورتنا ربطا قد يثير البلبلة فى عقول البعض فى وقت نحن أحوج ما تكون فيه إلى الوضوح ذلك أن بعض اللافتات كانت تقول « معونة الشتاء قلب الثورة » . والأخرى ادعت أن «معونة الشتاء عنوان لاشتراكيتنا» إلى غير ذلك من العبارات المبالغ فيها . ونحن قوم لا يزال الميل إلى المبالغة من بعض طباعنا.

إن معونة الشتاء لا يمكن أن تكون عنوانا لاشتراكيتنا أو رمزا لها . ولا يمكن أن تكون قلب ثورتنا إن الميثاق هو عنوان اشتراكيتنا وقلب ثورتنا ، الميثاق بما تضمنه من قيم تمجد العمل والحرية والديمقراطية ، وبما احتواه من أسس لتنظيم الشعب العامل حتى يمسك حاضره ومستقبله بيده يصوغهما كما يجب أن يكون حاضر الإنسان ومستقبله.

الدكتور محمد الخفيف

من جريدة الأهرام

التعليق . . إذا كان القائمون على الدعاية لمعونة الشتاء قد ربطوا المشروع باشتراكيتنا وثورتنا فذلك - فيما أعتقد - لاتصال اشتراكيتنا وثورتنا بديننا ، فإنه الإطار للاشتراكية التى نؤمن بها . وللدستور الذى نسير عليه ، والميثاق الذى يتوارى فى ظل الثناء عليه الكاتب اللبق جدا - عفا الله عنه - يمجد مع العمل والحرية والديمقراطية القيم الدينية والإنسانية ، وأول دستور طلعت به الثورة على الشعب ينص على أن دين الدولة الإسلام ، والتقرير الذى انبثق من ضمير الشعب واعتبر تفسيراً للميثاق ينص كذلك على ذلك ، فربط المشروع باشتراكيتنا وثورتنا لا يثير أية بلبلة . وإنما يثير البلبلة ويزعزع الثقة مثل هذا الكلام الذى يخرج مسموما من بعض حملة الأقلام

ظل إنتاجى

يا صاحبى إن مالى لا يظللنى
ولا يراعى ولا فأسى . ولا تاجى
ولا انتسابى ولا اسمى حين تذكره
إن كنت «أنطون» أو إن كنت «بلتاجى»
كل الظلال إذا ما الموت أدركنى
تفر منى إلا ظل إنتـــاجى

محمد السيد شحاته
شاعر البرارى

تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير ، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور .

قرآن كريم